مبادئ علم الاجتماع

الفرقة الأولى أساسى / دراسات اجتماعية

إعداد

د / على طلبه محمد

أستاذ المقرر / **د زينب جاد الرب**

كلية الآداب بقنا / جامعة جنوب الوادي

العام الجامعي ٢٠٢٢م / ٢٠٢٣م

المحتويات

م	الموضوع	عدد الصفحات
	المقدمة	٥ – ٨
الباب الأول	ميدان علم الاجتماع وقضاياه	٩ – ١٣٨
الفصل الأول	ميدان علم الاجتماع	١١ ـ ٣١
الفصل الثاني	المجتمع والعمليات الاجتماعية	٣٣ ـ ٥١
الفصل الثالث	رواد علم الاجتماع	٥٣ ـ ٨٩
الفصل الرابع	التخطيط الاجتماعي	٩١ ـ ١٠٩
الفصل الخامس	الثقافة	١١١ ـ ١٢٦
الفصل السادس	التنشئة الاجتماعية	١٢٧ ـ ١٣٨
الباب الثاني	مناهج البحث الاجتماعي	١٣٩ – ٢١٣
الفصل السابع	منهج المسح الاجتماعي	١٤١ ـ ١٥٧
الفصل الثامن	المنهج التاريخي	١٥٩ ـ ١٧٣
الفصل التاسع	منهج دراسة الحالة	١٧٥ ـ ١٨٨
الفصل العاشر	المنهج التجريبي	١٨٩ ـ ٢٠٠
الفصل الحادي عشر	المنهج الأنثروبولوجي	٢٠١ ـ ٢١٣
الباب الثالث	أدوات جمع البيانات	٢١٥ – ٢٦٩
الفصل الثاني عشر	الملاحظة	٢١٩ ـ ٢٣٥
الفصل الثالث عشر	المقابلة	٢٣٧ ـ ٢٥٤
الفصل الرابع عشر	الاستبيان	٢٥٥ ـ ٢٦٩
المراجع	المراجع العربية والأجنبية	٢٧١ – ٢٨٠

المقدمة

إن علم الاجتماع يحاول أن يمد بصـــره بعيدا ليدرك أبعاد الســـلوك الاجتماعي وأهدافه ووســـائله،فعن طريقه يســـتطيع الفرد في المجتمع أن يكون على علم بما يجرى في نطاق الحياة الاجتماعية لأفراد آخرين أو في جماعات أخرى قد لا يتيســـر له طوال حياته أن ينتمي إليها،أو أن تكون له بها صـــلات، وهذا يعنى أن علم الاجتماع ينمى التكامل الاجتماعي،وهو لذلك وحدة المجتمع.

فعلم الاجتماع علم حديث نسبيا،فكان الفلاسفة والكتاب السياسيون يصفون المجتمع كما يجب أن يكون من وجهة نظرهم أكثر مما يدرسون المجتمع الواقعي دراسة موضوعية،ومع ذلك نجد لدى الفلاسفة القدماء لمحات وضعية عن الظواهر الاجتماعية.

ولكن بعد الاكتشافات الحديثة أحس الناس أن فهم البشر أنفسهم لم يحرز تقدما كالتقدم الذي تم في مجال السيطرة على الطبيعة،وهذا راجع إلى أن محاولات الإنسان فهم حياته بدأت متأخرة جدا، ومن أجل هذا يتزايد الاهتمام في كل ركن من أركان العالم اليوم بعلوم المجتمع، وهكذا أضحت دراسة الاجتماع لا غنى عنها للأفراد والجماعات.

ومن ثم نفرد هذا الكتاب – كمحاولة علمية متواضـــعة –لإلقاء الضـــوء على هذا العلم وقضاياه، وقد اشتمل الكتاب **على ثلاثة أبواب وخمسة عشر فصلا**،حيث يعنى **الفصل الأول بميدان علم الاجتماع** واستقلاله وتعريفاته وأغراضه وعلاقته بالعلوم الأخرى، واختص **الفصل الثاني** بدراسة **المجتمع والعمليات الاجتماعية**، أما **الفصل الثالث** تناول ثلاثة من رواد علم الاجتماع هم **" ابن خلدون، أوجســـت كونت، كارل ماركس "**، وتناول **الفصـــل الرابع** " **مفهوم التخطيط وأهميته ومســـتوياته ومبادئه ومعوقاته** " وعرض **الفصـــل الخامس** " **لماهية الثقافة وعناصـرها وخصـائصـها ومقومات التكامل الثقافي** " أما **الفصـل السادس** فقد عرض **"لماهية التنشئة الاجتماعية والهدف منها ومؤسساتها "**.

أما الباب الثاني " **مناهج البحث الاجتماعي** " فقد عني **الفصل السابع بمنهج المسح الاجتماعي**، وتناول **الفصل الثامن المنهج التاريخي**، أما **الفصل التاسع** فعرض **لمنهج دراسة الحالة**، وتناول **الفصل العاشر المنهج التجريبي**، وعرض **الفصل الحادي عشر للمنهج الأنثروبولوجي**.

وعرض **الباب الثالث** " **أدوات جمع البيانات** "، فتناول **الفصل الثاني عشر** " **أداة الملاحظة** "، أما **الفصل الثالث عشر** فعرض " **لأداة المقابلة** "،وعرض **الفصل الرابع عشر** " **لأداة الاستبيان** ".

وبعد.... فهذه محاولة **متواضعة مع المجتهدين** في هذا الميدان، وجل أملي أن تكون فيه فائدة،فإن كنت قد وفقت فإني لسعيد،وأرجو أن يترفق بي أساتذتي وزملائي،لأن ميدان العلم واسع والكمال لله سبحانه وتعالي وحده.

ولا يفوتني إلي أن أتوجه بالدعاء لله سبحانه وتعالي أن يتغمد أستاذي بواسع رحمته،وأن يسكنه فسيح جناته لما قدمه للعلم من جهد عظيم،الأستاذ الدكتور **عبد الهادي الجوهري**، كما أتوجه بشكري إلي كل **أساتذتي بقسم علم الاجتماع، بكلية الآداب، جامعة المنيا**، وخالص الشكر **لزملائي وطلابي** بكلية الآداب بقنا. **والله من وراء القصد**.

الباب الأول

ميدان علم الاجتماع

تمهيد :

لا شـك في أن علم الاجتماع أصـبح ولا يزال أحد العلوم الاجتماعية التي لاغني عنها لدراسـة الخصـائص العامة لكل أنواع الظواهر الاجتماعية، بالإضـافة إلي دراسـة العلاقات المتبادلة بين هذه الظواهر،بيد أن التحول الكبير في تفسير وتحليل الظواهر الاجتماعية جاءت بعد ميلاد القرن التاسع عشر،الذي تم فيه استخدام المناهج العلمية لاستقراء السلوك والظواهر الاجتماعية.

ومع اسـتمرار عملية التغير،تزداد أهمية علم الاجتماع الذي يعرف بأنه دراسـة علمية للمجتمع الإنساني،والسلوك الاجتماعي،وأنه بالرغم من أن موضوعه شائك ومعقد ووا سع،إلا أنه أصـبح له دلالته ووجوده ويعرفنا بأنفسـنا،ويجنبنا الاعتماد علي التخمين والتوقعات،هذا بالإضـافة إلي أننا بدأنا نضـع التصـورات والمعارف للوجود الإنسـاني والحياة الاجتماعية بطريقة علمية تختلف كلية عن التأملات الفلسفية.

ومن هذا المنطلق نسلط الضوء في هذا الباب **علي عدة قضايا** كما يلي :

الفصل الأول : **ميدان علم الاجتماع.**

الفصل الثاني : **المجتمع والعمليات الاجتماعية.**

الفصل الثالث : **رواد علم الاجتماع.**

الفصل الرابع : **التخطيط الاجتماعي.**

الفصل الخامس : **الثقافة.**

الفصل السادس : **التنشئة الاجتماعية.**

الفصل الأول

ميدان علم الاجتماع

تمهيد :

بداية يجب أن نتساءل، **من الذي أطلق على علم الاجتماع هذه التسمية ؟**، وهل كانت هي التسمية الوحيدة التي ظهرت لهذا العلم ؟، **وهل حاول المشتغلون** به تقديم تعريف محدد لهم ؟،وما هي مجالات اهتمام هذا العلم ؟،وما علاقته بالعلوم الأخرى ؟،لا شك في أن الإجابة على هذه التساؤلات لابد منها **من أجل التعرف** على أسس هذا العلم.

ومن هذا المنطلق نعرض في هذا الفصل **لعدة قضايا رئيسية هي :**

أولا : تسمية علم الاجتماع.

ثانيا : تعريف علم الاجتماع.

ثالثا : استقلال علم الاجتماع.

رابعا : موضوع علم الاجتماع.

خامسا : أغراض علم الاجتماع.

أولا : تسمية علم الاجتماع :

كان الفرنسي" أوجست كونت " ١٧٩٨-١٨٥٧ هو الذي أطلق على هذا العلم الجديد **" علم الاجتماع "sociology** ، وذلك في عام١٨٣٠ م، ولقد صاغ هذه التسمية من كلمة يونانية، وأخرى لاتينية، **الكلمة الأولى logos** وتعنى العلم،والثانية **societes** وتعنى المجتمعات أو الجماعات أو الأسرة أو القرية أو المدينة أو ما شابهها من صور الاجتماع الأخرى، وقد شاع استخدام هذه التسمية واعترف بها الجميع [١].

([1]) Miltton L.Barron,edt,Contemporary Sociology, Dodd, eud,New Yourk,1965,p.1.

وهنا قد يتساءل البعض **"هل كانت كلمة علم الاجتماع هي التسمية الوحيدة التي أطلقت على هذا العلم منذ إنشائه حتى اليوم ؟**، وباستعراض تاريخ هذا العلم منذ نشأته حتى اليوم يجب أن نسلم بأن علم الاجتماع قد مر بثلاث مراحل تاريخية هي :

المرحلة الأولى : مرحلة سابقة على نشأة هذا العلم ومهدت له : ويمكن أن نشير في هذه المرحلة إلى التعبير القديم الذي ابتدعه الفرنسي **"سان سيمون "**، وهو **" الفسيولوجيا الاجتماعية "**، وكذلك محاولة العلامة البلجيكي **" أودلف كيتليه "** الذي أراد البلجيكيون أن يجعلوه أول منشئ لعلم الاجتماع الذي نشر عام ١٨٣٨ م كتابا يعالج ظواهر الاجتماع **" الفيزياء الاجتماعية "** [١].

المرحلة الثانية : مرحلة النشأة : وفيها نستطيع أن نستشهد بما ورد في كتاب **" العبر "** الذي وضعه العلامة العربي المسلم **"عبد الرحمن ابن خلدون "**، ذلك الكتاب الذي اشتهر فيما بعد ب **" مقدمة ابن خلدون "**، هذا فضلا عن موقف **"كارل ماركس "** من الفلسفة الوضعية ورفضه لآراء كونت، وبالتالي رفضه للتسمية التي أطلقها،واقترح تسمية العلم الجديد **"علم المجتمع "** [٢].

المرحلة الثالثة : مرحلة التطور : وفيها قدم لنا عالم الاجتماع الإنجليزي **" جيد بنجز "** اقتراحا آخر يقبل فيه تسمية **" كونت "** مع إضافة وصف آخر إليها،**بحيث تصبح التسمية**

---

(١) مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الأول، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٨، ص ١٦١.

(٢) رينيه مونيه : المدخل إلى علم الاجتماع، ترجمة السيد محمد بدوي، دار الثقافة للنشر، الإسكندرية، ١٩٦٩، ص ١٤.

الجديدة للعلم هي "**علم الاجتماع الاستقرائي**"، كما يحتفظ عالم الاجتماع الفرنسي " **رينيه هونيه** " بنفس تسمية كونت غير أنه يفضل تسميته " **علم الاجتماع المقارن** "[1].

من الواضح أن علم الاجتماع **لم تظهر له تسمية واحدة**، وهنا نتساءل " بأي شيء نفسر الاختلاف أو التباين بين التسميات العديدة التي ظهرت لعلم الاجتماع عبر تاريخ نشأته وتطوره ؟، وللإجابة على هذا التساؤل يتضح أن الاختلاف بين هذه التسميات يمكن رده إلى اعتبارين هما [2]:

الأول : أن التسمية المفضلة لدى بعض هؤلاء العلماء كانت تستند إلى تصور محدد **لموضوع علم الاجتماع**، فمثلا تصور " **سان سيمون** " لموضوع علم الاجتماع بأنه "دراسة لوظائف الظواهر الاجتماعية مثلما تدرس العلوم الطبيعية وظائف الظواهر الطبيعية "، وهذا الذي جعله يطلق على علم الاجتماع اسم " **الفسيولوجيا الاجتماعية** "، أيضا أدى تصور " **كارل ماركس** " لموضوع علم الاجتماع بأنه "دراسة لبناء المجتمع إلى رفض تسمية علم الاجتماع واقترح اسم " **علم المجتمع** " له.

الثاني : هو أن التسمية المفضلة لدى البعض الآخر من العلماء،كانت تستند إلى تصور محدد **للمنهج الذي يجب اتباعه** في هذا العلم، حيث يستند " **جيد بنجز** " في تسمية علم الاجتماع الاستقرائي،إلى اعتقاده بأن المنهج الذي يفضل اتباعه في **علم الاجتماع هو** "**المنهج الاستقرائي**،الذي يتدرج فيه الباحث من الملاحظات الفردية للظواهر موضوع الدراسة حتى يصل إلى نتيجة عامة "، بمعنى أن **الباحث** ينتقل من الخاص إلى العام، أو من الجزئي إلى الكلى،أو من البسيط إلى المركب، وذلك عكس المنهج الاستنباطي،ومن ناحية أخرى كان "**رينيه هونيه** " يستند في تسمية العلم " **علم الاجتماع المقارن** " إلى اعتقاده أن المقارنة هي المنهج الأساسي في كل دراسة اجتماعية.

([1]) على عبد الرازق جلبي : مقدمه في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ١٨.

([2]) نفس المرجع السابق : ص ص ١٨ – ١٩.

ثانيا : تعريف علم الاجتماع :

كانت **عملية تعريف علم الاجتماع** ولا تزال تمثل واحدة من المشاكل الجوهرية التي ظهرت مع بداية ظهور هذا العلم **واستمرت مع** تطوره،وإن كانت هذه المشكلة لم تصادف الاهتمام الكاف والعناية الدقيقة من **جانب علماء الاجتماع** منذ اللحظة الأولى،إلا أنها اليوم تحظى بأهمية بالغة من جانب علماء الاجتماع المحدثين وذلك لتقريب وجهات النظر التي قد تتصارع على مسرح هذا العلم [1].

ولم يكن تعريف علم الاجتماع سهلا أو أمرا يتم الاتفاق عليه دون جدل، ذلك لأن تعريف هذا العلم مرتبط ارتباطا تاما بموضوعه ومنهجه، بل وبعلاقاته بغيره من العلوم الاجتماعية وغير الاجتماعية،وقد ترتب على ذلك أن تعددت تعاريف علم الاجتماع بتعدد العلماء وبتعدد النظريات والمذاهب التي اتجهت وجهات متعارضة في تحديد الحقيقة الاجتماعية وتفسيرها.

لذا كان من الضروري أن نعرض لعدد من التعريفات التي تنبع من إطارات واتجاهات ونظريات مختلفة كما يلي :

١- نلاحظ أن **"أوجست كونت"** قد عنى بتعريف الظاهرة الطبيعية والكيميائية والبيولوجية وتحديد موضوعات هذه العلوم، ولكنه لم يعطنا تعريفا للظاهرة الاجتماعية أو تحديدا لموضوع **علم الاجتماع**،لأن هذا العلم **في نظره يدرس** كل الظواهر التي لا تدرسها العلوم **الأخرى السابقة** عليه في الظهور، وكان يرى من العبث تحديد الظاهرة الاجتماعية لأن الظواهر الإنسانية كافة بما في ذلك الظواهر الاجتماعية، ولذلك فالإنسانية في نظره هي موضوع العلم،وهى الحقيقة التي يرى أنها جديرة بالدراسة والبحث [2].

---

(١) غريب سيد أحمد وآخرون : المدخل إلى علم الاجتماع المعاصر، دار الكتب الجامعية، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٧.

(٢) مصطفى الخشاب : مرجع سابق، ص ١٦٩.

٢- أما "**هربرت سبنسر** "فكان يرى أنه يتعين أنه يتعين على علم الاجتماع أن يصف ويفسر نشأة وتطور النظم الاجتماعية " كالأسرة، الضبط الاجتماعي، العلاقات بين النظم "، وأنه يتعين على علم الاجتماع أن يقارن بين المجتمعات على اختلاف أنواعها، وبين المجتمعات على اختلاف تطورها، وأن يتناول ظواهر البناء والوظيفة كما تبدو في المجتمعات بصفة عامة (١).

٣- وكان "**إميل دور كايم** "يجعل من الظواهر الاجتماعية الموضوع الرئيسي لعلم الاجتماع، ومن ثم حدد الخواص التي تميز هذه الظواهر عن غيرها من ظواهر الطبيعة والحياة غير الإنسانية وذلك في كتابه " **قواعد المنهج في علم الاجتماع** " (٢).

٤- **ولكن** " **ماكس فيبر** " يقدم تعريفا عاما لعلم الاجتماع بأنه " العلم الذي يحاول الوصول إلى فهم تفسيري للفعل الاجتماعي من أجل التوصل إلى تفسير سببي لمجراه ونتائجه ".

٥- أما " **فلفريدو باريتو** " فيرى أن علم الاجتماع هو" العلم الذي يدرس الظواهر الاجتماعية في تفاعلها بعضها مع بعض، وفى أثر كل **منها على الأخرى**، كما يدرس الوظائف التي تؤديها هذه الظواهر والارتباط بينها " (٣).

٦- ويرى " **تالكوت بارسونز** "أن علم الاجتماع ينصب اهتمامه على دراسة الأنساق الاجتماعية (٤).

٧- مال كثير من علماء الاجتماع منذ ظهور علم الاجتماع حتى **اليوم إلى** تعريف مختصر وهو " أن علم الاجتماع علم المجتمع، باعتبار أن المجتمع عبارة عن سلوك أي جماعة مكونة من أعضاء يحيون حياة متساندة ووسيلتهم إلى ذلك التفاعل والعلاقات المتبادلة، **وعلى ذلك يكون**

---

(١) محمد الجوهري وآخرون : مقدمة في علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠ ، ص ٣٨.

(٢) محمد عاطف غيث : علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة،١٩٦٣، ص ٥٧.

(٣) محمد عاطف غيث : مرجع سابق، ص ١٠٨.

(٤) على عبد الرازق جلبي : مرجع سابق، ص ٢٢.

موضوع علم الاجتماع دراسة السلوك الاجتماعي الإنساني، مع التأكيد على أهمية التفاعل الإنساني الذي يعبر عن سلوك الإنسان في علاقته بإنسان آخر، **وهذا يعنى أن علم الاجتماع هو** " مجموعة من التعليمات المترابطة تدور حول السلوك الاجتماعي الإنساني الذي نصل إليه عن طريق استخدام المناهج العلمية " [1].

٨- يعرف **" أوجبرن ونيمكوف "** علم الاجتماع بأنه " الدراسة العلمية للحياة الاجتماعية "، فيقولان أن **الحياة الاجتماعية** تقوم على التفاعل، والتفاعل يؤدى إلى التنظيم الاجتماعي، الذي يؤدى بدوره إلى خلق أشياء كثيرة "كالمباني والموسيقى والأخلاق والآلات"، أي إلى خلق الثقافة، وما دام **علم الاجتماع** يدرس هذا كله فإنه صالح لأن يكون علما عاما يعالج الخصائص **المشتركة بين الجماعات** والمجتمعات المختلفة [2].

٩- أما **" سوركين "** فيرى أن علم الاجتماع علم عام وخاص في نفس الوقت، فهو عام" لأنه يدرس الخصائص العامة للعالم الاجتماعي الثقافي ككل، وهو خاص لأن دراسة هذه الخصائص تقتضي تخصصا لا يقل عن تخصص علم الطبيعة أو الاقتصاد [3].

١٠- ويرى **" روبرت ماكيفر "** أن علم الاجتماع هو دراسة للعلاقات الاجتماعية التي يتكون من نسيجها المجتمع، كما أنه يعتقد أن علم الاجتماع بدراسته للمجتمع على هذا النحو يحدد علاقته من العلوم الأخرى، لأنه لا يوجد علم آخر يجعل المجتمع موضوعه الأساسي في الدراسة، وهذا يعنى أن **" ماكيفر "** يرى أنه طالما كان موضوع علم الاجتماع دراسة المجتمع، فإنه لا يدرس الثقافة، ولا يتعرض لها إلا في أضيق الحدود عندما تكون الإشارة إلى المؤثرات الثقافية ضرورية في فهم العلاقات الاجتماعية أو المجتمع ككل، ويحاول **ماكيفر** أن يبرر وجهة نظره فيقول " أننا في علم الاجتماع لا ندرس الدين كدين، ولا الفن كفن، ولا الاختراع كاختراع، وإلا فسوف نواجه كل نشاط الإنسان وكل ما

---

(1) محمد عاطف غيث : علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ٢٥.

(2) Ogburn & Nimkoff,A. Hand Book of sociology, London,1960.pp 13–15.

(3) Sorokin,p: Society, Culture and Personality, N. Y , 1947,P.17.

تعلمه خلال تاريخه الطويل، وربما كان ماكيفر يعتقد أن دراسة الثقافة تفصيلا وبيان آثارها على الحياة الاجتماعية موضوع علم آخر هو الأنثربولوجيا الثقافية، ولكن القدر الذي يعطيه علماء الاجتماع اليوم للثقافة واهتمامهم بإبرازها في التحليل السوسيولوجى،يدل على أن علم الاجتماع وهو يحاول أن يتعمق الحقيقة الاجتماعية يجتهد أن يبرز المؤثرات الهامة في بنائها وتغيرها، وربما كانت دراسات التغير الاجتماعي هي النقطة الحاسمة في الرد على ماكيفر، لأن أحدا في ميدان علم لاجتماع لا يستطيع أن يدرس التغير دون أن يركز على أهم عوامله " الثقافة " [1].

١١- ويرى **" جونسون "** أن علم الاجتماع هو العلم الذي يتناول بالدراسة الجماعات الاجتماعية،من حيث صور أو نماذج تنظيمها الداخلي،والعمليات التي تميل إلى استمرار أو تغير هذه الصور التنظيمية والعلاقات التي توجد بين الجماعات [2].

وهذا يعنى أن **جونسون** يعرف **علم** الاجتماع في ضوء الفعل الاجتماعي الهادف الذي يتحرك لبلوغ غايته داخل الجماعة، وما يترتب على الوجود الاجتماعي من تفاعل وعلاقات وصور متعددة للنشاط،تشمل كل مطالب الإنسان، ونظرا لأن الثقافة تهيئ وتعدل وتغير عددا كبيرا من مطالب الإنسان هذه، فإن جونسون يهتم بدراستها وخاصة لما لها من تأثيرات جوهرية في عمليات هامة في المجتمع كالتنشئة الاجتماعية.

مما سبق ومن خلال العرض السابق لعدد من التعريفات التي أوردها علماء الاجتماع،بشأن ماهية علم الاجتماع،نجد أنهم لا يتفقون **على تحديد واضح** ومحدد لماهية علم الاجتماع، ولعل هذا **يمكن** إرجاعه إلى عاملين هما :

الأول : الخلاف على طبيعة العلم وخصائصه بالتطبيق على دراسة المجتمع، وينحصر الخلاف هنا على نوع الحقائق التي تصلح للمعالجة العلمية، وخصائص المنهج الصالح للتطبيق، ومثال ذلك ما ذهب إليه **" لندبرج "** من أن علم الاجتماع يمكن أن يستخدم مناهج

([1]) Maciver & Page : Society , london , 1953,pp.50-53.

([2]) Johnson.H : Sociology,london,1961,pp.2-6.

وأفكار العلوم الطبيعية، لأنه هو الآخر علم طبيعي،وما ذهب إليه آخرون من أن الحقيقة الاجتماعية من طبيعة مختلفة عن الحقيقة الطبيعية، ولذلك تتطلب معالجة مختلفة.

الثاني :الخلاف على الوحدة الاجتماعية في التحليل السوسيولوجي وأبعادها أو الأساس الذي يقوم عليه المجتمع " هل هو الفعل أو العلاقة أو الجماعة "، وأي منهم يمكن اعتباره أصغر وحدة تصلح كنقطة بدء في الدراسة.

وأخيرا.... يمكن القول بأن علم الاجتماع هو " **علم وصفي تقريري يرمي إلى دراسة شئون الحياة الاجتماعية من ظواهر ونظم وعلاقات، دراسة علمية تحليلية مقارنة لشرح ما هو واقع، وليس لبيان ما ينبغي أن يكون** ".

ثالثا : استقلال علم الاجتماع :

يمكن القول بأن العلامة العربي المسلم " **عبد الرحمن ابن خلدون** " هو أول من قرر ضرورة قيام علم العمران والمجتمع البشرى، وأول من اعتبره علما مستقلا بذاته،فحدد موضوعاته وعالج مسائله ووصل إلى طائفة غير يسيرة من القوانين الاجتماعية،غير أن بحوث ابن خلدون لم يتح لها ما كانت تستحقه من الذيوع والانتشار،ولذلك غمضه التاريخ حقه ونسب الفضل في إنشاء هذا العلم إلى الفيلسوف الفرنسي " **كونت** " فهو أول من وضع في الفلسفة الحديثة كلمة **sociology** ومعناها علم الاجتماع، وقرر أنه أنشأ هذا العلم لتحقيق وحدة التفكير الوضعي وعموميته، غير أنه لم يكن موفقا في التزام أسس الدراسة التي نبه إليها،ولذلك جاءت قوانينه أقرب إلى التصورات والفروض الفلسفية، ثم جاء تلميذه " **دور كايم** " فبذل جهدا لتخليص علم الاجتماع من الفلسفة،ووضع دعائم أساسية يرسى عليها هذا العلم قواعده،ثم درس موضوعاته وعالج مسائله ووصل من هذه الدراسة إلى تقرير طائفة من القوانين الاجتماعية.

ومنذ ذلك الحين اهتم العلماء بهذا العلم الجديد الذي تزعم رغم حداثته سائر المعارف،واعتبر علم العلوم وأسماها قصدا وأنبلها غاية،لأنه يدرس الاجتماع الإنساني ونظمه وظواهره.

وكان من الطبيعي أن أول ســـؤال يثيره المفكرون هو " **إلى أي حد يعتبر علم الاجتماع علما مســتقلا ؟، وإلى أي مدى تتوافر فيه شــروط العلم المســتقل ؟** "،وللإجابة على هذا التساؤل يتطلب الوقوف على الشروط الضرورية للعلم المستقل، والوقوف على مبلغ توافرها في علم الاجتماع، وأهم هذه الشروط [1] :

أ- **وجود طائفة متميزة من الظواهر يتخذها العلم موضوعا للدراسة والبحث** : وهذا الشرط ضروري، لأن ظواهر العلوم إن لم تكن مستقلة استقلالا نسبيا لاختلطت موضوعات هذه العلوم،ويكاد ينفرد " **دور كايم** " في تشــخيص الظاهرة الاجتماعية وإبراز خصــائصــها،وهذه الظواهر يتخذها علم الاجتماع مجالا لدراسته، وتمتاز هذه الظواهر بما يلي:

١- تعرف الظاهرة الاجتماعية "بأنها نتائج تأثير شــخص أو جماعة أو مجتمع محلى على شـخص آخر، وينطوى هذا التأثير على كل نماذج السـلوك الذي يحدث بين الناس وعلى جميع المواقف الاجتماعية.

٢- الظواهر الاجتماعية " تلقائية "ليسـت من صـنع فرد أو بضـعة أفراد، ولكنها من صـنع المجتمع ومن خلقه، وتظهر على مسرحه بصورة طبيعية تلقائية.

٣- أنها " تمثل جانبا جديدا في حياة الإنســان " فإذا كان الإنســان بمقتضــى طبيعته النفسية يشعر ويحس ويتألم ويتخيل،وإذا كان بمقتضى طبيعته البيولوجية يأكل ويشرب ويتنقل من مكان لآخر، فإن طبيعته الاجتماعية الجديدة تفرض عليه أن يعيش في مجتمع ويتعامل مع أفراده ويتفاعل معهم ويخضع للأوضاع السياسية والاقتصادية والتربوية واللغوية الكائنة بالمجتمع.

٤- الظاهرة الاجتماعية تتصــف " بالعمومية والانتشــار " أي يشــارك فيها معظم المجتمع.

---

(١) مصطفى الخشاب : مرجع سابق، ص ص ٧ – ٩.

٥- تمتاز بأنها " مترابطة ومتداخلة " ويفسر بعضها البعض، ويؤثر بعضها في البعض،فلا يمكن دراستها منفصلة عن بعضها أو منفردة،فالأسرة كظاهرة اجتماعية مثلا مرتبطة بالظواهر الاقتصادية، والاقتصادية مرتبطة بالسياسة...وهكذا.

٦- الظاهرة الاجتماعية " تاريخية " بمعنى أنها سابقة في الوجود على الوجود الفردي.

٧- أنها تتسم " بالقسر والجبر والإلزام " فهي تستطيع أن تفرض نفسها على الفرد أراد ذلك أم لم يرد.

٨- الظاهرة الاجتماعية " معقدة " أي لا يمكن إرجاعها لسبب واحد لأنها تعود إلى عوامل متعددة.

٩- الظاهرة الاجتماعية " نسبية ومتغيرة من حيث الزمان والمكان "، فالزواج مثلا يختلف من حيث تطور أشكاله على مر العصور،كما أنه يختلف من مجتمع لآخر.

ب - خضوع هذه الطائفة من الظواهر لمنهج علمي : نجد أن لعلم الاجتماع مناهج متعددة تخضع لها ظواهره في دراستها، فكان **" المنهج التاريخي "** هو أول المناهج التي استخدمها علم الاجتماع في بادئ الأمر، تلاه **"المنهج التجريبي،ومنهج دراسة الحالة،والمسح الاجتماعي** ".

ج- الوصول إلى طائفة غير يسيرة من القوانين والنظريات العلمية : فلقد توصل علماء الاجتماع في ضوء المناهج السابقة إلى طائفة غير يسيرة من القوانين الاجتماعية،وإن كانت هذه القوانين لا تزال محدودة،ولم تصل بعد إلى مرحلة القوانين الطبيعية،فإن ذلك لا يقلل من شأنها باعتبار أن علم الاجتماع علم حديث.

رابعا : موضوع علم الاجتماع :

تكاد تكون معظم الاتجاهات العامة متفقة على أن موضوع العلم هو" **دراسة المجتمع في بنيته ونظمه وظواهره،دراسة علمية وصفية تحليلية، الغرض منها الوصول إلى القوانين التي تحكمها** "، ولكن ميدانا واسعا كهذه الرسعة قد يقضي على شخصية العلم

ويسيء إليه، وهذا ما دعا علماء الاجتماع إلى تحديد ميدان العلم وتضييق اختصاصاته، غير أنهم اختلفوا في بحث هذا الموضوع،وانقسموا إلى ثلاث طوائف هي[1]:

الأولى : مدرسة العلاقات : يرى أنصار هذه المدرسة أن موضوع علم الاجتماع هو " **دراسة العلاقات الاجتماعية** "، ويتزعم هذه المدرسة " جورج سيمل،الفريد فركانت، ماكس فيبر " ويبنى هذا الفريق رأيه، على أساس الفصل بين **شكل العلاقات الاجتماعية ومضمونها**، فإذا درست من حيث **شكلها** " أي طبيعتها الصورية " كانت موضوع علم الاجتماع، أما إذا درست من حيث **مضمونها** كانت موضوع لعلم آخر،لأن العلاقات **التي تنشأ بين الأفراد** كالتنافس والخضوع موجودة في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية، فهناك تنافس وصراع في شئون السياسة والاقتصاد، وهناك خضوع في الأسرة وفى دور العبادة،ووظيفة **علم الاجتماع هو " تحليل هذه المظاهر المختلفة للعلاقات الاجتماعية** حتى تتعرف على خصائصها ومقوماتها، ثم محاولة تفسيرها في صورتها المجردة بعيدا عن مضمونها الاجتماعي ".

وقد تعرضت آراء هذه المدرسة لانتقادات أدت إلى انقسامها إلى اتجاهين :

الأول : أصر على دراسة العلاقات الاجتماعية مجردة.

الثاني : وانقسم إلى :

- **أ° يرى بدراسة العلاقات الاجتماعية الثابتة والمنظمة فقط كما هي في الواقع.**
- **ب° يرى بدراسة العلاقات الثابتة وغير الثابتة المنظمة وغير المنظمة.**

الثانية : المدرسة الاجتماعية : ويذهب هذا الفريق إلى " **ضرورة قيام علوم اجتماعية جزئية بجانب علم الاجتماع،يتناول كل منها دراسة ناحية من نواحي الحياة الاجتماعية، على أن تقتصر وظيفة علم الاجتماع العام على وضع المبادئ العامة وتصوير السمات العامة للحياة الاجتماعية وتنسيق النتائج ووضع مناهج البحث**

([1]) انشراح الشال : مدخل في علم الاجتماع الإعلامي، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٥، ص ص ١٨ – ٢٠.

"، ويشبه هذا الفريق علم الاجتماع بشجرة كبيرة جذورها في أرض **المجتمع** وساقها هو **علم الاجتماع العام**، وفروعها وأغصـــانها هي **العلوم الاجتماعية الفرعية**، وثمارها هي القوانين الاجتماعية، ومن أعضـاء هذا الفريق " **دور كايم، جند برج، سـان سـيمون، ووارد.....** "، **ومن هنا يجب أن نؤكد أن آراء هذا الفريق أكثر واقعية وتعبيرا عن طبيعة علم الاجتماع وطبيعة الموضوعات التي يقوم بدراستها وبحثها .**

الثالثة : أصـحاب الآراء الخاصـة : وعلماؤه لا يمثلون اتجاها محددا، ولكن آرائهم تعبر عن وجهات نظرهم الخاصـة،فمنهم من يذهب إلى أن موضـوع علم الاجتماع هو دراسـة **التغير الاجتماعي**،ومنهم من يذهب إلى أن موضـوع علم الاجتماع هو **دراسـة النظم الاجتماعية**، ومنهم من يرى أن العلم يجب أن يدرس المقومات التي تدفع بالمجتمع إلى **التطور** وتؤدى به إلى الوحدة والتآلف بين أفراده.

خامسا : أغراض علم الاجتماع :

من المعروف أن **علم الاجتماع علم نظري** هدفه دراسـة حقائق الاجتماع،دراسـة علمية وصفية تحليلية بنفس الطريقة التي تدرس بها العلوم الطبيعية والكونية ظواهرها، أي أنه يهتم بالدراسة التقريرية الموضوعية دون أن يتأثر بوجهات النظر الخاصة،وبدون أ ن يكون هناك مجال لتدخل الآراء الشخصية والأهواء والأفكار السابقة،ولذلك **فإن الأغراض التي يرمى إليها أغراض نظرية** في معظمها،ولما كان علم الاجتماع علما إنســـانيا فينبغي الانتفاع بنظرياته وبحوثه في الارتقاء بأحوال الجنس البشرى، وهذا يعنى أن علم الاجتماع له [1]:

أ- **أغراض نظرية** : تتمثل في :

١-دراسـة الحقائق الاجتماعية وظواهر المجتمع للوقوف على عناصـرها وكيف ومم تتكون ولمعرفة المبادئ العامة للحياة الاجتماعية والدعائم التي ترتكز عليها.

---

(١) أحمد رأفت عبد الجواد : مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٩٠، ص ص ٢٦ – ٢٧.

٢- دراسة أصل الظواهر والحقائق الاجتماعية والتطورات التي مرت بها على مر العصور، والعوامل التي أدت إلى هذا التطور وساعدت عليه، لأن الظواهر الاجتماعية متطورة متغيرة بتغير الزمان والمكان.

٣- دراسة وظائف الظواهر الاجتماعية، وتطور هذه الوظائف مع الزمان واختلافها مع المكان، إذ أن لكل ظاهرة وظيفتها الخاصة، فمثلا الزواج وظيفته تنظيم العلاقة بين الرجال والنساء.

٤- بحث العلاقات الاجتماعية والروابط المختلفة، والتعرف على مدى التفاعل الذي يحدث بين الأفراد وبعضهم، وبين الجماعات وبعضها.

٥- دراسة العلاقات والتأثيرات المتبادلة ما بين الأفراد والتجمعات الإنسانية، وبين الظروف البيئية والطبيعية والجغرافية.

٦- يهدف علم الاجتماع إلى الكشف عن القوانين والنظريات الاجتماعية التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية، سواء في أصلها ونشأتها، أو في تغيرهما وتطورهما أو في تأثيراتها المتبادلة.

ب- **أغراض عملية** : إن نظريات علم الاجتماع والقواعد العامة **التي يتم** التوصل إليها في ميدان دراسة المجتمع تفيد **عمليا في مشاريع الإصلاح والتخطيط الاجتماعي**، فعلم الاجتماع بكشفه عن الحقائق الاجتماعية يساعد بلا شك على توجيه **الإصلاح** المنشود وفق ما تتطلبه ظروف المجتمع ودرجة تطوره.

سادسا : علاقة علم الاجتماع بالعلوم الأخرى :

يرتبط علم الاجتماع بطائفة لا حصر لها من البحوث والدراسات العلمية **التي تمده وتغذيه بمعلومات زاخرة تخدم أغراضه في الوصول إلى القوانين الاجتماعية** لذلك نجده على صلات وثيقة بمختلف العلوم كما يلي :

صلته بعلم التاريخ : يرتبط علم الاجتماع **بعلم التاريخ**، لأن عالم **الاجتماع لابد من رجوعه إلى الماضي للوقوف على طبيعة الحقائق الاجتماعية** وتطورها ومعرفة الوظائف التي كانت تؤديها

النظم الاجتماعية، وهذا لا يتأتى إلا بالرجوع إلى التاريخ لأنه سجل الماضي الحافل بمختلف مظاهر النشاط الإنساني.

وعلى **الباحث الاجتماعي** أن يختار من الحقائق التاريخية ما يخدم أغراضه التي تكون في كثير من الأحوال متممة أو مصححة لعمل المؤرخ، فلابد من رجوعه إلى **تاريخ الآداب** والفلسفة والقانون والنظم والفنون،لأن هذه الألوان التاريخية تعكس لنا تاريخ الأمم، وتصور لنا عاداتها وتقاليدها وعرفها، وما كانت تزاوله من طقوس وعادات (١)، كما **يجب على المؤرخين** أن يستفيدوا من النظريات الاجتماعية،ويصححوا حقائقهم في ضوء ما تقرره القوانين التي تسير وفقا لها ظواهر العمران.

صلته بعلم الجغرافيا : فعلم الجغرافيا يدرس البيئة الطبيعية وما تحويه من **موارد تحت الأرض** كالمعادن المختلفة،وما فوقها كالنباتات والغابات والجبال،بالإضافة إلى التضاريس والمناخ،كل ذلك له تأثير في **نشاط الأفراد وفى توجيههم** الاقتصادي وعلى عاداتهم وتقاليدهم.

ولقد غالى كثير من المفكرين أمثال **" ابن خلدون "** في تقدير قيمة العوامل الجغرافية ومبلغ تأثيرها في شئون الحياة الاجتماعية،غير أن هذه المغالاة كانت تنطوي على خطأ بالغ، لأن الإنسان إذا كان يخضع في تكيفه لظروف البيئة الجغرافية، فإنه أيضا هو الذي استطاع أن يوجد البيئة التي تلائمه وترضيه،وهو الذي لا يكف عن المحاولات **تلو المحاولات ليسخرها وفق إرادته** ويستغلها وفق حاجته (١) ٢.

صلته بعلم الاقتصاد :إذا كان علم الاقتصاد يدرس وسائل الإنتاج والتوزيع، فإن علم الاجتماع يدرس أثر توزيع الثروة على نظام الطبقات الاجتماعية، ومدى الفروق الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد، وأثر هذه الفروق على كيان المجتمع بصفة عامة،كما أن علم

---

(١) نفس المرجع السابق : ص ٣٢.

(٢) حسن همام وآخرون : مدخل إلى علم الاجتماع، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٧٦.

الاجتماع في حاجة إلى دراسة النظريات والمذاهب الاقتصادية، ومدى تأثيرها على المشاكل الاجتماعية المختلفة.

فبينما يدرس الاقتصاد ظاهرة التداول مثلا على أنها حقيقة واحدة تتداول بمقتضاها السلع بطريق النقود، فيبحث في الأسعار والعوامل التي تؤدى إلى انخفاضها وارتفاعها بمقتضى قوانين العرض والطلب،التي تقرر أنه كلما زاد العرض وقل الطلب انخفض السعر وبالعكس، كلما قل العرض وزاد الطلب ارتفع الثمن،بينما علم الاجتماع ينظر لتلك الظاهرة على أنها متطورة ومتعددة، وتختلف باختلاف المجتمعات، فيثبت أن التداول كان ولا يزال في بعض المجتمعات المتخلفة يقوم على أساس المقايضة أو الهدايا الملزمة التي تتبادلها القبائل في مناسبات اجتماعية خاصة " كالمواسم والأعياد والحفلات الدينية "،وأن النقود ليست هي الوسيلة الوحيدة لتداول السلع والخدمات (١).

صلته بعلم السياسة : لكل مجتمع نظامه السياسي الذي يشمل شكل الحكومة واختصاص **السلطات القائمة فيه**،**وحقوق** الأفراد وواجباتهم،وعلم **الاجتماع يدرس مدى تأثير هذه النظم السياسية على النظم الاجتماعية** الأخرى في المجتمع،فمثلا إذا كان النظام السياسي القائم في مجتمع ما يقوم **على الروح** الديموقراطية، فإن لذلك أثره في نواحي الحياة المختلفة في هذا المجتمع،فيتأثر بها التعليم وحرية الرأي والحرية الاقتصادية.

فعلم السياسة مثلا يهتم بوضع دستور المجتمع **يحدد اختصاصات** هيئاته " التشريعية، التنفيذية، القضائية "،بينما علم الاجتماع يعنى بدراسة أثر النظام السياسي على الوظائف الاجتماعية، وعلى حقوق الأفراد وواجباتهم، ويقارن بين أثر النظم السياسية المختلفة على هذه النواحي في المجتمعات التي تتباين في نظامها السياسي (٢).

صلته بعلم النفس : يبحث علم النفس في دراسة سلوك الإنسان وغرائزه وانفعالاته وميوله الفردية، ولما كان الفرد لا يعيش إلا في وسط جماعي، فإنه يتكيف ويتأثر بالبيئة

---

(١) انشراح الشال : مرجع سابق، ص ص ٢٧ – ٢٨.

(٢) محمد عاطف غيث : مرجع سابق، ص ص ٥٥ – ٥٦.

الاجتماعية،وينتج عن ذلك أنواع من النشـــاط النفســـي لا يمكن أن يدرســـها علم النفس الفردي، فظاهرة " المحاكاة والتقليد والميول الاجتماعية كالمشـــاركة الوجدانية والتعاون،ودراسة الذوق العام والقيادة والزعامة وآثارها على المجتمعات والرأي العام "، كل تلك الأمور وما إليها أصبحت موضوعا مشتركا بين علم النفس وعلم الاجتماع، بل أن فرع علم النفس الذي يعنى بدراسة هذه النواحي يعرف الآن باسم " علم النفس الاجتماعي"[1].

صلته بعلم الاجتماع الإعلامي :إذا كان علم **الإعلام يدرس خصائص** وسائل الإعلام المختلفة وتطورها وانتشارها، فإن علم الاجتماع يدرس اختلاف وسائل الإعلام **باختلاف المجتمعات**، فبينما **يدرس علم** الإعلام الخصائص العامة لكل وسيلة من وسائل الإعلام، فإن علم الاجتماع يدرس النظم الاجتماعية التي تؤثر في هذه الوســـائل داخل المجتمع، إذ أن علم الاجتماع ينظر إلى هذه الوسائل على أنها متعددة ومتطورة، وترتبط بظروف المجتمع الذي تعمل فيه، أي أنها لا تعمل منفردة، بل تتأثر كما تؤثر في النظم والظواهر الاجتماعية الأخرى [2].

فوسائل الإعلام مثلا في القرية تختلف عن وسائل الإعلام في المدينة، وإذا كانت السمة الغالبة على نظام الحكم في مجتمع ما هي الديكتاتورية، فإن ذلك ينعكس على وسائل الإعلام التي تصـــبح يومئذ بوقا للجهاز الحاكم،بل إن ذلك يؤثر أيضـــا في حجم الإعلام داخل هذا المجتمع الذي ينعدم فيه صـوت المعارضـة، كذلك النظام الاقتصـادي في المجتمع يتأثر ويؤثر في وسائل الإعلام،فإن دور **وسائل الإعلام يختلف في دولة رأسمالية** عنه في دولة اشتراكية، كما أن محتوى وسائل الإعلام نفسه يختلف باختلاف النظام الاقتصادي..وهكذا.

من خلال العرض السابق.....يتضح أن علم الاجتماع يرتبط ارتباطا وثيقا بمعظم فروع المعرفة، إلا أن هناك حقيقة يجب إبرازها، وهى أن طبيعة الدراســـة في علم الاجتماع

---

(1) انشراح الشال : مرجع سابق، ص ص ٢٩ – ٣٠.

(2) عبد الحليم محمود السـيد : علم النفس الاجتماعي والإعلام " المفاهيم الأسـاسـية "، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٩ ، ص ص ١ – ٢.

تختلف عنها في العلوم الاجتماعية الأخرى، ويمكن أن نفرق بين دراسة علم الاجتماع **لهذه الظواهر** ودراسة بقية العلوم الاجتماعية لها كما يلي :

١- أن وجهة النظر في كليهما مختلفة، فعلم الاجتماع يدرس الظواهر دراسة كلية، بمعنى أن عالم الاجتماع يعنى بدراسة التفاعلات والعلاقات المختلفة بين الظواهر بغض النظر عن الأغراض التي حدث من أجلها **من حيث كونها سياسية** أو اقتصادية أو أخلاقية.

٢- أن علم الاجتماع يدرس الظواهر على أنها ظواهر متعددة العوامل، أي تفسرها ظواهر اجتماعية أخرى، عكس بعض العلوم الاجتماعية الأخرى مثل علم الاقتصاد الذي يعزل الظواهر الاقتصادية ويحاول تفسيرها **بعوامل اقتصادية** بحتة.

٣- تتجه العلوم الاجتماعية الخاصة إلى التخصص الدقيق،الأمر الذي أدى إلى اختيارها لموضوعات براقة في الحياة الاجتماعية على حساب باقي الموضوعات، كما أدى **من جانب** آخر إلى محاولتها تحقيق أغراض تطبيقية عملية، بينما بقى علم الاجتماع علما نظريا يحاول الكشف عن حقيقة الظواهر الاجتماعية وقوانينها وعلاقاتها السببية والوظيفية.

الفصل الثاني

المجتمع والعمليات الاجتماعية

تمهيد :

ذهب **" تيماشيف "** إلى أن اختبار النظريات الاجتماعية الماضية والحاضرة تدور حول عدد قليل من المسائل من بينها موضوع المجتمع، فقد تساءلت هذه النظريات،عن ما هو المجتمع ؟ وما العلاقة بين المجتمع والثقافة والشخصية ؟ وما العوامل التي تحدد حالة المجتمع أو التغير فيه ؟.

ولقد اتفق **علماء الاجتماع** على أن دراسة **المجتمع** تمثل أحد موضوعات الدراسة الأساسية في علم الاجتماع، حيث يرى **" اليكس أنكلز "** أنه لا يتحتم على علم الاجتماع أن يقتصر على دراسة جانب واحد فقط من جوانب الحياة الاجتماعية، وإنما يمكنه دراسة الكيان الكلى، أي أن علم الاجتماع يمكن أن يتخذ **المجتمع وحدة للتحليل**،ومن ثم يصبح هدفه الكشف عن الصلات التي تربط النظم الاجتماعية التي تكون المجتمع.

كما أن العمليات الاجتماعية تنشأ بين الأفراد نتيجة لحدوث التفاعل فيما بينهم، فالإنسان كائن اجتماعي، والعلاقات الاجتماعية بين بنى الإنسان لا تنشأ إلا على أساس من التفاعل المقصود،ويختلف هذا التفاعل بحسب المفاهيم التي تتبناها المجتمعات، لذلك يتخذ هذا التفاعل أشكالا مختلفة باختلاف وتعدد مفاهيم المجتمعات.

ومن هذا المنطلق نعرض في هذا الفصل لما يلي :

أولا : ما المجتمع ؟.

ثانيا : العمليات الاجتماعية.

أولا : ما المجتمع ؟ :

يمثل المجتمع الموضوع الكبير الذي يكون ميدان الدراسة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ونظرا لضخامة هذا الميدان وتعدد أطرافه وتعقد مسالكه، فقد تخصصت علوم كثيرة في جزء أو آخر طلبا لمزيد من الدقة،وعلم الاجتماع حين يدرس المجتمع يحاول أن يغوص وراء الحقيقة الاجتماعية التي تفسر إمكانية المجتمع وشروط بقائه، وتكشف الستار عن أسباب التجمع والتفرق والتنوع والتغير،وما يترتب على هذا كله من نتائج على **الأفراد، وما يظهر** على سلوكهم بسبب تفاعلهم المستمر.

١- **تعريف المجتمع** :إذا كان **علماء الاجتماع قد اتفقوا** على أن دراسة المجتمع تعد من أهم الموضوعات التي يجب أن يدرسها علم الاجتماع،إلا أنهم قد اختلفوا اختلافا كبيرا حول تعريف المجتمع لفترة طويلة كما يلي :

١- يرى **" توماس إليوت Thomas Elliot "** المجتمع بأنه " جماعة من الناس يتعاونون لقضاء عدد من مصالحهم الكبرى، التي تشمل حفظ الذات ودوام النوع،وتقوم **فكرة المجتمع** على الاستمرار والعلاقات الإرتباطية المعقدة والتركيب الذي يتضمن ممثلين من الأنماط الإنسانية الأساسية،وعلى الأخص من الرجال والنساء والأطفال، ومن الطبيعي أن يكون هناك عنصر الإقامة في إقليم محدد،والمجتمع فوق هذا كله جماعة وظيفية حتى يمكن أن نحدده من حين لآخر في ضوء العلاقات المتبادلة " [١].

ويرى **"إليوت "**أن المجتمع هو أكبر جماعة إنسانية، ولهذا يجب أن نميز بين الجماعات غير الممثلة والتجمعات الأخرى " كالجمهور والمسافرين على سفينة، والمشاهدين لمباراة كرة القدم، أو المقيمين في معسكر الجيش "، وهذا يعنى أن **إليوت** يصور المجتمع من الناحية البنائية الوظيفية على أنه مجموع متفاعل من الرجال والنساء والأطفال يقيمون في أرض محددة ويتعاونون وظيفيا على البقاء وحفظ النوع.

([1]) Fairchild, H.(ed) : Dictionary of sociology , N.Y, 1944,p.300.

٢- ويشير " **بيسانز Biesanz** " إلى ضرورة التفرقة بين استعمال كلمة " مجتمع " في اللغة العادية، وبين استعمالها في العلوم الاجتماعية،فيقول : " أن المجتمع هو تنظيم العلاقات الاجتماعية لجماعة من الناس يسهمون في ثقافة مشتركة **ويتقاسمون الإحساس** بالمشابهة " [١].

فالمجتمع كما يرى" **بيسانز** "يبدأ بوجود مجموع من الناس،ولكن وجود هؤلاء الناس على قرب مكاني أو فيزيائي لا يجعل منهم جماعة اجتماعية، لأن الجماعة تقوم حين يقوم اثنان أو أكثر من الناس على صلة واعية الواحد بالأخر، وهذا الاتصال قد يكون مباشرا أو غير مباشر، ولكنه يشتمل على أي حال على وسائل الاتصال في مستوى رمزي، إما عن طريق الإشارة أو اللغة، كما أن هذا الاتصال يعنى أن سلوك فرد يتعدل **أو يعدل** سلوك الآخرين، بمعنى أن أعضاء يؤثر أحدهم في الآخر،كما أنهم يستجيبون بعضهم لبعض،وهم جميعا يستجيبون لمؤثرات تأتيهم من خارج الجماعة، **ومثل هذا التأثير المتبادل والاستجابة المتبادلة** التي تتم بين الأفراد والجماعات يقال لهما " **التفاعل المتبادل** ".

٣- أما "**أرنولد جرين Arnold Green**" فيقول:"أن المجتمع هو أكبر جماعة ينتمي إليها الفرد، ويتكون المجتمع من السكان والتنظيم والزمن والمكان والمصالح" [٢].

فكما يرى " **جرين** " أن الحياة الاجتماعية ما هي إلا تنظيم في المحل الأول كتقسيم عمل في إقليم مشترك **وعلى مستوى** أساسي دائم في الزمن،ويشترك جميع الأفراد في مصالح مشتركة،وتتحدد كل المصالح العامة الخاصة بطريقة تجعل الحياة الاجتماعية مكتفية بذاتها بين الأفراد.

٤- ويعرف " **ماكيفر وبيج Maciver & Page** " المجتمع على النحو الأتي " تعبر الكائنات الاجتماعية " الناس " عن طبيعتها بخلق ومعاودة خلق تنظيم يوجه ويهيمن على

([1]) Biesanz, Biesanz : Modern society, N. Y, 1954, PP.85-88.

([2]) Green.A, ; Sociology, N. Y, 1960,PP.21-22.

سلوكهم بطرق متعددة،ويحدد هذا التنظيم" المجتمع "ويضع الحدود لأوجه نشاط الناس،كما أنه **يضع المقاييس التي يسيرون ويحافظون** عليها، ومهما ظهر في المجتمع الإنساني من نقائص أو طغيان، فإنه شرط ضروري لتحقيق الحياة، والمجتمع إذن نسق من العادات والإجراءات والسلطة والمعونة المتبادلة، ويتكون من تجمعات وأقسام عديدة، ومن ضوابط السلوك الإنساني والحريات، ونحن نطلق على هذا النسق المعقد الدائم التغير اسم " **المجتمع** " وهو نسيج العلاقات الاجتماعية الذي يتغير باستمرار [1].

ولعل هذا التعريف يوضح أن المجتمع تنظيم أو نسق يتكون من العلاقات الاجتماعية المتغيرة، كما أوضح هذا التعريف القواعد التي تصب سلوك الناس في قوالب محددة وتخليهما عن فكرة ارتباط الثقافة بالمجتمع، لأنهما يعتقدان أن موضوع علم الاجتماع " دراسة المجتمع " وليس دراسة الثقافة،فإذا حدث كان لابد من التعرض للثقافة، فإن هذا التعرض يكون في الحد الأدنى اللازم لتوضيح الحقيقة الاجتماعية موضوع الدراسة، ومع هذا فقد أبرزا عددا من الشروط اللازمة لوجود المجتمع وهى الجماعات وضوابط السلوك، وأكدا فكرة التغير المستمر في العلاقات الاجتماعية،ونلاحظ أيضا أنهما لم يشيرا إلى المكان أو المصالح المشتركة بين الناس بصورة بارزة.

٥- ومن أهم التعريفات ذلك الذي قدمه" **هارى جونسون Harry Johnson** " والذي أوضح فيه وحدد الخصائص التي تميز المجتمع عن غيره من لمصطلحات التي تستخدمها العلوم الأخرى " كالأمة، الشعب..."، **فالمجتمع جماعة تتميز بالخصائص الآتية :**

أ° الإقليم " الأرض " المحدد.

ب° التكاثر عن طريق الجنس.

ت° الثقافة الجامعة.

ث° الاستقلال الاجتماعي.

([1]) Maciver & Page : op.cit, p.5.

نلحظ من خلال تعريف " جونسون " أن إدخال مقاييس أو خصائص أخرى في تعريف المجتمع سوف يؤدى إلى تعريف مثالي ليس مطابقا للواقع، ولذا يطالب بالابتعاد عن التعريفات المثالية،ورأى بضرورة أن نقتصر على الخصائص الأربع السابقة ذات الطابع العام بالنسبة لجميع المجتمعات،وإن كانت هناك إستثناءات.

نخلص مما سبق...أنه عندما ينشأ مجتمع ما تنشأ بين أفراده وجماعاته وهيئاته ومؤسساته علاقات اجتماعية متعددة الأشكال، متشابكة الأنواع،مركبة الأبعاد والألوان، وهى من أهم ضرورات الحياة في المجتمع، وهذه التفاعلات والعلاقات عبارة عن عمليات اجتماعية تقوم بين الأفراد في المجتمع.

٢- **أنماط المجتمعات** : لا أحد يستطيع أن ينكر المحاولات العديدة التي قام بها الكثير من علماء الاجتماع بشأن تصنيف المجتمعات الإنسانية المختلفة، ونجد أن كثيرا من هؤلاء العلماء قد قاموا بتطوير ثنائيات نظرية،وخاصة عندما شغلت أذهانهم قضية **" الفروق الريفية الحضرية "**،فقدموا ثنائيات تقابل بين نوعين متباينين من المجتمعات،يختلفان عادة اختلافا أساسيا في الخصائص والسمات المميزة لكل منهما،فنجد "هنري مين" **H.Maine** يميز بين مجتمع يرتكز على المكانة وآخر يستند على العقد، ويميز **" تونيز "** **F.Tonnies** بين المجتمع المحلى الذي تسود فيه روابط القرابة والعلاقات الأولية، وبين المجتمع الذي تسود فيه علاقات المصلحة والتعاقد، كما يعرض **" بيكر "** **H.Becker** ثنائية تقابل بين مجتمع علماني وآخر مقدس، بينما طور **" ردفيلد "** **R.Redfield** ثنائية تقابل بين مجتمع شعبي ومجتمع آخر حضري، كما نجد أن **" ماكيفر وبيج "** يمزجان بين اصطلاحات ثلاثة هي " المجتمع، المجتمع المحلى،الهيئة أو الرابطة " [١].

---

(١) السيد الحسيني، محمد على محمد: الفروق الريفية الحضرية في بعض الخصائص السكانية " المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٢٤٧.

وخلال الفترة من عام ١٩٢٠ حتى عام ١٩٣٠، نجد أن جماعة من علماء الاجتماع في جامعة شيكاغو قد بدأوا في دراسة عملية التحضر التي كانت تحدث في الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت، من هؤلاء " روبرت بارك " R.Park،"أرنست بيرجس" E.Burgess،"لويس ويرث "،ومنذ ذلك الوقت أدرك "ويرث" L.Wirth أن هناك أنماطا من المجتمعات، مثل المجتمعات الريفية والمجتمعات الحضرية، ويرى في مقالته بعنوان " الحضرية كأسلوب للحياة " التي نشرها عام ١٩٣٨، أن هناك عدة محكات أساسية يمكن عن طريقها التمييز بين المجتمعات الريفية والحضرية، إذ أن المجتمع الحضري يتميز بعدة خصائص عن المجتمع الريفي منها " الحجم الكبير، شدة الكثافة السكانية، اللاتجانس السكاني، سيادة الضوابط الرسمية ، شيوع العلاقات الجماعية الثانوية، النمو المصحوب بانهيار النسيج المعياري والأخلاقي في المجتمع [١].

هذا بجانب من يصنفون هذه المجتمعات إلى مجتمعات تقليدية، وأخرى حديثة، وهناك من قسم هذه المجتمعات إلى " المجتمعات التي تمر بمرحلة ما قبل الصناعة، المجتمعات الانتقالية أو النامية، المجتمعات الصناعية "، وهناك من صنف المجتمعات إلى " مجتمعات الصيد والجمع، المجتمعات الرعوية، مجتمعات الزراعة المتنقلة، المجتمعات الزراعية، المجتمعات الصناعية "، وهناك من يقسم المجتمعات إلى " المجتمعات التي تمر بمرحلة ما قبل الصناعة، المجتمعات الصناعية، المجتمعات الصناعية المتقدمة " [٢].

---

(١) ماكيفر وبيدج : المجتمع، ترجمة على أحمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١، ص ص ٢٨ – ٣٠.

(٢) نفس المرجع السابق : ص ٣١.

ثانيا : العمليات الاجتماعية :

ينظر بعض الباحثين إلى علم الاجتماع على أنه **" دراسة للعمليات الاجتماعية** أي للتفاعل الاجتماعي"، وتنطوي كل عملية اجتماعية على تقرير طائفة من العلاقات والروابط التي يخضع لها الأفراد، فالعملية أوسع نطاقا من العلاقة الاجتماعية، بيد أن بعض المفكرين لا يفرقون بينهما من حيث أن العلاقات هي نتيجة مباشرة للتفاعلات أو العمليات الاجتماعية.

وتختلف العمليات الاجتماعية في طبيعتها، فمنها ما هو **مباشر** مثل " العمليات الاجتماعية التي تقوم بين الرجل والمرأة في محيط الأسرة، وبين العامل **وصاحب** العمل في محيط المصنع"، **ومنها ما هو غير مباشر** مثل " العلاقات التي تربط المنتج بالمستهلك، والفرد بالدولة، وصاحب المصنع بالسوق الدولية "، ومن العمليات ما يؤدى إلى **التجمع**، وهى التي تسمى" **بالعمليات المجمعة** " مثل " **التعاون، الحب، الإخاء، الزواج** "، ومنها ما يؤدى إلى التنافر والانحلال، وهى التي تسمى " **بالعمليات المفرقة أو المفككة** " مثل " **الصراع، الكراهية، الحرب، الطلاق** ".

ومن العمليات ما هو **واضح ومستقر**، ومنها ما هو **غامض وغير مستقر** وينمو في الخفاء نموا خطيرا، مثل العمليات التي تؤدى إلى قيام المؤامرات والفتن والاغتيالات، والتي تؤدى إلى انتشار التيارات غير المشروعة مثل "الاتجار في المخدرات، وارتكاب الجرائم والسرقات، وهتك العرض، ودراسة هذه، ومن هذا المنطلق سوف نسلط الضوء على أهم **العمليات الاجتماعية المجمعة والمفرقة** كما يلي :

العمليات المجمعة :

١- **عملية التوافق : Adaptation**، وهى عملية بفضلها تتم الموائمة بين النشاط الإنساني وبين ظروف البيئة، وخاصة فيما يتعلق بالوسائل التكنولوجية التي يسلكها الأفراد والجماعات لتحقيق إشباع الحاجات الضرورية.

وقد انقسمت الجماعات منذ القدم في موقفها من مؤثرات البيئة ومبلغ ما تفرضه من قيود فبعض المجتمعات استطاعت أن تفك أسر البيئة وانطلقت في مدارج الحضارة، واستطاعت أن تبتكر وتخترع وتضع أصول ومقومات حضارية، وجماعات أخرى استسلمت لما تفرضه عليها البيئة الطبيعية وقنعت بما تقدمه لها من الموارد التي تسد رمقها، ولم تحاول أن تجهد نفسها لاستغلال مواردها استغلالا إيجابيا، وتعرف هذه الجماعات باسم جماعات التجمع السلبي [1].

٢- **التأقلم :Acclimatization**، وتتضح هذه العملية في الحالات التي تتطلب من الأفراد والجماعات التوافق مع وسط طبيعي جديد أو إقليم يختلف في ظروفه المناخية أو أحواله العامة عن البيئة الأصلية التي نشأوا فيها.

والواقع أن عملية **التأقلم** لا تعتبر عملية اجتماعية فحسب، بل هي أوسع من ذلك لأنها **عملية طبيعية**، تحدث في كل الممالك الحية " نباتية، حيوانية، بشرية"، فنجد أنواعا كثيرة من النباتات تنمو وتتكاثر في غير بيئاتها الأصلية، وبعض الحيوانات استؤنست في غير مواطنها، وكذلك الحال لبعض الجماعات البشرية في هجراتها المستمرة من وطن لآخر [2].

وهناك طاقة أو حد أقصى لتأقلم الكائن الحي بالظروف البيئية، وتختلف هذه الطاقة باختلاف الأجناس والجماعات والأفراد في نطاق الجماعة الواحدة، وفى ضوء هذه الظاهرة نستطيع أن نفسر الصعوبات التي تلاقيها السلالات الأوربية في مبلغ تأقلمها بالبيئات الحارة، لأن التأقلم يقترن ضروري بتغيرات وظيفية وسلوكية تبعا لما تفرضه البيئة الجديدة.

٣- **التعاون : Co-operation**، هو محاولة منظمة من جانب بعض الأفراد للوصول إلى **هدف مشترك، وهو عملية تجميع واتحاد** وبناء وتدعيم، نجده بيولوجيا في الصراع **من أجل البقاء كسبب لبقاء الكائنات العضوية**، فلو كانت حياتها صراعا دائما لفنيت وقضت على بعضها

---

(1) مصطفى الخشاب : مرجع سابق، ص ٢٠١ .

(2) نفس المرجع السابق : ص ٢٠٢.

البعض،ولكن من وسط الصراع ينبت التعاون، وقديما تعاون الناس لحماية أنفسهم من جو الطبيعة في فيضان أو حريق أو حيوان مفترس.

هذا وقد تطور التعاون من هذا الشـــكل الغريزي التلقائي الدفاعي، إلى نوع أكثر تنظيما ورقيا هو **التعاون الديموقراطي كما حدث بعد الحروب العالمية** ظهرت رغبة الدول في تعاونها ومناهضة الصراعات والحروب، فأنشأت عصبة الأمم أولا، ثم هيئة الأمم المتحدة التي تقدم العون المادي والفنى وتعمل من أجل تحقيق السلام في العالم كله.

والتعاون عملية اجتماعية، يرجع الفضل إلى الأسرة أولا ثم إلى البيئة الخارجية ثانيا في ترويض الأفراد عليها، والتعاون ولو أنه عملية اجتماعية، إلا أنه يســـتجيب مع بعض الدوافع الفطرية الكامنة في الطبيعة الإنســـانية، فالنفس الإنســـانية تنطوي على طائفة من الغرائز الغيرية،بجانب انطوائها على الغرائز الذاتية،وهذا قد يدلنا على أن حرص الإنســـان على تحقيق مصالح الغير لا يقل كثيرا عن حرصه على مصالحه الشخصية.

هذا وقد تعددت **أشكال وأنواع التعاون** كالتالي [1]:

أ- **التعاون الدفاعي التلقائي** : كتعاون أفراد المجتمع الذي حاقت به كارثة، حيث يهب الناس متعاونين لدرأ هذه الكارثة والتخفيف منها **دفاعا عن حياتهم** وممتلكاتهم،والغرض من هذا التعاون هو المحافظة على بقاء الجماعة.

ب- **التعاون المتبادل** :وهو الذي يمكن من التطور والارتقاء الإنساني.

ج- **التعاون الاختياري** : كإقدام البعض على إنقاذ غريق أو إطفاء حريق،أو التبرع لمســاعدة الفقراء والمحتاجين، أو ضحايا الحروب والمجاهدين.

د- **التعاون القهري الجبري** : وهو التعاون المفروض بحكم التنظيم،كما هو الحال بين الموظفين في نطاق عمل المصنع أو المؤسسة.

---

(1) أحمد رأفت عبد الجواد : مرجع سابق، ص ص ٩٢ – ٩٣.

ه- **التعاون التعاقدي** : وهو أرقى أشكال التعاون وأكثرها تنسيقا وتنظيما نحو بلوغ الأهداف الاجتماعية المشـــتركة،ومن أمثلته التنظيمات التعاونية كالجمعيات الاســـتهلاكية والجمعيات الإنتاجية والجمعيات الائتمانية.

و- **تعاون محدود النطاق في مقابل تعاون واسع النطاق** : فالأول يقتصر على جماعة بعينها كمجتمع المصنع أو مجتمع محلى، والثاني هو ما اتسع نطاقه ليشمل مجتمعا كبيرا أو عدة دول وأقاليم أو حتى على مستوى العالم.

ز- **التعاون المباشر والغير المباشر** : ومن أمثلة **التعاون المباشر**، تعاون جمع من العمال على حفر ترعة مثلا،أو رفع حمل ثقيل على شـــاحنة، بمعنى أن المتعاونين يؤدون عملا واحدا ويحققون غرضا مشتركا، أما **الغير مباشر**، مثلما يؤدى كل فرد من المتعاونين عملا خاصـــا يختلف عن عمل زميله، ولكن هذه الأعمال الجزئية الخاصـــة تتجه في النهاية إلى تحقيق غرض مشترك،**كتعاون مجموعة** من المدرسين مختلفي التخصصات داخل مدرسة ما في تعليم التلاميذ، فبالرغم من أن كل مدرس له تخصص يختلف عن الآخر، إلا أن **هذه الأعمال في مجموعها** تتجه نحو قصد واحد.

وللتعاون **دوافع وأسباب** نذكر منها [1] :

- ترابط الجماعة وتماسكها،إذ كلما قويت أواصر العلاقات بين الأفراد، كلما أدى ذلك إلى زيادة روح التعاون بينهم.

- ســـيادة مبدأ تكافؤ الفرص والعدالة والمســـاواة بين الأفراد والجماعات ما أمكن، وتذويب الفوارق بين الفئات والطبقات الاجتماعية،كل ذلك يخفف من غلواء التنافر والحسد والبغضاء ويشق الطريق أمام التعاون، ويعمل على زيادته وسيادته.

- محـاولة توحيد الأهداف المشتركة، وجعلها معبرة عن آمال النـاس **ومعالجة** آلامهم حتى تلتقي ميولهم المشتركة إزاءها، فيسود التعاون ويسعون إليه لأنه سيصادق رغبة لدى كل منهم.

---

(1) نفس المرجع السابق : ص ٩٤.

– سيادة علاقات القربى والصداقة والمشاركات الوجدانية، وكلها علاقات تدفع إلى التعاون بدافع المحبة والقبول والرضا.

– قد تتحقق المصالح الشخصية من خلال المصالح العمة المتماثلة التي لا تتم في إطار تعاوني يوفق بين مختلف المصالح ويوحد وجهات النظر لمنفعة متبادلة.

٤– **التّنشـــئة الاجتماعية : Sociolization**، تعتبر عملية التنشـــئة من أولى العمليات الاجتماعية وأخطرها شـــأنا في حياة الفرد،لأنها الدعامة الأولى التي ترتكز عليها مقومات شخصيته،وتبدأ العملية منذ ولادة الطفل،لأنه في مراحل حياته الأولى لا يعدو أن يكون كتلة من الغرائز والاســـتعدادات، ثم تتولاه الأســـرة بالترويض على أن يكون كائنا اجتماعيا ومواطنا فاضـــلا، فتعلمه لغة الجماعة وعاداتها وعرفها وتقاليدها، وتكمل الجماعات الأخرى "حلقات اللعب والزمالة،المدرسة، الجمعيات والهيئات " وظيفة الأسرة في التنشئة.

قد يظن البعض أن عملية التنشـــئة تقتصـــر على عملية نقل التراث إلى مواليد المجتمع وحسب، وإنما هي بالإضافة إلى ذلك مسئولة عن تلقين الأفراد مبادئ العمل السوي كالإيثار والتعاون وحســب الآخرين والمجتمع، كما أن التنشـئة الاجتماعية وسـيلة لزيادة تماسـك الجماعة وطريقا إلى اندماج الفرد في حياة الجماعة وتسهيل تكيفه الاجتماعي.

ويختلف الأفراد في مبلغ قابليتهم للاندماج في حياة الجماعة باختلاف التربية التي يتلقونها عن الأســـرة وعن الجماعات التي تحيط بهم في نشـــأتهم الأولى، وهذا يفســـر لنا أن بعض الأطفال ينشئون اجتماعيا، وبعضهم غير اجتماعيين، وهذه الظاهرة الأخيرة يجب أن يفطن إليها الآباء والمربون خشـــية أن يتزايد خطرها، فينشـــأ الكثيرون مزودين بميل إلى العزلة وعدم الاندماج الاجتماعي، وغنى عن البيان أن هذا الوضع قد يؤثر في نشاط المجتمع ويعوق تماثل وحدته وسيره نحو التكامل [١].

ونلاحظ كذلك أن الأفراد يختلفون في منازعهم نحو الاجتماع، فقد نجد طفلا اجتماعيا

---

(١) مصطفى الخشاب : مرجع سابق، ص ص ٢٠٢ – ٢٠٣.

في بيئته الأســـرية ولكنه ليس كذلك في المدرســـة،فقد نجده مندمجا في المدرســـة اندماجا كليا،ولكنه ليس كذلك في الرحلات والزيارات، وليســـت هذه الظاهرة مقصـــورة على الأطفال، بل نجدها عند الشـــبان والرجال، فنلاحظ بعض الشـــبان يمتازون بالانطواء الذاتي،وبعضهم يميل **إلى الاستقلال في** الاستذكار والعمل.. وهكذا.

٥- **التكيف : Accommodation**، وله مظهران أساسيان [١]:

الأول : التكيف البيولوجي :وهو الذي يتم بين الكائن الحي وظروف بيئته، وهذا يعنى أن الظروف البيئة في حالة التكيف تسمح للكائن الحي بأن يؤدى وظائفه كاملة ويؤمن على بقائه ودوام تكاثره، وفى حالة عدم التكيف لا يستطيع الكائن الحي تحقيق ذلك.

الثاني : التكيف الاجتماعي : ويقصد به تكيف الإنسان مع ظروف بيئته الاجتماعية، وهذا التكيف يتطلب من الإنســـان إذا أراد أن يحيا كما يريد أن يختار بين أمرين "إما البحث عن البيئة التي تلائمه، أو خلق مثل هذه البيئة "، وذلك نرى الإنســـان يعدل باستمرار في بيئته، ويتم هذا التعديل على نطاق واسع في البلاد المتحضرة.

ومن ثم يعتبر التكيف عملية اجتماعية **على جانب كبير** من الأهمية،إذ بفضـله يتطبع الإنســـان بالبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ويصـــبح قطعة منها وعنصـــرا **منســـجما مع عناصرها**،فلا يشعر بوطأة نظمها ولا يضيق ذرعا بأوضاعها.

و يجب أن نفرق في حياة الطفل بين **التكيف الفيزيقي والتكيف الثقافي**، فالأول وظيفته ترويض أعضـــاء الطفل وتكوينه الجســـماني على التكيف بظروف البيئة الجغرافية والمناخية،أما الثاني فوظيفته تدريب الطفل على إيلاف البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها.

وتبدو **وظيفة التكيف بوضوح عندما ينتقل** الإنسان من بيئة اجتماعية إلى أخرى تختلف عنها في أنماطها الثقافية أو تراثها الثقافي،ففي هذه الحالة يشـــعر الفرد بوطأة النظم الجديدة،ولابد له من الترويض والمران على الحياة الجديدة، لأنه يشعر في بادئ الأمر بمقاومة داخلية وصراع

---

(١) نفس المرجع السابق : ص ص ٢٠٦ – ٢٠٧.

عنيف بين تراثه الراسب في تكوينه وفى شعوره، وبين أوضاع البيئة الجديدة ونظمها، فيأخذ الفرد نفسه بالصبر والجلد والاندماج في هذه البيئة حتى تخفف حدة الصراع ويتم التكيف الذي يحتاج إلى وقت طويل ومران غير يسير، ومغالبة النفس فيما تعودت عليه من نظم سابقة.

نخلص مما سبق :إلى أن التكيف عملية مستمرة إطرادية، وتتطلب نشاطا ديناميا،وبفضل هذا التكيف الدينامى يحقق المجتمع تقدمه ويتلافى المنازعات والهزات العنيفة.

٦- **التمثيل : Assimilation**، وهو النتيجة التي تنتهي إليها عمليتا " **الصراع والتكيف** "، وبمقتضى هذه العملية تتلاشى الاختلافات، وتتوحد مواقف الأفراد، وتتحقق وحدتهم، أي أنه بمقتضاها تصبح الجماعات غير المتماثلة متماثلة، وتصبح الأغراض والأهداف والمصالح ذاتية بالنسبة للجميع، فيشتركون جميعا في مشاعر واحدة وتجارب واحدة وتاريخ واحد، أي أنهم يتجسد ون حياة ثقافية واحدة [١].

ويبدو التمثيل واضحا في المظاهر الثقافية، فقد كان المهاجرون إلى أمريكا مثلا يصادفون مشقة بالغة في تكيفهم بالبيئة الثقافية، وكانوا يشعرون بشيء من الصراع بين تراثهم الثقافي، وبين العادات الشعبية الأمريكية والأساليب العامة،ولكن تحت تأثير ظروف البيئة، والظروف الاجتماعية التي تدفع بهم إلى الاختلاط **والامتزاج أمكن لهؤلاء المهاجرين** بالتدريج أن يتأمركوا، أي يتمثلوا الثقافة الأمريكية ومظاهرها الحضارية،وتنتهي عملية التمثيل على أحس صورة وبغير عناء ومشقة، إذا لم يكن هناك عداء أو خصومة بين المقومات الثقافية في كلتا البيئتين " بيئة الشخص الأصلية، والبيئة الجديدة التي ينتقل إليها، ويريد أن يتمثل تراثها الثقافي والحضاري [٢].

---

(١) محمد عاطف غيث،غريب محمد سيد أحمد : محاضرات في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨، ص ١٠٠.

(٢) نفس المرجع السابق : ص ١٠١.

العمليات المفرقة :

١- **التنافس : Competition**، هو عملية اجتماعية منشـــطة للقوى لإمكانيات الإنســـانية، ما دام في الحدود المعقولة وفى صـــورته الإنشائية والإيجابية، أما إذا خرج عن حدوده انقلب إلى صراع وأصبح تنافسا هداما، وهو يتولد عادة من التعاون،لأن هذه العملية هي محك التنافس ومبعثه.

والتنافس عملية محببة إلى النفوس، لأنها تؤدى إلى إطلاق القوى الكامنة في الأفراد، وإعمالا لقدراتهم المبتكرة والخلاقة، واســتغلالها في أكمل صــورة، ويعتبر التنافس منشــطا للقوى والإمكانيات، دافعا إلى الرقى والازدهار ما دام في حدود المعقول، أما إذا خرج عن حدوده انقلب إلى صــراع مخيف، ويظل التنافس عملية إيجابية ســليمة العواقب ما دامت ذات هدف واحد يخدم الجماعة، وينبع من تطلع الأفراد نحو الأفضـــل، أما إذا انقلب التنافس ليحقق أهدافا فردية دون التزام بقيم الجماعة وأخلاقها ومصـــلحتها، أصـــبح منبعا للشقاق والتفرقة، حينئذ يصبح عملية سلبية مفرقة [١].

ولكي يؤدى التنافس **وظيفته الاجتماعية** يجب أن يكون بين قوتين متعادلتين، لأن عدم التعادل والتكافؤ بين المتنافسين يؤدى إلى انتصار الأقوى واخراج الضيف من الميدان دون مقاومة تذكر، فالتنشـــئة الاجتماعية مســـئولة عن دفع الأفراد إلى التنافس، وذلك وفقا للعادات والاتجاهات والقيم التي تكســـبها للأفراد، ففي مجتمع كأمريكا مثلا وغيره نجد التنافس على أشده لجمع الثروات، بينما نجد أن أفراد قبائل داكوتا من الهنود الحمر كانوا يتنافسون في إنفاق ثرواتهم، ومن العار عندهم أن يموت أحدهم وهو غنى.

٢- **الصـراع : Conflict** هو من أخطر العمليات الاجتماعية، لأنه تصـادم بين القوى الاجتماعية، وهو تعبير عن نضـــالها، ويحدث في المجتمع نتيجة تحول المنافســـة من سوية إنشائية إلى مظهر متطرف هدام، وعندئذ يقذف المتنافسون بكل ما في حوزتهم من

---

(١) أحمد رأفت عبد الجواد : مرجع سابق، ص ٩٩.

قوى وإمكانيات للقضاء على غريمهم ويتبعون في ذلك أهوائهم الجامحة، ويحكمهم مبدأ " تنازع البقاء،والبقاء للأقوى "، وغنى عن البيان أن المجتمعات في هذا المحال تخسر قسطا كبيرا من الطاقة الإنسانية والمادية نتيجة لهذا الصراع [1].

ومظاهر الصراع كثيرة، فقد يحدث بين شخصين أو بين جماعتين أو بين طبقتين وقد يتسع نطاقه فيقوم بين الدول والشعوب، وقد يكون الصراع **مباشرا ووجها لوجه**، وقد ينمو في الخفاء ويتخذ مظاهر غير مشروعة " كالقتل، الاغتيال، تدبير الدسائس والمؤامرات، ويوجد الصراع كذلك في مختلف شئون الحياة الاجتماعية.

ويرى " **ماكيفر وبيج** " أن جوهر الصراع نشاط الشخص نحو الآخر أكثر منه نحو الهدف، فالصراع ينشأ عادة نتيجة لتعارض المصالح، ولتأصيل الأنانية والذاتية وتغليبها على الغيرية، ورغم أن المجتمعات الحديثة تخلصت من صور الصراع الهمجية والبربرية التي تعوق حركة نموها وتقدمها، غير أن كثيرا من صور هذا الصراع لا تزال توجد في الثقافات " كالتقاضى أمام المحاكم، الحروب، المنافسة الاقتصادية الغير عادلة...وغيرها " [2].

وينقسم الصراع إلى [3]:

صراع مباشر : كاعتداء الأفراد بعضهم على بعض،إلى حد استخدام العنف والقوة،ومنع الخصم من الوصول إلى تحقيق غايته أو هدفه.

صراع غير مباشر : يتمثل في سعى كل فرد أو فريق إلى تحقيق مصلحته، وإعاقة تحقيق مصلحة الآخرين،خصوصا إذا كان الهدف واحد لكلا الطرفين " كالحصول على جائزة مالية أو وظيفة.وغيرها"،وينتهى الصراع عادة **بالتعاون**، إذا كان بين قوتين متعادلتين، لأن كل منهما يسأم من استمرار الصراع،ولا يستسيغ الخسائر التي يتكبدها من صراعه فترة

([1]) مصطفى الخشاب : مرجع سابق، ص ٢١١.

([2]) Maciver & Page : op.cit,pp.62- 65.

([3]) محمد عاطف غيث، غريب سيد أحمد : مرجع سابق، ص ص ٩٧ – ٩٨.

طويلة،فتكون النتيجة إمكان الوصـــول إلى حلول وســـطى،وتقريب وجهات النظر بين المتصارعين،أما إذا كان الصراع بين طرفين غير متكافئين،فإن النصر سيكون حليف الأقوى.

وكثيرا ما يحدث الصـــراع بين الدول، ويؤدى مثل هذا الصـــراع عادة إلى تقوية النظم الداخلية لكل منهما،وتماســك الأفراد والجماعات وتضــامنهم بصــورة أقوى مما كان عليه الخال قبل الحرب، وذلك أن نصــرة دولتهم ســتكون هدفا مشــتركا تلتقي عندها اتجاهات الناس وآرائهم،وضــرورة تعاونهم وتكتلهم لدرأ أخطار الحرب والتصــدى لما تحدثه من آثار تدميرية.

مما ســـبق... ومن خلال عرضـــنا لأهم العمليات الاجتماعية يمكن القول، بأن هذه العمليات أصبحت الآن موضع اهتمام علماء الاجتماع، وعلى الرغم من **اختلاف الباحثين** في بعض المسـائل المتصـلة بفهم العمليات الاجتماعية، إلا أن هناك **شبه اتفاق** حول عدد من المبادئ أو القضايا العامة التي يمكن استخلاصها من دراسة هذه العمليات هي:

١- أن الناس في كل مكان يناضــلون من أجل تحقيق أهدافهم،إما بالاشــتراك مع الآخرين عن طريق التعاون والنضـــال ضـــدهم، ولا توجد جماعة أو مجتمع فيهما تعاون أو تصـــارع كاملين، والأهداف إذا كانت نادرة يصــبح طابع الســلوك تعاونيا،وتســاعد عملية التنشــئة الاجتماعية في إيمان الأفراد بالتعاون أو التنافس. ٢- العمليات المجمعة،هي أســاس التكامل والاســتقرار والرقى والتنافس يشــحذ همم الأفراد الخلاقة،بينما الصــراع يعتبر من دعائم الحركة الاجتماعية والتطور

٣- هناك توازنا بين فاعلية كل من **العمليات الاجتماعية المجمعة والمفرقة** على حد ســواء، وبينهما تأثير متبادل وكلها تفاعلات ونماذج للتفاعلات الاجتماعية الضــرورية للمجتمع.

٤- **الصــراع** ليس له صــفة الاســتمرار فهو متقطع،بينما التنافس مســتمر، وهاتان العمليتان تشجعان تقسيم العمل والتخصص والتمايز الطبقي والمهني والاقتصادي

٥- سيادة علاقات القربى والصداقة والعاطفة في المجتمع تؤدى إلى التعاون ويتسع نطاقه، بالعكس فإن الأفراد والجماعات تتنافس وتتصارع إذا كانت علاقاتهم تقوم على الحقد والحسد والغيرة.

٦- لا نستطيع أن نجد مجتمعا يكشف في ثقافته عن تنافس كامل أو تعاون كامل، ذلك أن كل مجتمع يشتمل على درجات متغيرة، وهذا هو الشأن بالنسبة للصراع والتوافق والتمثيل.

٧- عندما يحدث صراع داخل الجماعة الواحدة ويحدث في نفس الوقت بين الجماعات، يقع الأفراد الذين لهم ولاء للأطراف المتنازعة بصورة أو بأخرى فريسة للصراع الشخصي واضطراب الشخصية.

٨- التوافق يمهد الطريق للتمثيل،والمتشابهات في الثقافة توصل إلى التمثيل.

٩- يتوقف التغير من الصراع إلى التعاون على التغلب على الأنماط المتحجرة والصور الخاطئة التي يحملها البعض للآخرين.

الفصل الثالث

رواد علم الاجتماع

تمهيد :

من المعروف أن **علم الاجتماع** كغيره من فروع المعرفة الإنسانية نشأ بين أحضان الفلسفة، وظل الفلاسفة يشيرون إلى ظواهره وموضوعاته **من خلال تناولهم** لقضاياهم الفلسفية وبقى هذا شأنه حتى اكتمل عوده ووصل إلى مرتبة **العلم المستقل** " له مجالاته الخاصة، وقوانينه الدقيقة، ومناهجه العلمية القائمة على الملاحظة والتجربة ووضع الفروض ومحاولة اختبارها وصولا إلى القوانين والنظريات " كغيره من العلوم.

ولذلك فإن أي باحث يود الوقوف على تطور التفكير الاجتماعي،ويتعرف على بوادره عليه أن يعود إلى الفلسفة ويستعرض تاريخها ويحاول تتبع حقائق الحياة الاجتماعية لدى طائفة من المفكرين والفلاسفة الذين أسهموا بنصيب لا بأس به في هذا الصدد،ولهذا فإن كثيرا من **المفكرين يرون أن بدء التأريخ للدراسات** الاجتماعية يقترن بدراسة الفلسفة اليونانية باعتبارها أول **صورة للتفكير الإنساني** المنظم.

وبالنظر إلى ما صدر من مؤلفات تعالج نشأة علم الاجتماع،**يلاحظ أن بعضها** يرجع الفضل في نشأة هذا العلم إلى العلامة الإيطالي **"جيوفانى فيكو"** الذي أراد بكتابه **" العلم الجديد "** أن يبين علما جديدا للإنسان على نحو لم يحاول غيره من قبل.

وأراد البعض الآخر أن يجعل من العلامة البلجيكي **" أودلفه كيتليه "** أول منشئ لعلم الاجتماع،ذلك لأنه أشار عام ١٨٣٨ إلى ضرورة دراسة ظواهر الاجتماع دراسة علمية بالدقة نفسها التي تدرس بها العلوم الطبيعية، حتى نستطيع أن نكشف عن القوانين الاجتماعية التي بفضلها نتنبأ بما يحتمل وقوعه في الميدان الاجتماعي.

ويصر فريق ثالث على القول بأن العلامة الفرنسي **" أوجست كونت "** ينسب إليه الفضل في إنشاء علم الاجتماع الحديث، بينما يزعم فريق رابع إلى أن الإنجليزي **" هربرت سبنسر "** هو الذي يرجع إليه الفضل في إنشاء هذا العلم،ويؤكد فريق خامس أن العلامة العربي **" عبد الرحمن ابن خلدون "** الذي ظهر قبل هؤلاء جميعا بنحو خمسة قرون،

يرجع إليه الفضـــل في إنشـــاء هذا العلم وإقامته على دعائم ســـليمة، وهناك من يرى أن إسهامات **" كارل ماركس "** هي السبب الحقيقي وراء قيام هذا العلم الجديد.

من الواضـح أن موضـوع نشـأة علم الاجتماع يمثل مسـرحا للصـراع والنزاع بين الكتاب والمفكرين،كل منهم يحاول إرجاع الفضـل **في نشـأة هذا العلم إلى عالم معين**، أو مفكر بعينه دون إدراك للكيفية التي توصل بها المفكر إلى العلم الجديد.

ومن هذا المنطلق نكتفي في هذا الفصل **بعرض لإسهامات ثلاثة من هؤلاء المفكرين** هم :

أولا : ابن خلدون.

ثانيا : أوجست كونت.

ثالثا : كارل ماركس.

عبـد الرحمن ابـن خلدون

" ١٣٣٢ م – ١٤٠٦ م "

أولا : لقبه وكنيته :

هو أبو زيد ولى الدين عبد الرحمن محمد ابن خلدون،ولد في مدينة تونس،وتوفى بمصر، وينتسب إلى أسرة عربية يمنية بحضرموت،وقد تولى كثيرا من الأعمال السياسية،واتصل بسلاطين المغرب وأسبانيا،رفعته السياسة حتى وصل وزيرا وخفضته حينا حتى سجن،فسئم العمل السياسي،واعتزله سبع سنوات،قضى أربع سنوات منها في قلعة ابن سلامه، وفيها كتب مقدمته المشهورة في خمسة أشهر، ثم نقحها وبدأ بكتابة تاريخه،ثم رحل إلى القاهرة وتولى القضاء فيها وظل بها إلى أن مات [1].

اشتهر **" ابن خلدون "** بمقدمته التي هي جزء من كتابه الذي ألفه في التاريخ وأسماه كتاب **"العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر "**، وينقسم هذا المؤلف من مقدمة وثلاث كتب هي [2]:

١- **المقدمة** : في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه،وأسباب أخطاء المؤرخين، مرجعا أسباب هذه الأخطاء إلى أنهم لم يحاولوا دراسة المجتمعات وما يسودها من قوانين، ولذلك وضع لهم أسس دراسة المجتمعات، أو كما سماها **" علم العمران "** موجها النظر إلى ضرورة دراسة المجتمع وما به من وقائع " **ظواهر اجتماعية** " دراسة علمية تحليلية مع استخلاص ما تخضع له هذه الوقائع من قواعد وقوانين،ومشيرا إلى أن طبيعة **"علم العمران "**ليست إلا جزء من الطبيعة العامة، ثم انتقل بعد ذلك إلى دراسة اجتماعية للمجتمعات التي زارها أو قرأ عنها مستنبطا بعض القواعد والقوانين التي سجل بها سبقه على مفكرى الغرب بعدة قرون.

٢- **الكتاب الأول** :في العمران وما يعرض له من العوارض الذاتية وما لذلك من العلل والأسباب.

---

(١) على عبد الواحد وافى : ابن خلدون، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٥، ص ٢٠.

(٢) أحمد رأفت عبد الجواد : مرجع سابق، ص ص ٩ – ١٠.

٣- **الكتاب الثاني** : أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة حتى القرن الثامن الهجري " الرابع عشر الميلادي ".

٤- **الكتاب الثالث** : في أخبار البربر ومن إليهم وأجيالهم ودولهم " ويطلق على المقدمة والكتاب الأول ما نسميه اليوم باسم " مقدمة ابن خلدون ".

ثانيا : أسباب نشأة علم العمران عند " ابن خلدون " :

لاحظ "**ابن خلدون** " أن **المؤرخين يقعون في أخطاء كثيرة** عند تسجيلهم للتاريخ نتيجة لأسباب متعددة لعل أهمها [1] :

١- **تعصب المؤرخ لمذهب معين أو لطائفة معينة من الحكام أو لدولة ما**، وهذا التعصب يقوده إلى تسجيل الوقائع التاريخية وفقا لهواه ونزعة ميوله الشخصية، وهذا يتنافى مع الحق والعدل.

٢- أن كثيرا من المؤرخين **لا يحكمون العقل والمنطق** فيما يصل إليهم أو فيما يسجلونه من أخبار.

٣- **عدم قياس الغائب على الشاهد**، بمعنى أن **الحوادث الإنسانية تتشابه**، فما يكون منها قد حدث في الماضي أو في مجتمع آخر، قد يحدث في الحاضر أو يتكرر في مجتمع ثان، لهذا فإن من واجب المؤرخين أن يقيسوا الأخبار التي يسمعونها على الأحداث التي يشاهدونها، فيتجنبون الوقوع في الخطأ.

٤- **الجهل بالقوانين والنواميس الطبيعية** التي يسير عليها الكون، لأن علمهم بها يعصمهم من الوقوع في كثير من الأخطاء.

٥- **الجهل بالقوانين الاجتماعية** أو المبادئ التي يسير عليها العمران البشرى، فالعلاقات الإنسانية تسير وفق قواعد محددة وواضحة وليست بطريقة عشوائية.

([1]) مصطفى الخشاب : مرجع سابق، ص ص ١٣ – ١٤.

وابن خلدون لا يلتمس عذرا للمؤرخين الذين يقعون في الأخطاء الأربعة الأولى،لأن من واجبهم أن يكونوا على علم بها،ولكنه يلتمس لهم العذر إذا وقعوا في الخطأ الخامس، لأنه ميدان علم جديد عليهم، ولم يكتشفه عالم من قبل.

ولذا فبعد أن انتهى "**ابن خلدون** "من الكشف عن أسباب الخطأ في تسجيل التاريخ،**حرص على أن يرسم الطريق أمام** الباحثين والمؤرخين لتجنب **هذه الأسباب**، وذلك على النحو التالي [1]:

١- أن **يجرد المؤرخ** نفسه من الهوى والتشيع أو التقرب وعوامل الانحراف عن الحق،وأن يقدم على بحوث التاريخ بدون رأى مسبق.

٢- **الإلمام بالعلوم الطبيعية وقوانينها**، واستبعاد كل ما يتنافى معها، وأنه لا عذر للمؤرخين في ذلك، لأن هذه العلوم قد وصلت في عهد ابن خلدون إلى درجة من النضج وكشف علماؤها طائفة كبيرة من القوانين التي تخضع لها ظواهر الطبيعة.

٣- **الإلمام القوانين التي تخضع لها ظواهر الاجتماع الإنساني**،طالما أنها **لا تسير** حسب الأهواء والمصادفات،وإنما تحكمها قوانين ثابتة مطردة شأنها شأن الظواهر الطبيعية.

ولذلك يرى " **ابن خلدون** " أن ظاهرات الاجتماع لم تدرس من قبله دراسة وضعية،ترمى إلى بيان طبيعتها والكشف عما تخضع له من قوانين،وإنما درست لأغراض أخرى كمجرد وصفها أو بيان ما ينبغي أن تكون عليه أو بيان الوسائل المؤدية إلى إصلاحها، ولا يمكن الكشف عن هذه القوانين إلا بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وصفية ترمى إلى توضيح طبيعتها،وبيان **العلاقات التي تربطها** بعضها ببعض وتربطها بغيرها وما ينجم عن هذه العلاقات من نتائج في نشأتها وتطورها واختلافها باختلاف المجتمعات والعصور.

ومن هنا اضطلع " **ابن خلدون** " بمهمة إنشاء هذا العلم الجديد، وقام بالكشف عن القوانين التي تخضع لها ظواهر الاجتماع الإنساني، وتألف عن ذلك علم جديد هو " **علم العمران أو الاجتماع الإنساني** ".

([1]) على عبد الواحد وافى : مرجع سابق، ص ١١١.

ثالثا : موضوع علم العمران :

حدد " **ابن خلدون** " موضوع علم العمران في دراسة الاجتماع الإنساني وظواهره " **واقعات العمران البشري** "، وإن لم يهتم بتعريف الظاهرة الاجتماعية، وإنما اكتفى بأن ضرب أمثلة لها تدل على أنه كان يعرف طبيعتها وخصائصها، وقد قسم "ابن خلدون " موضوع علم العمران إلى قسمين [1]:

الأول : يتعلق ببنية المجتمع أو المورفولوجيا، وما يتصل بالبدو والحضر وأصول المدنيات القديمة، وتوزيع أفراد الإنسانية على المساحة التي نشغلها، والنظم التي تسير عليها المجتمعات في هجرة أفرادها وفى كثافتهم وتخلخلهم.

الثاني : وهو دراسة النظم العمرانية التي تختلف باختلاف النشاط العمراني إلى ظواهر سياسية واقتصادية وتربوية وعائلية وأخلاقية وجمالية ودينية ولغوية.

وهذا يدل على أن " ابن خلدون " استوعب معظم فروع علم الاجتماع وعالج أهم مجالاته.

رابعا : أغراض علم العمران :

حصر "**ابن خلدون** " أغراض وأهداف علم العمران في اثنين هما [2]:

الأول : الأغراض المباشرة : وتتمثل في الوقوف على طبيعة الظواهر الاجتماعية وما يحكمها من قوانين، وذلك شأن جميع العلوم، حيث ينصرف علم العمران إلى الكشف عن طبيعة الظواهر الاجتماعية ووظائفها والقوانين التي تخضع لها.

الثاني : الأغراض غير المباشرة : تتعلق بعصمة المؤرخين من الوقوع في الأخطاء، ومن قبول الأخبار التي تتعارض **مع ما يحكم طبيعة العمران من قوانين**، حيث يكون بإمكان المؤرخين الانتفاع بحقائق الاجتماع وقوانينه في تصحيح حقائق التاريخ وتعليل حوادثه.

([1]) مصطفى الخشاب : مرجع سابق، ص ص ١٣٤ – ١٣٥.

([2]) على عبد الواحد وافى : مرجع سابق، ص ١١٣.

خامسا : منهج البحث في علم العمران :

اعتمد **"ابن خلدون"** في بحوثه على ملاحظة ظواهر الاجتماع في الشعوب التي أتيح له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها، وعلى **تعقب هذه الظواهر في تاريخ** هذه الشعوب نفسها في العصور السابقة لعصره، **وتعقب أشباهها ونظائرها في تاريخ** شعوب أخرى لم يتح له الاحتكاك بها ولا الحياة بين أهلها والموازنة بين هذه الظواهر جميعا، والتأمل في مختلف شئونها **للوقوف على طبائعها وعناصرها الذاتية** وصفاتها العرضية، وما تؤديه من وظائف في حياة الأفراد والجماعات، **والعلاقات** التي تربطها بعضها ببعض، والعلاقات التي **تربطها بما عداها من الظواهر الكونية**، وعوامل تطورها واختلافها باختلاف الأمم والعصور، ثم الانتهاء من هذه الأمور جميعا إلى استخلاص ما تخضع له هذه الظواهر في مختلف شئونها من قوانين.

ومن هنا يمكن القول بأن **منهج البحث** عند **عبد الرحمن ابن خلدون** قائم على [1] **"الملاحظة والتجربة الشخصية، المنطق العلمي، استقراء الحوادث، الاعتماد على منطق التحليل التاريخي، المقارنة والتعليل "**.

سادسا : نتائج دراسته في علم العمران : وتتمثل فيما يلي :

١- تمثل **الحياة الاجتماعية** وكل ما يعرض فيها من حضارة مادية وعقلية في نظر **" ابن خلدون "** **موضوع علم العمران**، ولقد أدى به إلى بيان أعمال الناس وكيفية تحصيلهم لأقواتهم وسبب تنازعهم وإنشائهم لجماعات تخضع لأحكام وعادات وقوانين متباينة، كما أنه حاول أن يحلل الضرورة الاجتماعية ومظاهر تطورها من حياة البدو إلى حياة التحضر [2].

٢- أن المجتمع الإنساني أمر طبيعي وضروري، فالإنسان مدني بطبعه، بمعنى أنه لا يستطيع

---

(١) نفس المرجع السابق : ص ١١٤.

(٢) أحمد الخشاب : التفكير الاجتماعي " دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية "، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠، ص ١٩٨.

أن يعيش إلا في مجتمع، وتنعكس الضـــرورة الاجتماعية في هذا من خلال **حاجة الأفراد إلى التعاون لسد الاحتياجات** الاقتصادية والدفاعية [١].

٣- **للســلطة أهميتها في الحفاظ على المجتمع** وبقائه واســتمراره، ومتى تحققت الضــرورة الاجتماعيــة عنـد النـاس لإعـانـة الأفراد في ســبيـل إتمـام حكمـة الله في بقـاء الجنس البشرى،وتحقق لهم ضرورة قيام السلطة في المجتمع **حتى تنظم علاقاتهم** تنظيما يكفل استمرار بقائه ويتجسد قيام السلطة لديه في قيام الملك [٢].

٤- يعتبر التطور خاصية هامة وأساسية من خواص المجتمع الإنساني، حيث ترتب على التاريخ الإســلامي والشــعوب الشــرقية، والوقوف على أســباب نشــأتها وازدهارها ثم اضـمحلالها قيام دولة على أنقاض أخرى، أن اسـتخلص ابن خلدون قانونا أسـاسـيا يحكم حركة المجتمعات الإنسانية وتطورها هو **" قانون الأطوار الثلاثة للمجتمع الإنساني"**[٣] مؤداه **" أن كل مجتمع إنساني لابد أن يسير في طريق طبيعي، يبدأ بطور النشأة والتكوين، ثم طور النضج والاكتمال، وأخيرا طور الهرم والشيخوخة، حيث يقوم على أنقاضه مجتمع آخر يسـير في المراحل نفسـها التي سـار فيها المجتمع السـابق "**، ويختلف هذا القانون في شـدته ودرجته باختلاف الإنســانية، فمنها ما يبقى مدة طويلة في طور النضــج ومنها ما يقاوم الشيخوخة ومنها ما يموت يافعا.

٥- تتمثل الفروق بين المجتمع القبلي والمجتمع المتحضــر،في **أن المجتمع القبلي** يســتند إلى العصبية،وأن العصبية والفضيلة **والدعوة الدينية تعتبر عوامل ديناميكية** في تطوره، وأن الانفراد بالمجد والســلطان والركون إلى الســكون والدعة والانتفاع بثمرات الحضــارة،تعتبر من دعائم المجتمع المتحضر،وأنه يمكن أن ينفذ الفساد إلى هذا المجتمع من خلال الناحية الاقتصادية والقيم الروحية،

---

(١) على عبد الرازق جلبي : مرجع سابق، ص ٥٩.

(٢)أحمد الخشاب : مرجع سابق، ص ٢٠٠.

(٣) على عبد الرازق جلبي : مرجع سابق، ص ٦٠.

وهنا يكون مآل التقدم الاجتماعي المصحوب بتقدم ملحوظ في وسائل المعيشة والحياة الاجتماعية إلى النكوص،ذلك لأن الحضارة تحدث آثار سيئة في الجسم والعقل وفى أخلاق الناس لأنها تؤدى إلى الترف، وهذا يؤدى بدوره إلى الخمول وضعف الوعي القومي [1].

سابعا : نقد علم العمران :

في كتابه "دراسة التاريخ " يقول " **توينبى** " **عن** " **ابن خلدون** "أنه المؤرخ والفيلسوف الاجتماعي العظيم،الذي أنتج **أعظم كتاب من نوعه** ألفه عقل إنساني في أي زمان أو أي مكان،ومع ذلك نجد **أن هناك بعض الأمور** التي وجهت إلى " **ابن خلدون** " منها :

١- ادعى كثير من **المستشرقين** أن فكرة " **ابن خلدون** " عن **المجتمع لم تكن واضحة كل الوضوح**،ووصفوه بأنه من **أنصار المدرسة الحيوية**،وأنه اعتمد في دراسته لظواهر المجتمع على دراسة الفرد،وأنه أرجع في كثير من المناسبات العوامل المؤثرة في ظواهر الاجتماع إلى عوامل بيولوجية [2].

٢- هام ابن خلدون **بالسلطة السياسية**، بل ودعمها فكرا وعلما،لأنه نظر إلى السلطة السياسية نظرته إلى عامل أساسي وهام في تطور المجتمع وانتقاله من حالة إلى أخرى [3].

٣- يسير تطور المجتمع في قوانين طبيعية ثابتة لا تتغير هي أشبه بقوانين علم الحياة التي تفسر بقاء واستمرار الكائن الحيوي والعضوي،ويدلل على أن قانون الحركة والتطور عند "**ابن خلدون** "شبيه **بقوانين الكائنات الحية في العالم الطبيعي**،الأمر الذي جعل نظريته تأخذ شكلا حيويا **بيولوجيا يقارن فيه المجتمع وحياته** بالجسم الحي والكائن وحياته، ذلك الكائن الذي لا يدوم نموه وارتقائه،وإنما لابد له من أن يضعف وينحل ثم ينتهي بالموت قطعا، والمجتمع

---

(١) نفس المرجع السابق : ص ٦١.

(٢) غريب سيد أحمد وآخرون : المدخل في علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص ١٧.

(٣) على عبد الرازق جلبي : مرجع سابق، ص ٦١.

البشرى لديه يتبع نفس **هذا الاتجاه الحركي**،فهو يولد كالطفل ثم يشب وينمو ويقوى ويترعرع ثم يضمحل،وأن هذا التطور أمر طبيعي لابد من حدوثه **ولا سبيل** إلى منعه، وأنه يتحرك في نظام حتمي يجعل من دورته قانون لا مرد لحركته [1].

٤- يعاب على " **ابن خلدون** " أنه لم يحسن استغلال قواعده المنهجية، ولم يسر في تطبيقها للنهاية، فعلى الرغم من أنه قد وصل إلى طائفة غير يسيرة من القوانين الاجتماعية، غير أن معظم ما انتهى إليه لا يكاد يصدق إلا على الأمم التي لاحظها، وهى شعوب البربر والعرب، فالخطأ الذي وقع فيه **ابن خلدون** يرجع إلى نقص كبير في استقراء الظواهر، فهو لم يستقرأ الظواهر إلا عند أمم معينة وفى عصور خاصة، وانتهى من هذا الاستقراء الناقص إلى أفكار وقوانين ظن أنها تصدق في كل مجتمع وفى كل زمان [2].

٥- حقيقة أن "**ابن خلدون** " نادى **بضرورة إنشاء علم جديد**، وأبرز بعض ملامح المنهج العلمي وأسس البحث في هذا العلم،إلا أن انتمائه الأسرى والطبقي وما أحاط به من ظروف جعلته قريبا من السلطة السياسية فكرا وممارسة،الأمر الذي كان من شأنه أن يبعد علم الاجتماع عن أداء وظيفته الثورية في المجتمع،وكذلك ميله نحو المحافظة على السلطة والظروف والأوضاع السائدة [3].

وعلى الرغم من ذلك....

يعد " ابن خلدون " أول عالم يقرر في صراحة ووضوح نشأة هذا العلم الجديد،وأنه المنشئ الأول لهذا العلم الجديد،لأنه أول من استكمل الخصائص المنطقية التي يجب توفرها في كل علم من حيث " الموضوع،المنهج، الأغراض التي يرمى إليها "،وقد كان هو أول من عرض لدراسة **هذا الموضوع بهذه الطريقة**، وقد اعترف بذلك بعض المنصفين من الغربيين.

---

(١) عبد العزيز عزت : تطور المجتمع البشرى عند ابن خلدون، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٦٢، ص ص ٤١ – ٤٣.

(٢) مصطفى الخشاب : مرجع سابق، ص ص ١٥٤ – ١٥٥.

(٣) ريب سيد أحمد وأخرون : المدخل في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ص ١٦ – ١٧.

أوجست كونت

" ١٧٩٨ م – ١٨٥٨ م "

أولا : لقبه وكنيته :

و لد " **أوجست كونت** " بمدي نة **مونبليه** بفرنسا عام ١٧٩٨ م لوا لدين كاثوليكيين،وفى عام ١٨١٤ م التحق بمدرسة الفنون التطبيقية بباريس،وفى عام ١٨١٦ م تزعم حركة عصيان قام بها الطلاب،وكان من نتيجتها أن طرد وبقية زملائه في نفس السنة الدراسية،وفى عام ١٨١٧ م أصبح سكرتيرا **لسان سيمون** الكاتب الاشتراكي الذي أثر في **كونت** إلى حد بعيد وأخذ عنه ا لدعوة إلى **علم اجتماع عام يدرس المجتمع** بالرغم من **الاختلافات** الفكرية بينهما، وفى عام ١٨٢٦م بدأ كونت في إلقاء سلسلة من **المحاضرات العامة** في **الفلسفة الوضعية**،واضطر إلى الانقطاع عنها بسبب مرضه العقلي،وفى عام ١٨٢٧ م حاول أن ينتحر غرقا في نهر السين، ثم عاد في عام ١٨٢٩ م في إلقاء سلسلة من المحا ضرات التي ن شرها في ستة أجزاء بعنوان " **محاضرات في الفلسفة الوضعية** "، وفيها يبسط نظريته في المعرفة وفى العلوم، ويضع أسس العلم الجديد الذي أسماه في بادئ الأمر " **الفيزياء الاجتماعية** "،ثم أسماه بعد ذلك " **علم الاجتماع sociology** " [1].

ثانيا : أسباب نشأة علم الاجتماع :

تعثر علم الاجتماع بعد " **ابن خلدون** "،وعادت معالجة علم الاجتماع لا كعلم مستقل بذاته،وإنما مصطبغا بالصبغة الفلسفية في أغلب الأحوال،وظل الحال هكذا حتى جاء " **كونت** "في القرن التاسع عشر،وعلى يد يه عاد المنهج العلمي في علم الاجتماع إلى الظهور،وتكاد تجمع الكتابات التي اهتمت بالتأريخ

لعلم الاجتماع،على أن " **كونت** " هو الذي أوجد هذا العلم وأعطاه الا سم الذي ا شتهر به منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم، فقد شهد **كونت** الآثار المباشرة التي ترتبت على الثورة

---

(1) محمد على محمد : تاريخ الفكر الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ٨١.

الفرنسية ،وروعته النتائج الهدامة للثورة،وخاصة فيما يتعلق منها بالتفكك الاجتماعي، والفوضى واضطراب النظام الأخلاقي، وحالة الفقر المادي والثقافي الذي كانت فيه كثير من الجماعات الاجتماعية [1].

لقد كانت رغبة " **كونت** " في **إصلاح المجتمع الفرنسي** دافعا دعاه إلى إنشاء علم الاجتماع، فقد **لاحظ الفوضى تضرب أطنابها في ربوع مجتمعه**، ولما حاول أن يتعرف على أسباب تلك الفوضى وجدها في **الفوضى الفكرية**، فالفكر عنده أساس كل إصلاح أو فساد في المجتمع، ورأى أن من أسباب تلك الفوضى **أن الباحثين يسلكون منهجين مختلفين في تفسيرهم لكل من الظواهر الاجتماعية والطبيعية**، فهم يسلكون منهجا علميا وضعيا للتعرف على حقائق الطبيعة والكشف عن قوانينها وعلاقاتها، بينما **لا يسلكون المنهج نفسه في الظواهر الاجتماعية** [2].

ويرى "**كونت** "أنه لا فائدة من علاج الفكر الفاسد إلا إذا **خضعت الظواهر الاجتماعية للمنهج العلمي المتبع في الظواهر الطبيعية**،وقال **كونت** أنه هو الذي سينشئ علم الاجتماع ليؤدى هذا الغرض،كما يؤكد أنه لكي يمكن فهم الناس لظواهر المجتمع على أساس المنهج الوضعي، يجب أن **يتوفر شرطان** [3] :

الأول : أن تخضع الظواهر الاجتماعية لقوانين تسير عليها ولا تخضع للأهواء والمصادفات، وذلك لأن فهم الظواهر الاجتماعية بطريقة وضعية هو عبارة عن القوانين التي تحكمها.

الثاني : أن يستطيع الأفراد التعرف على هذه القوانين لكي يفهموا الظواهر

([1]) السيد محمد بدوي : مبادئ علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١، ص ١٠٩.

([2]) أحمد رأفت عبد الجواد : مرجع سابق، ص ١٣.

([3]) على عبد الواحد وافى : مرجع سابق، ص ص ١٣٢ – ١٣٤.

وفق ما ترسمه قوانينها من حدود وأوضاع.

ويرى "**كونت** " أن **الشـــرط الأول** متوافر في الظواهر الاجتماعية،لأنها جزء من الطبيعة الكلية،وجميع نواحي هذه الطبيعة قد خضعت لقوانين ثابتة أمكن الوصول إليها، أما **الشرط الثاني** فلا يمكن توافره إلا إذا كشف الباحثون عن هذه القوانين، ولا يمكن الكشف عنها إلا إذا قام علم جديد وظيفته " **دراسة ظواهر الاجتماع دراسة علمية وضعية** "،وبقيام العلم الجديد يتم القضاء على الفوضى الفكرية، ومن ثم يتم الإصلاح المنشود.

ثالثا : موضوع علم الاجتماع :

أدرك "**كونت** "الحاجة إلى وجود علم جديد **يختص بدراسة المجتمع وشئونه**،فكتب يقول " لدينا الآن فيزياء فلكية،فيزياء أرضـية،آلية، ولكننا في حاجة إلى فيزياء أخرى، هي الفيزياء الاجتماعية حتى نستطيع أن نستكمل نسقنا المعرفي بالطبيعة "، بعد أن بدأ العالم البلجيكي " **كتيليه** " في إجراء دراســـات إحصـــائية عن المجتمع، وأطلق على هذه المحاولات اســـم " **الفيزياء الاجتماعية** " [1]، وحدد " **كونت** " موضـــوع هذا العلم بدراسة المجتمع الإنساني والظواهر الاجتماعية، والتي يجب على أية حال أن تدرس بذلك المنهج العلمي الذي تدرس به الظواهر الفلكية والطبيعية، باعتبار أن هذه الظواهر تخضع في مجملها لقوانين ثابتة.

ويذهب" **كونت** " إلى أن هذا العلم الجديد رغم حداثة تكوينه ونشـــأته يتزعم العلوم الو ضعية الأخرى وأ صبح في قمتها،لأن مو ضوعه أكثر المو ضوعات تركيبا وتعقيدا،وأن العلوم الوضـــعية ما هي إلا مقدمات تمهد له وتفســـح الطريق لبحوثه ،وذلك لأن المجتمع كثير التركيب والتعقيد،وكذلك الظواهر الاجتماعية تتفاعل عناصرها وتتداخل.

---

(1) شعبان الطاهر الأسود : مبادئ علم الاجتماع، منشورات جامعة السابع من أبريل، ليبيا، ٢٠٠٤، ص ٥١.

والواقع أن " **كونت** " لم يحاول تعريف موضـــوع علم الاجتماع أو ظواهره أو حتى يبين خصائصها، وإنما اكتفى بأن يقرر أن **موضوع علم الاجتماع شامل لكل العلوم الإنسانية عدا موضوعات العلوم الطبيعية والرياضية**، وقد قسم كونت موضوعات علم الاجتماع إلى قسمين هما [1]:

الأول : الديناميك الاجتماعي Social Dynamic، ويهتم بدراسة الاجتماع الإنساني من حيث **تطوره وتغيره** من حال إلى حال، وتهتم الاستاتيكا بدراسة ومعرفة الشروط الهامة والضرورية للوجود الاجتماعي، وهى تقوم على فكرة الثبات والاستقرار والتضامن والنظام، إلى جانب الاعتماد المتبادل **بين أجزاء** النسق المختلفة، والمجتمع في العادة يتكون من مجموعة من النظم والقواعد ســواء أكانت ســياســية أم اقتصــادية أو دينية، التي هي بطبيعة الحال مترابطة ومنســقة، إلى جانب أنها متضــامنة على أنها تثبت وتســتقر خلال فترة **معينة من تاريخها**، وعلى اعتبار أن " **كونت** "قد نادى بالديانة الوضــعية التي **تحل مشاكل المجتمع** الإنساني، لذا **يعد الدين** مصدرا رئيسيا للثبات الاجتماعي والوحدة والتضـامن، هذا واعتبر "**كونت** " **الأسرة** هي الوحدة الأسـاسـية للتحليل الاجتماعي، كما أنه ميز بين **الدولة والمجتمع والحكومة والأمة**، والدولة في اعتقاده هي كيان مصـــطنع إلى حد ما، ولكنها كما يؤكد من ناحية أخرى هي نظام طبيعي، لأن أي مجتمع لا يمكن له البقاء دونها، وأن التضـامن الاجتماعي يتحقق بإصـلاح نظام التربية والتعليم والأسـرة والنظام السياسي [2]، كما أنه أشار إلى أن النظم الاجتماعية والسياسية لأي مجتمع تستمد في الأصل من عاداته وتقاليده والنســق الفكري الســائد فيه، الأمر الذي يجعل **تحقيق نوع من الوحدة في العقائد والطموحات** من أول الشروط لتحقيق الوجود الاجتماعي.

---

(1) قبارى محمد إسماعيل : أصول علم الاجتماع ومصادره، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨، ص ص ٦٧ – ٦٩.

(2) شعبان الطاهر الأسود : مرجع سابق، ص ٥٢.

الثاني : الإستاتيك الاجتماعي Social Static، ويهتم بدراسة المجتمعات الإنسانية في حالة **استقرارها**، وباعتبارها ثابتة في فترة معينة من تاريخها،وتتطلب الديناميكا دراسة الحركات والتغيرات **التي تطرأ على** المجتمع ،كما يؤكد على أن الديناميكا نوع من الدراسات التي يجب أن تكون إمبيريقية، فالديناميكا معنية بالدرجة الأولى **بالتطور** الذي يصيب العلاقة بين الأنظمة الأ سا سية في مختلف المجتمعات،فهي تبدأ بدرا سة النمو في حد ذاته [1].

والشعبة الأولى **"الديناميكا"** في نظر "كونت "لها أهميتها أكثر مما للثانية **" الاستاتيكا "**، وذلك لأن الاستاتيك يعتمد كثيرا على النظريات الديناميكية، ولا يمكن الوصول إلى القوانين الاستاتيكية إلا بعد كشف القوانين الديناميكية في المجتمع.

رابعا : أغراض علم الاجتماع :

حدد **"كونت "** الأغراض التي يسعى إليها علم الاجتماع في اثنين هما :

الأول : أغراض مباشرة : وترمى إلى الكشف عن طبيعة الظواهر الاجتماعية والقوانين التي تخضع لها في استقرارها وتطورها.

الثاني : أغراض غير مباشرة : يرى كونت أن هذه الدراسة في نهاية الأمر تعتبر وسيلة للإصلاح **الاجتماعي عن طريق إصلاح** الفكر ثم إصلاح الأخلاق [2].

خامسا : منهج البحث في علم الاجتماع :

تتكون قواعد المنهج عند **"كونت "** [3] من " الملاحظة والتجربة والمقارنة والمنهج التاريخ " كما يلي :

---

(1) محمد على محمد : مرجع سابق، ص ٩٣.

(2) على عبد الواحد وافى : مرجع سابق، ص ص ١٣٦ – ١٣٧.

(3) على عبد الرازق جلبي : مرجع سابق، ص ص ٦٧ – ٦٩.

١- **الملاحظة :** لا تقتصر الملاحظة الاجتماعية على الإدراك المباشر للظاهرة أو الوصف المباشر للحوادث،وإنما تتطلب الملاحظة النظر إلى الحقائق الاجتماعية على أنها موضوعات منعزلة عنا وخارجة عن ذاتنا ومنفصلة عن شعورنا الفردي حتى نستطيع التوصل إلى نتائج أقرب إلى حقائق الأمور.

٢- **التجربة الاجتماعية :**التي تقوم بمقارنة ظاهرتين متشابهتين في كل شيء،ومختلفين في حالة واحدة،ووجود مثل هذه الحالة إنما هو بمثابة تجربة لأننا نستطيع أن نستنتج بسهولة أثر هذا العامل الذي كان سببا في اختلاف الظاهرتين

،وإن كانت الطبيعة لا تمدنا بتجارب مباشرة من هذا النوع، فإنها تمدنا بتجارب غير مباشرة،تلك التي توجد في الحالات المرضية التي تصيب المجتمع.

٣- **المقارنة الاجتماعية :** وتقوم على مقارنة المجتمعات الإنسانية بعضها ببعض للوقوف على أوجه الشبه والتباين بينهما، أو تتم المقارنة بين الطبقات أو الهيئات في نطاق شعب واحد أو مجتمع محدود للوقوف على حالتها الاجتماعية

ومستوى معيشتها ومعاييرها ولهجاتها،أو قد نقارن جميع المجتمعات في عصر ما بالمجتمعات الإنسانية نفسها في عصر آخر لتحديد مبلغ التقدم الذي تخطوه الإنسانية في كل طور من أطوار ارتقائها.

٤- **المنهج التاريخ :** ويسميه **"كونت" بالمنهج السامي**،ويقصد به المنهج الذي يكشف عن القوانين الأساسية التي تحكم التطور الاجتماعي للجنس البشرى، وأقام منهجه هذا على أساس قانونه الشهير **" قانون الحالات الثلاث "** الذي ادعى أنه استخلصه من دراسة تاريخ الإنسانية دراسة علمية.

سادسا : نتائج دراسته في علم الاجتماع :

انتهى"**كونت** " من دراساته في علم الاجتماع إلى قانون " **الأحوال الثلاثة، وقانون التقدم، وقانون التضامن الاجتماعي** "،إذ يقع القانونان الأولان تحت القسم الأول من أقسام علم الاجتماع وهو الديناميك الاجتماعي، ويقع القانون الأخير تحت قسم "

الاستاتيك الاجتماعي "،كما يلي :

١- في قانونه **"الأحوال الثلاثة"**،يرى كونت أن التفكير الإنسـاني يمر في كل فرع من فروع المعرفة من مرحلة التفكير اللاهوتي إلى مرحلة التفكير الفلسفي ثم إلى مرحلة التفكير الوضعي[١].

ويستدل " **كونت** " على صحة قانونه هذا بالرجوع إلى تاريخ العلوم وتاريخ الإنسانية، ويشبه المراحل التي مر بها التفكير الإنساني بالمراحل التي يمر بها الفرد في نشأته ونموه،**فالمرحلة اللاهوتية** تشبه مرحلة **الطفولة**،**والميتافيزيقا** تشبه مرحلة **الشباب والمراهقة**، والمرحلة **الوضعية** تشبه مرحلة **الرجولة والاكتمال** التي يصل إليها الفرد.

٢- **قانون التقدم** :يرى **"كونت"** أن التقدم سيرا **اجتماعيا نحو هدف معين** لا يمكن الوصول إليه إلا بعد المرور بأدوار ضرورية محددة،وعادة **ما يكون انتقال** الإنسانية من مرحلة إلى أخرى مصحوبا بتقديم **أو تحسين يبدو في مظهرين**، تقدم في حالتنا الاجتماعية، وتقدم في طبيعتنا الإنسانية [٢].

٣- **قانون التضامن الاجتماعي:** يرى"**كونت**" أن مظاهر **الحياة الاجتماعية** يتضامن بعضها مع بعض، وتسير أعمال كل منها منسجمة مع أعمال ما عداها،وتتضافر جميعها على حفظ المجتمع وصيانة حياته،فهي تشبه أجهزة الجسم الحي،إذ يختص كل منها بوظيفة تختلف عن وظيفة ما عداه، ولكي تنسجم **هذه الوظائف كلها بعضها مع بعض وتتضافر على حفظ الكائن وصيانة حياته** [٣].

سابعا : نقد علم الاجتماع عند كونت :

على الرغم من أن **"أوجست كونت "** هو المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع، فهو الذي أوجد هذا العلم وأعطاه الاسم الذي اشتهر به، إلا أن هناك عدة انتقادات وجهت إليه لعل

---

(١) مصطفى الخشاب : مرجع سابق، ص ص ٢٢٠ – ٢٢١.

(٢) على عبد الرازق جلبي : مرجع سابق، ص ١٤٣.

(٣) على عبد الواحد وافى : مرجع سابق، ص ١٤٣.

أهمها [1]:

١- كانت أسباب نشأة علم الاجتماع كما تصورها "**كونت**" أسبابا خيالية، جاءت محصلة لتفكيره الخاص ولا تمت للواقع بصـــلة،إذا لم يكن جميع الناس في عهده يفهمون ظواهر الطبيعة فهما وضــعيا،لأن هذا النوع من الفهم كان مقصــورا على المســتنيرين من الناس الذين لديهم فرصــة دراســة مســائل العلوم، كما أنه ليس صــحيحا أن جميع الناس في عهده كانوا يفهمون ظواهر الاجتماع فهما غير

وضــعي، وإنما كانت هذه الظواهر موضــوعا للدراســة العلمية،وتوصــل الباحثون بصــددها إلى عدد من القوانين العلمية.

٢- بالرغم من أن قواعده المنهجية كان لها قيمتها العلمية، إلا أنه لم يلتزم بها في دراســة موضــوعات العلم،وانحرف عنها انحرافا ظاهرا أدى به إلى قوانين لها طابع فلســفي بدلا من أن يصل إلى قوانين مستخلصة من طبيعة الأشياء.

٣- تصور "**كونت**" أن الإنسانية كل لا يتجزأ، وطبق عليه قانون "**الأحوال الثلاثة**" مع أن هناك مجتمعات جزئية مختلفة،وأن هذه المجتمعات لا تســـير على وتيرة واحدة في فهم الأشـــياء وفى إدراك الظواهر وفى تطور هذا الإدراك، وقد تختلف المراحل التي يمر بها مجتمع عن المراحل التي يمر بها مجتمع آخر.

٤- أن تطور شــئون المجتمع لا ينجم عن تطور التفكير فقط، وإنما ينجم عن عوامل كثيرة تتفاعل آثارها وتتحد نتائجها،وليس تطور التفكير ذاته،إلا مظهرا من مظاهر تطور المجتمع.

---

(1) لمزيد من التفصيل انظر :

على عبد الرازق جلبي : مرجع سابق، ص ٧٣.

محمود عوده وآخرون : نشأة علم الاجتماع، دراسة في سوسيولوجيا المعرفة، في دراسات في علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة،١٩٧٥، ص ٥٩.

٥- أن التسليم بأن مظاهر الحياة الاجتماعية تتضامن بعضها مع بعض، لا يستقيم مع ما نشـــاهده في كل مجتمع من قيام تيارات نقدية واتجاهات ترمى إلى تقويض النظم الموجودة والنظريات المتناقضة.

٦- أنشـأ "**كونت** "علم الاجتماع **بهدف إصـلاح المجتمع**،**ورأى أن التفكير الوضـعي** هو وحده القادر على إعادة تنظيم المجتمع من خلال السـياسـة الوضـعية، وهذا يعنى أن علم الاجتماع على هذا النحو يميل إلى **المحافظة ويقبل المجتمع الصـــناعي** " البرجوازي " بوصـــفه نهاية المطاف في التقدم الاجتماعي ويقف موقفا إيجابيا من نظمه الاجتماعية "**الأســـرة**،**الطبقات** "،ويجعل من مهمته الأساسية الترميم والإصلاح لا الرفض والتغيير الجذري.

وبعد موت " **أوجست كونت** " انحرفت الدراسة في علم الاجتماع عن الحدود التي رسمها للعلم الجديد، فبعض الباحثين ألحقه بعلم الجغرافيا كما فعل " **راتزل** "،والبعض الآخر ألحقه بعلم الحياة كما فعل" **هربرت سبنسر** "، وبعضهم كان يدرسه داخل نطاق علم النفس، وقد جنت هذه الاتجاهات على اسـتقلالية علم الاجتماع، وكادت تفقده شـخصـيته المتميزة.

كارل ماركس

"١٨١٨ م – ١٨٨٣ م

أولا : لقبه وكنيته :

ولد " **كارل ماركس** "في مدينة "**تريف** "بألمانيا عام ١٨١٨ م، وعندما تخرج من بالمدرسة الثانوية التحق بالجامعة في"**بون** " ثم في "**برلين** "،وكانت لديه الرغبة في أن يعمل أستاذا جامعيا،لكنه بعد أن قيم الأحداث السياسية في تلك الفترة عدل عن الفكرة، وبعد أن حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة عمل بالصحافة،ونشر العديد من المقالات السياسية والاقتصادية التي يطغى عليها الأسلوب الراديكالي الثوري،والتي كان يدعو من خلالها إلى التغيير والثورة وقلب نظام الحكم في ألمانيا بالقوة، ونقل السلطة من الملك للشعب،الأمر الذي دفع الحكومة الألمانية إلى طرده من البلاد ونفيه إلى فرنسا ثم إلى بلجيكا، ولكن سرعان ما تم طرده لتمسكه بأفكاره الثورية،وأخيرا استقر به الحال في إنجلترا منذ عام ١٨٥١ م إلى أن توفى بها عام ١٨٨٣ م [١].

وهناك ظروف أسهمت في تشكيل نسق أفكاره،حيث عاش أوضاعا اجتماعية واقتصادية متقلبة حافلة بالثورات،وعاش بين أكثر من مدينة أوربية،الأمر الذي وسع من مسرح ملاحظاته، فقد تأثر كمعاصريه بالأوضاع الاقتصادية والفكرية السائدة،إلا أنه تميز عن معاصريه بأنه تحرر منها،كما أن تطوره الفكري سار جنبا إلى جنب مع تطوره السياسي الذي قاده من الديموقراطية الثورية إلى الاشتراكية، فهو من الناحية الفكرية قد تأثر بالفلسفة الألمانية بصفة عامة، وبفلسفة " **هيجل** " و " **فيورباخ** " بصفة خاصة،وعندما انتقل إلى باريس اهتم بالأفكار الا شتراكية التي تركها "**سان سيمون،برودن** "،ثم بذل جهدا كبيرا في دراسة الاقتصاد السياسي،وخاصة كتابات "ريكاردو،أدم سميث " [٢].

يرى البعض أن " **ماركس** " جعل حياته أسير الفلسفة الهيجلية، وأن إضافاته لا تخرج عن كونها مجرد حشو لهذه الفلسفة الواسعة في التاريخ بمضمون من الوقائع الملموسة،

---

(١) غريب سيد أحمد وآخرون : المدخل إلى علم الاجتماع، مرجع سابق، ١٧.

(٢) محمد على محمد : مرجع سابق، ص ١٠٥.

والواقع أن أحدا لا يستطيع أن ينكر أن " ماركس " قد ترعرع في مناخ الفلسفة الهيجيلية، واتضح ذلك بجلاء في استخدامه لمصطلحاتها الفرنسية وبخاصة في كتاباته المبكرة، **كما أنه لم يبخل إطلاقا عن احترامه** لجوانب معينة في فلسفة أستاذه ومذهبه الفكري، لكن نظريته الخاصة نبعت من منابع فكرية أخرى، بجانب **الفلسفة الهيجيلية** من ناحية، كما تأسست من خلال الدراسة الاجتماعية الواقعية لحياة الطبقة العاملة من ناحية أخرى، وبالتالي يمكن اعتبار الفكر الماركسي هو الوريث الشرعي لعصر التنوير باتجاهاته النقدية والسلبية ([1]).

لقد استخدم " **ماركس** " الديالكتيك الهيجيلى بعد أن عدله وطوعه لخدمة قضاياه الأساسية، فالعقل عند " **هيجل** " يحتوى العالم كله، فهو قوة خالدة تعبر عن ذاتها في كل جوانب الحقيقة الواقعية، ولكن **ماركس** في عام ١٨٤٤م كتب نقدا مطولا **للمنهج الهيجلى**، أثنى فيه على مفهومات " **هيجل** " التي قدمها في مؤلفه " **فينومينولوجيا الروح** "، وهى المفهومات الخاصة بأصل الإنسان وتطوره، الذي أكد فيه على أهمية العمل الإنساني **واعتباره القوة الدافعة** للنشاط الإنساني، ولكن "**ماركس** " يعتقد أن هيجل **قد فهم العمل في شكل مختلف**، إذ تصور " **هيجل** " أن العمل هو النشاط الروحي الخالص، كما أن العملية التاريخية كانت في تصوره أيضا متمثلة في حركة المقولات أو الأفكار المجردة وصراعها " **المثالية الجدلية** "، ولذلك فإن" **ماركس**" في نقده لفلسفة التاريخ عند " **هيجل** "، قبل تصوره للتاريخ بوصفه عملية الخلق الذاتي للإنسان، لكن هذه العملية تختلف عند " **ماركس** "، فهي **مادية صرفه، وليست روحية أو فكرية**، **فماركس** يصف العمل بأنه **اجتماعي مادي** تطور من خلال الإنسان في سيرته التاريخية ([2]).

([1]) محمد عاطف غيث : الموقف النظري في علم الاجتماع المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦، ص ٢٢٢.

([2]) محمود عوده : تاريخ علم الاجتماع، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤، ص ١١١.

والواضح أن " **ماركس** " استعار من **هيجل** قانون " الديالكتيك " الذي استعمله في تفسير حركة المجتمع تفسيرا ماديا، وهذا القانون ساعد **ماركس** على رسم مسيرة التحول الاجتماعي التي تشهدها المجتمعات البشرية " **حيث يتحول من المشاعية البدائية إلى العبودية ثم الإقطاع ثم يتحول إلى الرأسمالية أو الاشتراكية** "، وهذا التحول يعزى إلى القوى المادية التي سرعان ما تثير روح المنافسة والانقسام والصراع والثورة الاجتماعية التي تنقل المجتمع من شكل إلى آخر[1].

أما عن أثر أفكار" **كونت** "على "**ماركس** "،فيمكن القول أن **ماركس** رفض نظرية "**كونت** " رفضا تاما وأدان روحها اللاهوتية،ولما كانت نظرية "كونت" محاولة واعية لدحض ما سمى "بالفلسفة السلبية "، وهى الفلسفة النقدية التي ظهرت وسيطرت على المناخ الفكري في عصر التنوير، ومن الجدير بالذكر أن الفلسفة السلبية أو النقدية هذه قد استخدمت كسلاح ضار في أيدي الطبقة البرجوازية الصاعدة في صراعها مع الطبقات الإقطاعية اللاهوتية القديمة، وقد تمخض هذا الصراع عن الثورة الفرنسية وانهيار النظام القديم[2]، **ولذلك يمكن** القول بأن الفلسفة النقدية قامت بوظيفة تاريخية هامة،بالرغم من انتقاد كونت لها، الذي اعتقد أن قيام النظام البرجوازي يسلب الفلسفة السلبية وما سمى " **بمشروعية التنوير** " الذي ينفى كونت مشروعية منطقه، وبالتالي ينفى مشروعية الثورة الفرنسية، عكس **الفكر الماركسي** الذي يؤكد ويثبت مشروعية منطق التنوير،وهذا يوضح موقف ماركس الرافض للفكر الكونتى بكل ما يتضمنه هذا الفكر من قضايا مناقضة ومعادية لفلسفة التنوير.

وأخيرا يمكننا القول أن **الفكر الماركسي** هو الوريث الشرعي لفلسفة التنوير، بجانب مؤلفاته العديدة " **كالاقتصاد السياسي** "الذي أحدث ثورة في هذا العلم،ثم عكف بعد ذلك على العمل

---

(1) ياس خضير البياتى : الفكر الاجتماعي من عصر الحكمة إلى عصر العلم، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، ليبيا، ٢٠٠٠، ص ص ٢٤٧ – ٢٤٨.

(2) محمود عوده : مرجع سابق، ص ١١٦.

الأكبر، بعد أن نضجت في ذهنه نظريته التي صقلتها أبحاثه وعززتها تجاربه،فتبلورت في كتابه **"رأس المال"** الذي ظهر الجزء الأول منه عام ١٨٦٨م،ولكنه توفى قبل أن يتمه،وأكمله من بعده صديقه **" أنجلز "** وكان الاثنان معا قد خلفا تراثا فكريا ضخما [١].

ثانيا : نشأة علم المجتمع :

من المعروف أن " **كارل ماركس** " رفض التسمية التي أطلقها " **كونت** " على العلم الجديد،وفضل أن يطلق على هذا النوع من الدراسة **"علم المجتمع"**[٢]، وقد يرجع ذلك إلى كراهيته **للفلسفة الوضعية** التي روج لها **كونت**،وبالتالي اجتهد في إنشاء علم يدرس المجتمع على أساس علمي كما يلي :

١- لاحظ **ماركس** أن علم الاجتماع كما ظهر في القرن التاسع عشر على يد " **أوجست كونت** "،" **هربرت سبنسر** " وعيرهما،كان يرتبط بالفلسفة الوضعية ويغرق في الميتافيزيقا ويغلب عليه الطابع الذاتي والسمة المثالية.

٢- لاحظ أيضا أن هذا العلم كان ينظر إلى المجتمع باعتباره **كتلة من الأشخاص** يرجع تغيرها إلى إدارة الحكام ورجال السياسة والأيديولوجية،الأمر الذي جعله ينفى وجود القوانين الوضعية التي تحكم الجنس البشرى خلال التاريخ.

٣- يرى "**ماركس**"أن هذا العلم قد عجز عن أن ينسق بين الحقائق التي توصل إليها،وعن التمييز بين الظواهر الهامة وتلك الثانوية،وعن الكشف عن المعايير الموضوعية التي يمكن الاستعانة بها في هذا التمييز.

وبناءا على ذلك يرى" **ماركس** "أنه لكي يتمكن علم المجتمع من النهوض على أساس علمي، ولكي يكون علما حقيقيا لابد له من أن **يستند إلى وجهة النظر المادية في التاريخ**،

---

(١) محمد على محمد : مرجع سابق، ص ١٠٦.

(2) Bottomore & Maximilein, eds,Karl Marx : Selected writings in sociology and social philosophy,Rubel,Bellican, Book, 1963,pp.28-32.

التي تعتبر **علاقات الإنتاج** هي جوهر بناء المجتمع،وبذلك استطاع "**ماركس** "بوجهة النظر المادية للتاريخ أن يحقق ما يلي [١]:

١- أن يخلص علم الاجتماع من **الفلسفة المثالية**،وأن ينكر أثر **العلل الاتفاقية والذاتية**،ويؤكد **القوانين الموضوعية** التي تحكم التطور البشرى خلال التاريخ.

٢- أن ينسق بين الحقائق التي توصل إليها في علم المجتمع.

٣- أن يميز بين **الظواهر الهامة والظواهر الثانوية**، أو بين علاقات الإنتاج وبين غيرها من علاقات اجتماعية أخرى.

٤- أن يسد **الكثير من الثغرات** التي كان يتصف بها علم الاجتماع،كما جاء في كتابات " **أوجست كونت** " وغيره.

من هنا يمكن القول بأن "**كارل ماركس**" على الرغم من أنه لم يخصص كتابا مستقلا يعالج فيه موضوعات الدراسة في علم المجتمع، إلا أن إسهاماته في علم المجتمع قد رفعت لأول مرة هذا الميدان الجديد إلى مستوى العلم، ولذلك فإن المهمة الأساسية لعلم الاجتماع كما يرى " ماركس " تتمثل في رسالة قوامها إثبات الطابع الإنساني والاجتماعي للمجتمع، كما اهتم بفلسفة التاريخ،وهذا يؤكد أهمية الدراسات التاريخية في علم الاجتماع بوجه خاص.

ثالثا : موضوع علم الاجتماع :

حدد "**ماركس** "موضوع علم الاجتماع في "**دراسة بناء المجتمع في جملته** "، والمجتمع عنده وحدة الدراسة في التحليل السوسيولوجى يكبر الدولة ويفوق الأمة، وهو عبارة عن حقبة تاريخية قد توصف بأنها إقطاعية أو برجوازية أو رأسمالية أو اشتراكية على حد تعبيره[٢].

وقد قسم "**ماركس** " علم المجتمع إلى قسمين هما [٣]:

---

(١) على عبد الرازق جلبي : مرجع سابق، ص ٧٨.

(2) C.W. Mills : The Marxists , N.Y,Dell pab.company,co,Enc,1962.p16.

(٣) على عبد الرازق جلبي : مرجع سابق، ص ٧٨.

الأول : علم المجتمع النظري العام : ويختص بدراسة القوانين التي تحكم ظهور وتغير التكوين الاقتصادي الاجتماعي موضوع الدراسة، **ويحلل ميكانيزمات** أداء الأنساق الاجتماعية لوظائفها،هذا فضلا عن دراسة **تفاعل الكائنات العضوية**.

الثاني : علم المجتمع النظري الخاص : ومن أمثلته " علم مجتمع العمل أو الأسرة أو الثقافة أو غيرها "، ويهتم بدراسة القوانين المتعلقة بتغير هذه الأنساق الاجتماعية الفرعية وأدائها لوظائفها **والعناصر المكونة لها** وميكانيزم التفاعل بينهما. ويرى"ماركس"أن هذين القسمين **مرتبطان فيما** بينهما ولا يمكن الفصل بينهما.

رابعا : العلاقة بين البناء التحتي والبناء الفوقي :

تعتبر من أهم القضايا التي تناولها " **ماركس** "، ويرى أنه يوجد في المجتمع نوعان من البناء الاجتماعي هما "**الهيكل أو البناء الأساسي أو الأسفل sub structure** ويتكون من العوامل الاقتصادية والمادية،ثم **البناء الأساسي الأعلى super structure ويتألف من الأفكار والمبادئ والنظم السياسية والقانون والدين والفلسفة والفن والأدب والعلوم والمعايير الخلقية** " وأي تغير في البناء الأسفل يتبعه حتما تغير في البناء الأعلى، ولكن "**ماركس** " يرى أن هناك تفاعلا **أو تأثيرا متبادلا بين كلا الأساسين** أو البناءين العلوي والسفلي[1].

كما يؤكد أن العلاقات القانونية والشكل الذي تتخذه الدولة لا يمكن فهمها من **خلال** النظر إليها في ذاتها،أو من خلال التطور المزعوم للعقل البشرى، وإنما تتأصل جذورها في الأوضاع المادية للحياة،ويرى **أن الأفراد يتصلون خلال قيامهم** بعملية الإنتاج الاجتماعي في علاقات الإنتاج تتطابق مع مرحلة محددة **من تطور** قوى الإنتاج المادية،وتشكل مجمل علاقات الإنتاج هذه **البناء الاقتصادي للمجتمع**، وهو الأساس الحقيقي الذي تنهض عليه الأبنية الفوقية القانونية والسياسية،وتنطلق منه أشكال محددة من الوعي الاجتماعي،ويحدد

(1) أحمد الخشاب : مرجع سابق، ص ٥٤١.

أسلوب إنتاج الحياة المادية الطابع العام لمجرى الحياة الاجتماعية والسياسية والروحية، إذن ليس الوعي هو الذي يحدد وجود الناس، بل على العكس من ذلك تماما، **فإن وجودهم** الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم، وعندما تصل قوى الإنتاج المادية في المجتمع إلى مرحلة معينة من مراحل تطورها، فإنها تدخل في صراع مع علاقات الإنتاج القائمة، أو علاقات الملكية بالمعنى القانوني، وهى العلاقات التي كانت متسقة

معها من قبل، ذلك لأن علاقات الإنتاج القديمة هذه تتحول إلى قيود على تطور قوى الإنتاج، وحينئذ تبدأ مرحلة من الثورة **الاجتماعية، ويتغير الأساس الاقتصادي** ويطرأ تحول يتفاوت في معدله على البناء الفوقي، أي **أن طريقة الإنتاج التي تكون** النظام الاقتصادي للمجتمع هي الأساس الذي يحدد ويكيف **النظم العليا للمجتمع** من سياسية ودينية وعقلية [1]، أي أن الوسط الطبيعي يكسب **المجتمع مظهرا** اقتصاديا خالصا في الإنتاج، وهذا المظهر بما **يحتويه من درجة السهولة في الحصول** على العيش، وضمان الوسائل التي **تكفل ذلك يحدد بدوره مظاهر الحياة الاجتماعية** الأخرى " كالأخلاق والقانون والفن والدين "، فهذه كلها ليست **إلا ظواهر إضافية** للظاهرة الأساسية وهى الظاهرة الاقتصادية.

نخلص من ذلك، إلى أن **" ماركس "** يعتقد بوجود بناءين للمجتمع **" البناء السفلي والبناء العلوي "** بينهما تأثير متبادل، وأي تغير في البناء السفلي أو المادي للمجتمع يتبعه تغير في البناء الفوقي للمجتمع.

---

(1) السيد محمد بدوي : مرجع سابق، ص ٢٥٧.

خامسا : الطبقات الاجتماعية والصراع الطبقي :

يرى " **ماركس** " أن الطبقة الاجتماعية هي " أي تجمع لأشخاص يؤدون نفس الوظيفة في عملية تنظيم الإنتاج، وتختلف عن بعضها البعض على أساس أو ضاعها الاقتصادية، أي أن الوجود الطبقي يقوم على أساس الوظيفة المشتركة في إطار عملية الإنتاج،أو أن أسلوب الإنتاج **هو الذي يهيئ الظروف لوجود الطبقة الاجتماعية** [1].

وتنهض الطبقات الاجتماعية عند " **ماركس** " أساسا على علاقات الإنتاج السائدة، وتؤدى علاقات الإنتاج في المجتمعات الطبقية التي تقوم على الملكية الفردية، إلى وجود طبقتين أساسيتين " **طبقة مستغلة تملك وسائل الإنتاج، طبقة مقهورة لا تملك سوى قوة العمل** "، ونتيجة للأهداف والمصالح المتناقضة بين هاتين الطبقتين يكون الصراع حتميا،حيث يؤدى في **النهاية**، ومن خلال الثورة الاجتماعية إلى تغيير في علاقات الإنتاج أو شل الملكية السائدة.

ومن خلال تتبع " **ماركس** " لأثر الأنظمة الطبقية في العالم،ودراسة أسباب نشأتها،والمراحل التاريخية التطورية آتى مرت بها، يؤكد أن الأنظمة الطبقية تتحول من نمط لآخر تبعا لتحول المجتمعات والحضارات،ففي المجتمع العبودى الذي كان سائدا في الحضارات القديمة،ففي الحضارة **الإغريقية والرومانية** كانت توجد طبقتان اجتماعيتان متخاصمتان هما " **طبقة الأحرار، طبقة العبيد** "، فالأحرار يمتلكون العبيد ويتصرفون بهم كما يشاءون، والعبيد يباعون ويشترون في أسواق العبيد، وليس لهم أية حريات ما عدا إطاعة الأحرار طاعة عمياء، وهذا الاستغلال دفع العبيد إلى التكتل والوحدة بعد ظهور الوعي الطبقي بينهم إلى الثورة ضد الأحرار، الأمر الذي يؤدى إلى سقوط **المجتمع العبودى** وتحوله إلى مجتمع إقطاعي [2].

([1]) محمود عوده وآخرون : مرجع سابق،١٢٧.

([2]) Marx.K.Selected : Writing in sociology and social philosophy , apelican Book,middle sex,England, 1967,p.208.

نستنتج مما سبق،أن الصراع الطبقي وما يؤدى إليه من ثورات اجتماعية هو المحرك الأساسي للتغير الاجتماعي في المجتمعات الطبقية **حتى يتم الانتقال** إلى مجتمع بلا طبقات،وتاريخ كل مجتمع ليس سوى تاريخ صراع الطبقات.

سادسا : منهج البحث عند ماركس :

حدد " **ماركس** "منهج البحث في علم المجتمع **"بالمنهج الجدلي** "الذي يفسر تطور حركة التاريخ عن طريق الواقعة المادية ونقيضها ثم اختفائها بظهور واقعة مادية جديدة [1]، ولقد **عاب البعض على ماركس من أنه استخدم منهجا** استدلاليا بحتا في دراسته لعلم المجتمع، يبدأ فيه ببعض المبادئ المجردة،ثم يستشهد بعد ذلك بالوقائع التي تثبت صحتها،ولقد رد البعض الآخر على هذا الانتقال قائلين،أن ماركس قد اتبع بالفعل منهجا استقرئيا كان من نتيجته أن

توصل إلى تصور للمراحل المتباينة للتنظيم الاجتماعي يبدأ **"بمرحلة المشاعية البدائية،ثم مرحلة الرق،ثم مرحلة الإقطاع،ثم المرحلة الرأسمالية،ثم المرحلة الاشتراكية "** [2]،

كما أن " ماركس "استخدم أيضا المنهج الإحصائي والامبيريقى،عندما اشترك في إجراء استفتاء للعمال في فرنسا استخدم فيه أسلوب الاستخبار الذي استعان في تطبيقه بالصحف الفرنسية.

مما سبق يتضح،أن **كارل ماركس** بإسهاماته يفوق غيره من العلماء، فلم يفسر لنا الظاهرات الاجتماعية بعوامل غير اجتماعية شبه غيبية كالأفكار والمعتقدات والشعور،وإنما أبرز العوامل الموضوعية الأساسية آتى تخضع للدراسة والقياس والتي تكسب للعلم طابعا علميا.

---

(1) أوسكار لانج :الاقتصاد السياسي،ترجمة راشد البراوى،دار المعارف،القاهرة،١٩٦١،ص ٦٠.

(2) أرمان كوفيليه : مقدمة في علم الاجتماع، ترجمة محمود قاسم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٥٨.

الفصل الرابع

التخطيط الاجتماعي

تمهيد :

شكلت التنمية الشاملة الشغل الشاغل للقادة وصناع القرار في الدول النامية إبان حصول هذه الدول على الاستقلال الوطني في أعقاب الحرب العالمية الثانية،ولم تجد هذه الدول بدا من اللجوء إلى **التخطيط الذي أصبح ضرورة ملحة بالنسبة** للدول الآخذة في النمو،والتي تسعى إلى تحقيق التنمية الشاملة،وقد **ذهب** البعض إلى أن تراكم ديون الدول النامية واستدانتها المستمرة يعود في جانب كبير منه إلى سوء أو غيبة التخطيط في هذه الدول،حتى أن بعض هذه الدول لم تعد قادرة على تسديد مجرد فوائد الديون، حتى أصبحت هذه المسألة تشكل أهم عناصر عدم الاستقرار في هذه الدول، لأنها تهدد عمليات التنمية.

ومن هنا فرض **التخطيط** نفسه على هذه الدول، ومن ثم بدأت كثير من هذه الدول الآخذة في النمو تلجأ إلى أسلوب التخطيط باعتباره الوسيلة الفعالة لتحقيق التنمية والطريق إلى إخراج اقتصادياتها من دائرة الركود والتبعية.

ويذهب **" أرثر لويس "** إلى أن السؤال لم يعد يكمن في **هل نخطط ؟**، وإنما في **كيف نخطط ؟**، وهذا يعنى أن التخطيط أصبح حقيقة واقعة، وأداة أساسية من أدوات التطبيق والسياسة الاجتماعية.

وهذا يعنى أنه لم يعد هناك خلاف حول أهمية **اتباع أسلوب التخطيط** للتنمية الاقتصادية والاجتماعية،ولكن ربما **كان هناك خلاف حول أسلوب التخطيط** المتبع ومداخله واستراتيجياته التي تتجدد في ضوء الفلسفة الاجتماعية،وطبيعة السياسة الاجتماعية التي تنبع من الأيديولوجية السائدة في المجتمع.

ولقد بدأت **المجتمعات الرأسمالية** التي تعارض أساسا مبدأ التخطيط تأخذ بهذا الأسلوب،حيث توجد في أمريكا **التي تمثل** قلعة الرأسمالية مؤسسات تخطيطية على جميع المستويات سواء على مستوى الحكومة الفيدرالية أو الاتحادية أو على مستوى الولاية أو المدينة أو على مستوى المجتمع المحلى.

ويمكن القول بأن التعارض بين التخطيط بالمفهوم **الاشتراكي**،والتخطيط بالمفهوم **الرأسمالي**، إنما يعكس تعارضا بين أيديولوجيتين تلبى كل منهما ظروف اجتماعية ونظم اقتصادية وسياسية مختلفة،فالتخطيط يتضمن عددا من القرارات والأفعال الواعية، ومن ثم فهي تختلف في المجتمع الاشتراكي عنها في المجتمع الرأسمالي،ففي المجتمعات الرأسمالية تكون القرارات في تناول فئة قليلة تتوفر لها **مقومات اتخاذ** القرار،أما التخطيط في المجتمع الاشتراكي فيعنى عملية جماعية وليس عملية فردية.

وبصرف النظر عن الفلسفة الاجتماعية أو الأيديولوجيا الموجهة لمجتمع من المجتمعات، فإن النظرة إلى التخطيط يجب أن تكون نظرة موضوعية باعتباره أسلوبا علميا ووسيلة منهجية،وإن كان السؤال **لا يزال مطروحا** حول حجم الدور الذي تقوم به الدولة أو الحكومة،وحجم الدور الذي يمكن أن تقوم به المؤسسات والأفراد في عملية التخطيط،حيث أن التخطيط من شأنه أن يجنب الدول المتبعة له التغيرات غير المنظورة والهزات الاقتصادية التي تحدث في عالمنا المعاصر، وأقربها ما حدث في خريف ١٩٩٧ من هزات اقتصادية **وانهيار في سوق العملات** والبورصات في دول جنوب شرق آسيا.

وفى ضوء **التحولات والتغيرات** التي طرأت على النظام العالمي يتساءل الكثيرون عن مستقبل التخطيط، وعلاقته بالتنمية في ظل نظام عالمي أحادي رأسمالي ؟، ومن هنا يمكن القول بأن هذا التحول الحادث لا يعني التقليل من فعالية التخطيط، ومن هذا المنطلق نلقى الضوء في هذا الفصل على عدة نقاط محورية كما يلي :

أولا : مفهوم التخطيط :

يرتبط التخطيط دائما **بالفلسفة الاجتماعية والأيديولوجيا** التي تسود في كل مجتمع،والتي تختلف باختلاف المراحل التاريخية التي يمر بها المجتمع الواحد، ولما كان التخطيط وسيلة لتحقيق أهداف معينة ويسير في إطار الفلسفة والأيديولوجيا القائمة،فلا يوجد هناك اتفاق حول ماهية هذا المفهوم الذي أصبح أداة أساسية من أدوات التغير الاجتماعي **المقصود والموجه،وأداة من أدوات** التنمية في المجتمع المعاصر.

يذهب البعض إلى أن عالم الاقتصاد النرويجي "**كريستيان شونيدر**"[١]، هو أول من أدخل اصطلاح **التخطيط الاقتصادي** في مقال له عام **١٩١٠**، وقد شاع استخدام هذا المفهوم بعد أن استخدمه الاتحاد السوفيتي عام **١٩٢٨** باعتبارها أول دولة طبقت " **نظرية التخطيط الاقتصادي** " لتحويل الدولة الزراعية المتأخرة إلى دولة صناعية متقدمة.

والتخطيط من الناحية **المجردة** يعنى " **تحقيق الموائمة بين المتاح من الموارد والإمكانيات والمتوقع من الأهداف** "، ويعرف بأنه " **عملية إرادية مقصودة تسعى في المقام الأول إلى نقل المجتمع من الحالة التي هو عليها إلى الحالة الأفضل** "[٢].

ويعرف "**شارل بتلهايم**" التخطيط بأنه " **عملية يمكن من خلالها تنظيم مختلف مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في إطار الترابط والتنسيق بين مختلف قطاعات الاقتصاد القومي لتحقيق أهداف وغايات اجتماعية واقتصادية بصورة منظمة بأقصى سرعة ممكنة** "،ومن التعريفات الاشتراكية للتخطيط يذهب " **فولد مايس** " **إلى أن التخطيط " يعنى الرقابة الحكومية الكاملة للنشاط الاقتصادي** "[٣].

وفى المقابل نجد "**بولدنج**" تعرف التخطيط بأنه " **نوع من السلوك الذي يخضع إلى تقدير واع للتوقعات المستقبلية** "، كما يرى " **فريش** " أن التخطيط " **لا يعنى وضع قائمة بالأشياء التي نرغبها، ولكنه يعنى التنبؤ إلى أبعد مدى بجميع ردود الأفعال وأخذها في الاعتبار واختيار أنسب البدائل للتنفيذ** "[٤].

---

(١) خلاف خلف الشاذلي : التخطيط والتنمية في عالم متغير، دار التيسير للطباعة والنشر، المنيا، ٢٠٠١، ص ٢٠.

(٢) نفس المرجع السابق : ص ٢١.

(٣) شارل بتلهايم : التخطيط والتنمية، ترجمة إسماعيل صبري عبد الله، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦، ص ص ١٠ – ١١.

(٤) خلاف خلف الشاذلي : مرجع سابق، ص ص ٢٢ – ٢٣.

وإذا كانت التعريفات السابقة تعكس نوعا من **الأيديولوجيا الاشتراكية أو الرأسمالية**،فإن هناك **بعض التعريفات التي** تقف بين الاتجاهين، وتعكس الظروف الاجتماعية والاقتصادية **في بعض المجتمعات التي لها خصائص وخصوصية تاريخية تختلف عن المجتمعات** الاشتراكية الخالصة،كما **تختلف عن المجتمعات** الرأسمالية التاريخية،حيث يسود تلك المجتمعات أنظمة اجتماعية واقتصادية مختلفة.

وهناك بعض التعريفات التي **تتسم بالعمومية والشمول** في تناولها لمفهوم التخطيط دون التحيز لأيديولوجية معينة، مثل تعريف **"برانش"** الذي يعرف التخطيط بأنه " **عملية مقابلة بين الموارد والاحتياجات تسعى إلى تحقيق أهداف المجتمع** "، هناك كثير من المفاهيم التي تتداخل مع مفهوم التخطيط وترتبط به من بينها :

١- **مفهوم التنمية :** لا يختلف مفهوم **التنمية** عن مفهوم **التخطيط** كثيرا، حيث تتعدد تعريفات التنمية، وتختلف باختلاف **الاتجاهات النظرية والأيديولوجية** التي يعكس كل منها تصورا معينا لعملية التنمية،والتنمية في جوهرها تعنى " ذلك التغيير المخطط بما يتمشى مع أهداف وتطلعات المجتمع " [1]، وهنا تجدر الإشارة إلى أن التخطيط ليس هو ذاته الذي يحدث التنمية، وإنما يعمل على توفير وتنظيم الظروف التي تحدد وتنسق عوامل التنمية فتدعمها وتؤدى إلى الإسراع بها.

٢- **مفهوم الخطة :** ارتبط مفهوم التخطيط أساسا بالتنمية الاقتصادية في أول الأمر، ومن ثم فقد ارتبط مفهوم الخطة بالاقتصاد، حيث اهتم رجال التخطيط والتنمية بالخطة الاقتصادية، غير أن تجارب التخطيط والتنمية أثبتت مؤخرا أن التنمية الاقتصادية بمفردها غير كافية لتحقيق التنمية الشاملة،وأن العوامل الاقتصادية بمفردها ليست ضمانا لنجاح

(١) إقبال أمير السمالوطى : التخطيط الاجتماعي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٩١، ص ٢٣٧.

الخطة، ومن ثم ظهر مفهوم التخطيط الاجتماعي إلى جانب التخطيط الاقتصادي،وأصبح من المؤكد أن الخطة الشاملة لا بد وأن تتضمن هذين الجانبين [1].

يذهب " **بتلهايم** " إلى أن الخطة الاقتصادية " **عبارة عن جملة التدابير التي تم صياغتها والاتفاق عليها من أجل تنفيذ مشروع يتعلق بالنشاط الاقتصادي في المجتمع** "، ويعرفها " **سيردال** " بأنها " **برنامج إستراتيجي لحكومة وطنية يتمثل في تطبيق نظام للتدخل الحكومي بطريقة تعطى دفعة إلى الأمام للتقدم الاجتماعي** "، وهذا يعنى أن **الخطة من المنظور الاشتراكي** ترتكز على دعامتين [2]:

أ- وجود مشروع أو برنامج يكون بمثابة الهدف الذي نحاول تحقيقه.

ب- التدابير التي يتم الاتفاق عليها لبلوغ الهدف متضمنة الوسائل والموارد التي يمكن توظيفها لتحقيق الأهداف الموضوعة.

وكما أن **مفهوم التخطيط يختلف** باختلاف الفلسفة الاجتماعية والسياسة الاقتصادية، فإن **مفهوم الخطة** يختلف كذلك، حيث نجد أنصار الاتجاه الرأسمالي لهم رؤية مختلفة لمفهوم الخطة ويؤكدون على أن الخطة الاقتصادية هي خطة تنبؤ وإسقاط.

ويذهب " **بتلهايم** " إلى أن إعداد الخطة يجب أن يمر بمراحل هي [3]:

أ- تحديد التوجيهات التي تكون الأساس الذي تقوم عليه الخطة.

ب- صياغة مشروع مفصل لتوجيهات إعداد الخطة تقره الحكومة.

ج- مرحلة إعداد الخطة بهدف البحث عن الظروف المثلى لتحقيق الأهداف التي حددتها الحكومة وتضمنتها الخطة المقترحة.

---

(1) خلاف خلف الشاذلي : مرجع سابق، ص ٣١..

(2) إقبال أمير السمالوطى : مرجع سابق، ص ٢٣٨.

(3) خلاف خلف الشاذلي : مرجع سابق، ص ٣٢.

ويمكن **تقسيم الخطة** بوجه عام إلى ثلاثة أنواع هي [1]:

* **الخطة قصيرة الأجل** : وتتراوح مدتها بين عام وثلاثة أعوام، وينصب اهتمامها في الغالب على أهداف ومشروعات النشاط الإنتاجي والاستهلاكي، ويتسم هذا النوع بالمرونة.

* **الخطة متوسطة الأجل** :وتتراوح الفترة الزمنية لهذا النمط من التخطيط بين ثلاثة وسبع سنوات، وإن كان الشائع في غالبية الدول هو أن الفترة الزمنية خمس سنوات، وتسمى **" بالخطة الخمسية "**، يهدف هذا النوع من الخطط إلى تحقيق :

- زيادة مستوى المعيشة المادية للسكان **زيادة جوهرية وفعلية**،**وعلى وجه التحديد** زيادة الأجور الحقيقية.
- معالجة الجوانب الاجتماعية المختلفة للتنمية،على اعتبار أنها وثيقة الصلة،بل وتتكامل مع الجوانب الاقتصادية والتكنولوجية التي كان لها الأولوية فيما مضى.

* **الخطة طويلة الأجل** : ويسمى هذا النمط **" بالتخطيط الإستراتيجي "**، وهي تستغرق من عشر سنوات إلى خمس عشرة سنة، وهذه النوعية من الخطط تحتاج إلى وقت طويل لإجرائها بهدف حل المشاكل التي تهم القاعدة العريضة.

٣- مفهوم البرنامج : ويعنى **" مجموعة من الأنشطة المختلفة التي تهدف الخطة إلى تنفيذها في الواقع "** [2].

ثانيا : أهمية التخطيط :

يعتبر التخطيط من المتطلبات الأساسية لغالبية أو كل المجتمعات، وبخاصة النامية **من أجل استغلال مواردها** الطبيعية والبشرية،وتفاديا للعديد من المشكلات التي تعترضها، وتتضح أهمية التخطيط في عدة نقاط [3]:

([1]) نفس المرجع السابق : ص ص ٣٣ – ٣٨.

([2]) إقبال أمير السمالوطى : مرجع سابق، ص ٢٣٩.

([3]) أحمد رأفت عبد الجواد : مرجع سابق، ص ١٤٨.

١- أن التخطيط هو الأسلوب العلمي لتحقيق الأهداف.

٢- أن التخطيط يحقق التوازن بين الموارد والاحتياجات.

٣- أن التخطيط يضمن تحقيق الاستخدام الأمثل للمتاح من الموارد.

٤- يمكن من خلال التخطيط تحقيق التنسيق بين مختلف الجهود.

٥- يحدد التخطيط مراحل التنمية مع وجود الرقابة والمتابعة المستمرة.

٦- أن التخطيط يرتبط بمجتمع له بناء اجتماعي وثقافي مميز، يؤثر بلا شـــك على نجاح الخطة وتحقيقها للأهداف المنشودة، بحيث يكون من الضروري أن يلم المخطط بطبيعة البناء الاجتماعي **" موضـوع الخطة "**، فيأخذ في الاعتبار المتغيرات البنائية مثل " **حجم السـكان وتوزيعهم وكثافتهم، التركيب الطبقي، شبكة العلاقات الاجتماعية بين السكان** ".

٧- الوقوف على طبيعة وخصـائص النظم الاجتماعية، وطبيعة المؤسـسـات التي يتكون منها البناء الاجتماعي مثل " **النظام الديني، التربوي، الاقتصـادي، السـياسـي** "، حيث تؤثر هذه الأبنية سلبا أو إيجابا على عملية التخطيط.

٨- حصـر مشـكلات المجتمع وتحديدها، ثم العمل **على حلها وتوفير الاحتياجات** اللازمة في ضوء المتغيرات الحضارية المستمرة، حتى لا يتخلى المجتمع عن وضعه بين الدول.

٩- ضمان العدالة الاجتماعية، والعمل **بمبدأ تكافؤ الفرص** في توزيع الموارد والخدمات.

١٠- التوازن المطلوب في التنمية المتكاملة الجوانب عن طريق التنسيق بين الجهود على كافة المستويات المحلية والإقليمية والقومية.

١١- تحقيق أهداف المجتمع المحددة بطريقة مثلى في أقصر وقت وبأقل تكلفة.

ثالثا : الملامح العامة للتخطيط :

أن التخطيط عملية مقصودة يقوم بها المجتمع لإحداث توازن بين ثلاثة عناصر أساسية هي " الأهداف، الموارد، الزمن "بقصد تحقيق التنمية الشاملة ، وبصرف النظر عن الفلسفة الاجتماعية، والأيديولوجيا التي يتبناها المجتمع، فإن التخطيط يصبح ضرورة أساسية كأداة ووسيلة لتحقيق التنمية الشاملة.

وفى ضوء ما سبق يمكن القول بأن **للتخطيط عدة ملامح** منها [1]:

١- أن التخطيط **عملية تخضع** لعدد من المراحل المتتالية، بحيث تؤدى كل مرحلة فيها إلى المراحل التالية.

٢- أن التخطيط **وسيلة منهجية** ضمن وسائل أخرى تؤدى إلى تحقيق رفاهية الإنسان في المجتمع.

٣- **أن التخطيط يعنى التنظيم الواعي** للموارد والإمكانيات سواء المادية أو البشرية.

٤- أن التخطيط **يتجسد في الواقع الاجتماعي** والفلسفة الاجتماعية التي ينتهجها المجتمع.

٥- يتسم التخطيط **بالتنسيق والشمول والواقعية**.

٦- يقوم التخطيط علي **أساس تعبئة جميع الموارد المادية والبشرية واستغلالها الاستغلال الأمثل** لتحقيق أقصى معدل للنمو بأسرع وقت ممكن وبأقل تكلفة ممكنة.

٧- أن التخطيط **لا يقتصر على النواحي الاقتصادية**، بل إنه إلى جانب التخطيط الاقتصادي، يوجد هناك **التخطيط الاجتماعي** الذي يركز علي الأنشطة الاجتماعية والخدمات، كما يهدف إلى **تحقيق العدالة الاجتماعية** في توزيع العائد من التنمية الشاملة.

---

(1) خلاف خلف الشاذلي : مرجع سابق، ص ص ٤١ – ٤٢.

٨- أن دور التخطيط **ينبثق من وجود مصلحة جماعية** لأفراد المجتمع الواحد، ويتحدد بناءا على مدى تقبل أفراد المجتمع الواحد،ومدى تقبلهم للتضحية.

رابعا : مستويات التخطيط :

أن **" مستويات التخطيط "** تختلف باختلاف الهدف الذي ترمى إليه **الخطة** التي تتكون من عدد من المشروعات والبرامج القابلة للتنفيذ، ومن ثم فإن **التخطيط يكون له مستوياته**، ويمكن التمييز بين عدد من مستويات التخطيط [١] التي تبدأ **بالتخطيط على المستوى الدولي**، وتقوم به منظمات متخصصة تابعة لهيئة الأمم المتحدة مثل " **منظمة الأغذية والزراعة، منظمة العمل الدولية، منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية** "،ثم **التخطيط على المستوى المحلى** الذي يقوم على أساس الاهتمام بالوحدات الصغيرة في المجتمع، وهناك **التخطيط على مستوى القطاع**، والذي ينصب على القطاعات الهامة شفى المجتمع كالصناعة والزراعة... وغيرها، وهناك أيضا **التخطيط على مستوى الوحدة الإنتاجية**، وفيه يتم تقسيم القطاعات الإنتاجية في المجتمع إلى وحدات صغيرة.

ومن أبرز مستويات التخطيط نجد **التخطيط القومي،التخطيط الإقليمي**،وربما يعكسان **هذين المستويين تبنى** أيديولوجية معينة أو فلسفة اجتماعية ما :

١ - **التخطيط الإقليمي :** يتخذ **التخطيط الإقليمي** من الإقليم وحدة أساسية للتخطيط، ويتم اللجوء إلى هذا النوع من التخطيط عندما يوجد هناك تباين بين أقاليم المجتمع الواحد، ويتوفر قدر من الموارد التي تميز كل إقليم.

---

(١) إقبال أمير السمالوطى : مرجع سابق، ص ٩٤.

يرى " ماك كي " **Mac Kaye** أن معنى التخطيط الإقليمي يتحدد في ضـــوء أهدافه الرئيسية وهى [1]:

أ- التخطيط لاستغلال الموارد الطبيعية في الإقليم.

ب- التحكم في نقل السلع.

ج- العمل على تطوير البيئة لتقابل احتياجات الإقليم.

ويرى " **كنجز** " أن مفهوم **التخطيط الإقليمي** يعنى واحدا من ثلاثة أشياء :

أ- التخطيط الإقليمي لمنطقة جغرافية معينة تتميز باقتصاد منفصل.

ب- التخطيط الإقليمي، بمعنى اختيار تماســـك الخطط الإقليمية على المســـتوى المحلى وملاءمتها للخطة القومية للدولة ككل.

ج- تخطيط إقليمي بمعنى وضع مراحل زمنية لمشروعات الخطة القومية باعتبار أن المشروعات هي الموضـوعات أو البرامج التي تتكون منها الخطة القومية، وتهدف هذه المشـروعات إلى ا ستغلال الموارد الإقليمية ا ستغلال أفضل،إلى جانب العمل على تقليل الفجوات بين مختلف الأقاليم في الدولة الواحدة.

مقومات التخطيط الإقليمي : هناك عدة عناصر أساسية يقوم عليها هي [2]:

١- وجود حيز مكاني محدد يتم في إطاره التخطيط الإقليمي سواء كان مدينة أو ولاية.

٢- وجود بعض الموارد التي تميز إقليم معين،حيث يتم وضـــع الخطة الإقليمية في حدود الموارد الطبيعية والبشرية والتنظيمية المتاحة للإقليم.

٣- البعد الاجتماعي **ويشكل مجموعة القوانين والنظم التي يعيش في أصلها الإقليم.**

٤- يحتاج التخطيط الإقليمي إلى ضرورة إقناع الناس بأهمية التخطيط للتغير إلى الأحسن.

٥- ضرورة توافر البيانات والإحصاءات حول الإقليم موضوع التخطيط.

---

(١) خلاف خلف الشاذلي : مرجع سابق، ص ٥١.

(٢) أحمد رأفت عبد الجواد : مرجع سابق، ص ١٥٠.

٢- **التخطيط القومي:** لا يختلف التخطيط القومي عن **التخطيط الإقليمي** كثيرا، بل يرى البعض أن **التخطيط الإقليمي** المجدي لا يتم إلا في إطار التخطيط القومي الشامل،وفى نفس الوقت فإن الخطط المحلية **تستمد اتجاهاتها** من الخطة العامة، فعن طريق **التخطيط الإقليمي** أو المحلى يكون التخطيط القومي مرتبطا بالقاعدة وتصبح الخطة الإقليمية أحد عناصر الخطة القومية.

ويشبه " **حامد عمار** " العلاقة بين التخطيط الإقليمي والقومي بقوله :" إن الخطة المحلية أشبه بالجملة المفيدة،بينما يمثل التخطيط القومي النص الكامل "،وهذا يعنى أن التخطيط الإقليمي جزءا من التخطيط القومي،كما أن التخطيط القومي يتشابه مع التخطيط المحلى في كثير من الجوانب،إذ لا تختلف عناصر التخطيط في كل منهما تلك التي تتصل بتحديد الأهداف وحصر الموارد وتحديد الفترة الزمنية.

وذلك لا يعنى **عدم وجود اختلاف بين كل من** التخطيط على المستوى الإقليمي، والتخطيط على المستوي المحلي، فالتخطيط القومي يحقق التناسق بين الخطط الإقليمية، بحيث يمنع وجود التعارض أو الازدواجية، كما يضمن بذلك عدم حرمان قطاع من قطاعات المجتمع من مزايا التخطيط، كما يشمل التخطيط القومي برامج ومشروعات ضخمة تفوق إمكانيات المجتمع المحلى، فمثلا مشروع السد العالي لا يمكن أن تنهض به المجتمعات المحلية بمفردها، كما نجد أن التخطيط الإقليمي يوفر **بعض المقومات التي قد لا تتوافر** للتخطيط القومي مثل العمل على اكتشاف واستغلال الموارد الطبيعية والبشرية في الإقليم.

كما يختلف أيضا **التخطيط الإقليمي** عن **التخطيط القومي** في بعض النواحي[1]:

١- فيما يتصل **بمجال التخطيط**،نجد أن **التخطيط الإقليمي** يتخذ من الإقليم وحدة أساسية للتخطيط، بينما يكون في **التخطيط القومي** هيئة مركزية تقوم بتحديد الأهداف ووضع الخطة القومية.

---

(1) خلاف خلف الشاذلي : مرجع سابق، ص ص ٥٦ – ٥٨.

٢- يختلف **التخطيط الإقليمي** في طبيعته عن **التخطيط القومي** الشامل، في أنه يتيح الفرصة **للمشاركة الشعبية** في وضع الخطة الإقليمية وتنفيذها وهو ما لا يتوافر كثيرا للتخطيط القومي.

خامسا : مبادئ التخطيط :

يعنى التخطيط أحد الوسائل والأساليب العلمية لإحداث التغير المقصود والموجه، وبذلك فإن التخطيط يستند إلى عدد من القواعد والمبادئ التي تشكل أسس ومقومات عمليات التخطيط، ومن هذه **المبادئ** :

١- **الواقعية** : بمعنى أن تكون الخطة مرتبطة بالحدود التي يقرها الواقع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وهذا يعنى أن تكون هناك [١]:

أ° **واقعية اقتصادية** : وهى قائمة على تقدير واع للإمكانيات المادية والطبيعية التي تتصل بتوفير الموارد والتمويل اللازم للخطة.

ب° **واقعية اجتماعية** : وتتمثل في معارضة بعض الأنظمة الاجتماعية لأهداف الخطة.

ج- **واقعية سياسية** : وترتبط بالفلسفة الاجتماعية والأيديولوجيا الموجهة للمجتمع.

٢- **الشمول** : يعنى ضرورة توفر الرؤية الشمولية لجوانب الموضوع الذي يتم التخطيط له، بحيث **لا يقتصر التخطيط على مجال معين للتنمية وإغفال المجالات** الأخرى، فمثلا مشكلة الإسكان لا يجب أن ننظر إليها بوصفها مشكلة عمرانية هندسية تتولاها جهة دون أخرى فحسب، بل من الضروري أن يدخل فيها التخطيط باعتبار أن الإسكان يتضمن جوانب صحية واقتصادية **وثقافية وتعليمية** وعلاقات إنسانية، وعلى أساس هذا المبدأ فإن التخطيط

---

(١) أحمد رأفت عبد الجواد : مرجع سابق، ص ١٥٨.

الاقتصادي لا ينفصل عن التخطيط الاجتماعي وعن التخطيط العمراني والتعليمي[1].

٣- **التكامل :** ويعنى التكامل **بين جميع المستويات** المحلية والإقليمية والقومية، بحيث تصبح الخطة المحلية جزء من الخطة القومية، كما يعنى التكامل بين مختلف مجالات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وكذا التكامل بين مختلف قطاعات النشاط الاقتصادي والاجتماعي **من تعليم وصحة وزراعة وصناعة** وإسكان...وغيرها [2].

٤- **المرونة :** يجب أن تكون الخطة **مرنة بشكل يساعدها** على مواجهة المواقف الطارئة والمواقف المتغيرة، وحتى يصبح تنفيذها ميسورا، وحتى يمكن للمنفذ مقابلة المشكلات التي قد تطرأ أثناء تنفيذ الخطة والتي لم تكن في الحسبان عند إعداد الخطة، غير أن المرونة لا تعنى ترك الأمور دون دراسة دقيقة وتحسبا لما يمكن أن يطرأ أثناء تنفيذ الخطة [3].

٥- **تقدير الظروف الخارجية :** يرتبط التخطيط بالواقع القائم، ولكن المهم أيضا أخذ العوامل والظروف الخارجية في الاعتبار والتي من شأنها أن تؤثر على تنفيذ الخطة، **بحيث يجب أخذ هذه العوامل في الحسبان والتخطيط لمواجهتها** [4].

٦- **الاتزان والموازنة :** تقتضي عملية التخطيط وجود اتزان بين مختلف جوانب التنمية، بحيث **يتم الاهتمام بأحد جوانب التنمية** في ضوء حاجة المجتمع إلى ذلك، فقد نجد مجتمع يضع وزنا أكبر للتنمية الاجتماعية بعد أن يكون قد حقق مستوى مقبول للتنمية الاقتصادية، في حين نجد مجتمع آخر يضع وزنا أكبر للتنمية الاقتصادية باعتبارها الضمان إلى تحقيق التنمية الاجتماعية، كما تعنى الموازنة تحقيق التوازن بين المشروعات الاقتصادية والخدمات الاجتماعية، بمعنى الموازنة بين برامج الإنتاج وبرامج الخدمات [5].

---

(1) خلاف خلف الشاذلي : مرجع سابق، ص ص ٦٣ – ٦٤.

(2) نفس المرجع السابق : مرجع سابق، ص ٦٤.

(3) أحمد رأفت عبد الجواد : مرجع سابق، ص ١٦٣.

(4) نفس المرجع السابق : مرجع سابق، ص ١٦٣.

(5) خلاف خلف الشاذلي : مرجع سابق، ص ٦٦.

٧- **التعاون والتنسيق** : التخطيط نوع من العمل التعاوني الذي يحتاج إلى تضافر جميع الجهود **والإمكانيات لرسم خطة قابلة للتنفيذ في حدود هذه الإمكانيات**، فهو عمل لا يقوم به فرد بمفرده ولكنه نشاط اجتماعي يتطلب المشاركة من جميع وحدات المجتمع ومؤسساته المختلفة، كما أن التخطيط يعنى التنسيق بين مختلف **الوحدات المهتمة** بالتخطيط،وكذا بين مختلف المجالات والقطاعات في المجتمع منعا للتضارب أو الازدواجية [١].

سادسا : أساليب التخطيط :

أصبح التخطيط أمرا ضروريا،ومن ثم فإن معظم الدول الرأسمالية بدأت تقتنع بأهميته رغم **وجود خلافات حول الفوارق الأيديولوجية** والفلسفة الاجتماعية السائدة في كل مجتمع.

ففي **بلجيكا** كان لارتفاع نسبة البطالة في عام ١٩٥٩ سببا شفى الأخذ بأسلوب التخطيط لمواجهة التفاوت بين **الطبقات** والأقاليم،وفى **إيطاليا** لا زالت لا تتحمس لمشروعات التخطيط نتيجة لما عاناه الشعب الإيطالي في عهد الحكم الفاشي، ولا يزال رجال الأعمال الإيطاليين أشد المعارضين للتخطيط لخوفهم من أن يستغل الاشتراكيون الإيطاليون شعار التخطيط لينفذوا منه إلى سلسلة من التأميمات كما حدث عام ١٩٦٣ ،وفى **ألمانيا** يحذر الشعب الألماني من قبول أسلوب التخطيط **خوفا من الدخول إلى مركزية** أخرى،حيث عانى الشعب الألماني من " **بسمارك** " حتى " **هتلر** " من تركيز السلطة في الهيئات الحاكمة، وظنا منهم أن التخطيط يعني تحديد حجم حرية الفرد، وعلى كل يمكن القول بأن هناك **منهجين أساسيين للتخطيط** هما [٢]:

الأول : المنهج الديموقراطي :ويعنى إعطاء الفرصة للمواطنين للمشاركة في جميع مراحل التخطيط بداية من إعداد الخطة وحتى عملية التنفيذ والتقويم، وهو ما يعرف بمشاركة القاعدة الديموقراطية.

---

(١) أحمد رأفت عبد الجواد : مرجع سابق، ص ١٦٢.

(٢) خلاف خلف الشاذلي : مرجع سابق، ص ص ٦٧ – ٦٩.

الثاني : المنهج الأتوقراطى : ويدعو إلى أحقية فئة معينة **" الصفوة "** لاتخاذ القرارات التخطيطية، ويؤمن بقدرة السلطة الحاكمة على تحديد الاحتياجات المطلوبة ووضع الخطة التي تقابل تلك الاحتياجات.

وهناك **منهج ثالث يجمع بين المنهجين السابقين**، حيث يعطى للحكومة المركزية والفنية حق التخطيط في بعض النواحي،ويترك للمواطنين حق التخطيط في نواح أخرى،وهو الأسلوب المتبع في المجتمع المصري.

سابعا : معوقات التخطيط :

التخطيط الاجتماعي هو **عملية تغيير اجتماعي مقصود وموجه،** يتضمن الاستخدام الواعي للإمكانيات والموارد المتاحة،وذلك بهدف نقل المجتمع من الحالة الكائنة إلى حالة أفضل،ومن ثم فإن المشكلات التي تواجه عملية التخطيط الاجتماعي ترتبط في معظمها بهذا المحتوى لعملية التخطيط، ويمكن تحديد معوقات التخطيط في الآتي [1]:

١- **نقص الوعي التخطيطي بين المواطنين**، ذلك أن التخطيط عملية تبدأ على مستوى الفرد والجماعة والمجتمع، ومن الضروري أن يؤمن المواطنين كأفراد بأهمية وضرورة التخطيط في الحياة الاجتماعية والاقتصادية في إطار السياسة العامة التي تنتهجها الدولة ككل،وذلك يتطلب بدوره تعويد المواطنين على أنماط جديدة من العادات الاقتصادية والاجتماعية مثل الادخار وترشيد الاستهلاك،فالمشكلة الحقيقية التي تواجه عملية التخطيط للتنمية في المجتمعات التقليدية مثلا تتمثل في ضعف استجابة هذه المجتمعات لبرامج التنمية ومقاومتهم للأفكار الجديدة ن لذا يجب أن يكون المواطنين موضوع التخطيط على درجة من الوعي لتقبل التغيرات الجديدة،ويعتبر نقص هذا الوعي معوقا أساسيا للتخطيط.

٢- **غيبة المشاركة الشعبية في عملية إعداد الخطة وتنفيذها :** وذلك أن التغيير لا يحقق أي نجاح إلا إذا تم عن رغبة واقتناع وإرادة من المواطنين موضوع الخطة،ومن ثم فإن

---

(١) نفس المرجع السابق : مرجع سابق، ص ص ١٦٣ – ١٦٥.

تجاهل مشاركتهم في عملية التخطيط والتنفيذ يشكل عائقا أساسيا أمام التخطيط الفعال.

٣- **ضعف الثقة من جانب المواطنين** في المشروعات التي يضعها المخطط موضع التنفيذ، وفى فعاليتها وفائدتها، ويكون لذلك انعكاساته على عملية التخطيط الاجتماعي في المجتمع.

٤- **تخلف الأجهزة الإدارية القائمة** يمكن أن تشكل معوقا أمام عمليات التخطيط، وتتضح أهم مظاهرها في :

أ° تعقد الإجراءات والإغراق في الروتين.

ب° البطء الشديد في إصدار القرارات، وتناقض بعضها مع بعض.

ج- عدم الالتزام بتنفيذ القرارات الموضوعة.

د- افتقاد الكفاية في الأجهزة التخطيطية المؤهلة والمدروسة.

ه- صعوبة التنسيق بين **الوحدات الإدارية الجديدة** من ناحية، وبين الأجهزة التقليدية القائمة من ناحية أخرى.

٥- تحتاج الخطة إلى توفر مستوى معين من الموارد الطبيعية في المجتمع، ومن ثم فإن **نقص هذه الموارد** سواء البشرية أو المادية أو التنظيمية يشكل عقبة أمام عملية التخطيط الشاملة.

٦- **ضعف الهياكل الأساسية اللازمة لوضع الخطة**، وذلك أن بطء عمليات التنمية في بعض المجتمعات الآخذة في النمو يرجع إلي وجود عقبات هيكلية في طريق التنمية، ولذلك فإن أول خطة يجب أن تركز على خلق البنية الأساسية التي تسمح بالتنمية في المستقبل.

٧- **عدم وضوح الهدف من التخطيط** عند العاملين في كل ما يقترح من مشروعات في الخطة، بل يجب أن تناقش هذه المشروعات بغرض تحقيق الفهم والاقتناع في جميع المستويات.

٨- **عدم الدقة في الاختيار للوسيلة أو الوسائل المستخدمة في تحقيق الأهداف**، فقد يتسبب استعمال أداة غير مناسبة في حدوث مشكلات تواجه عمليات

التخطيط.

٩- **محاولة إحداث التغيرات في فترة زمنية قصيرة دون مراعاة للظروف القائمة**، حيث يجب أن ترتبط الخطة بالواقع الاجتماعي والاقتصادي القائم، فمن الطبيعي أن قدرة الإنسان على التخيل تكون أكبر بكثير من قدراته على التنفيذ، ومن هنا تنشأ فجوة بين الأغراض والإنجازات، ويتصور المخطط أنه بذلك ينقل المجتمع من وضعه الراهن إلى وضع أفضل بدون النظر إلي قدرة ذلك المجتمع المادية والبشرية على إحداث التغيرات المنشودة خلال فترة زمنية لا تتناسب مع الطاقة المجتمعية، ويحدث ذلك في الغالب نتيجة عدم وضوح الخطط على مستوى الاحتمال المسموح به الذي لا يمكن تجاوزه.

١٠- **عدم التنسيق بين الأجهزة التخطيطية المختلفة**، وتعتبر هذه المشكلة أيضا من أهم المشكلات التي تتعلق بإصدار القرارات التنموية، كما أن إغفال المخطط لعملية التكامل والترابط بين النظم الاجتماعية يشكل معوقا أساسيا أمام قيام التخطيط،وكذا **انعدام أو ضعف الاتصال المباشر** بين القائمين على وضع الخطة وبقية أفراد المجتمع موضوع الخطة.

الفصل الخامس

الثقافة

تمهيد :

لا شـــك في أن دراســـة **" الثقافة "** قد لاقت اهتماما كبيرا من قبل علماء الاجتماع والأنثربولوجيا، ولذا يجمع معظم المفكرين الاجتماعيين على أن العلوم الاجتماعية تختص بدراسة الطبيعة ما فوق العضوية **Super organic** مثلما تختص العلوم الطبيعية بدراسة البيئة غير العضـوية **Dis organic**،وتختص العلوم البيولوجية بدراسـة البيئة العضـوية " حيوان، نبات "، ولا شك أن هذه الطبائع الثلاث " العضوية، غير العضوية، ما فوق العضوية " تمثل كل الكون الذي خلقه الله سـبحانه وتعالى من **جميع جوانبه وبجميع** مشـتملاته، وهى لكونها أجزاء الناموس العام للطبيعة الكونية، فإن بينها علاقات وصلات متبادلة، والإنسان هو نفسه **يشارك في هذه** الطبائع كلها، فهو يؤثر فيها ويتأثر بما فيها.

ويلاحظ أن صـلة الإنسـان تشـتد **بالطبيعة العضـوية** لأنه يشـارك فيها مع الحيوان والنبات **بصفتهم كائنات** حية، وهو كذلك ينفرد **بالطبيعة فوق العضوية**، لأنها البيئة الخاصة بالإنســـان باعتباره كائنا اجتماعيا، بمعنى أن الطبيعة فوق العضـــوية هي بيئة الإنســـان الاجتماعية التي تشـــمل كل ما خلقته مهارة الإنســـان وإبداعه، وما يتطلبه تطوره الثقافي والحضـارة، وما يحتاجه ويلجأ إليه في مختلف وجوه نشـاطه الاجتماعي ويطلق على هذه الأمور **" التراث الثقافي الاجتماعي "**.

ومن هنا يتضح أن **الثقافة إنسانية**، بمعنى أن الإنسان وحده هو المخلوق الذي يتميز بأن له ثقافة، والثقافة الإنسانية هي كل ما يقوم به المرء من أعمال، وكل ما يؤمن به من اعتقادات وأفكار، وكل ما يشعر به من صور وأحاسيس، وكل ما تراكم لديه من عادات وأعراف وتقاليد، وكل ما يوجه سـلوكه من علوم ومعارف وقوانين، وإذا كانت الثقافة من صـنع الإنسـان، ولا توجد إلا حينما وجد المجتمع الإنسـاني، فالإنسـان خاضـع لها وملتزم بها، وهو يثنى عليها ويمجدها ويحرص عليها وبإمكانه أن يضيف إليها.

ويتضح أهمية دراسة موضوع الثقافة بالنسبة لعالم الاجتماع، إذا علمنا أننا لا يمكن أن نفهم اختلاف سـلوك الجماعات التي تنتمي إلى مجتمعات مختلفة، دون دراسـة ثقافة هذه

المجتمعات، فالثقافة لها تأثير كبير في توجيه وضبط سلوك الأفراد داخل المجتمع، بالإضافة إلى أنها تساعدهم على التكيف مع البيئة [1].

ورغم أهمية دراسة موضوع الثقافة لعلم الاجتماع، إلا أنه يجب مراعاة أن عالم الاجتماع لا يدرس الثقافة لذاتها،إذ أنها تشكل الموضوع الرئيسي للدراسة في علم الأنثربولوجيا الثقافية،ولكن عالم الاجتماع يهتم غالبا بدراسة هذا الموضوع نظرا لما تلقيه الثقافة من ضوء على العلاقات الاجتماعية التي تمثل الموضوع الرئيسي للدراسة في علم الاجتماع.

وعليه سوف نسلط الضوء في هذا الفصل على **عدة نقاط فرعية هي :**

أولا : فكرة الثقافة.

ثانيا : مفهوم الثقافة.

ثالثا : عناصر الثقافة.

رابعا : خصائص الثقافة.

خامسا : مقومات التكامل الثقافي.

أولا : فكرة الثقافة :

زحفت " **فكرة الثقافة** " على موضوعات علم الاجتماع وأصبح معالجة العوامل الثقافية في الجماعة أو الشخصية أو التفاعل الاجتماعي أو العمليات الاجتماعية أمرا ضروريا، فلا يمكن فهم أي موقف اجتماعي أو كشف حقيقة اجتماعية دون الإشارة إليها.

ويقال غالبا أن الإنسان في المجتمع يتأثر بالبيئة التي تحيد به،أي البيئة التي يولد فيها، ولكن البيئة تتكون من أشياء كثيرة، وأحد هذه الأشياء هي الطبيعة Nature،ومع أن بعض الناس ينشئون في بيئة واحدة إلا أن لغتهم تختلف، وكذلك تختلف طرق الزراعة

([1]) Ely Chinoy; Sociological perpective, R. House, New York, 1986,p.47.

عندهم والإسكان والأسرة وتنظيم الزواج والقوانين....الخ، أو بمعني آخر يتأثر هؤلاء الناس ببيئة أخرى ن وقد سمى **" هربرت سبنسر "**هذه " **فوق العضوية** " أي البيئة التي تختلف وتعلو على البيئة الطبيعية، ولكن هذا الاصطلاح لم يكتب له الذيوع، بل ذاع استخدام كلمة الثقافة **Culture** المأخوذة من الأصل الألماني **Kultur** والتي تحمل نفس معنى **Super organic** [1].

ويمكن القول بأن هناك **طريقتين** يتحدد عن طريقهما سلوك الكائنات "الأولى من خلال **الوراثة**،والثانية من خلال **التعلم** من الجماعة،وفى حالة الإنسان تسهم الوراثة بسلوك مثل الرضاعة والابتلاع، بينما يكون سلوك آخر مثل تعلم لغة أو قيادة سيارة متعلما من الآخرين،هذا إلى أن العمليات المتضمنة في اكتساب هذين النمطين من السلوك مختلفة أساسا،**فالأول** عبارة عن العملية البيولوجية للانتقال عن طريق البويضة المخصبة، **والثاني** عبارة عن العملية السيكولوجية والاجتماعية التي تشتمل على الانتقال عن طريق نسق من وسائل الاتصال يقوم على قدرة الإنسان على التعلم [2].

والسلوك الذي ينتقل عن طريق التعلم من جيل إلى جيل يسمى **" الثقافة " Culture**، ويمكن أن نتلمس البدايات الأولى للتعلم الاجتماعي والثقافي في العالم الحيواني، ولكن عدم وجود الكلام عند الأنواع الراقية من القردة يقيد بشكل ملحوظ القدرة على الاكتساب ويقلل من درجته،ولذلك فالإنسان وحده هو الذي له ثقافة [3].

ولم تكن للإنسان دائما **ثقافة معقدة** كما هو الحال الآن، فالثقافة تؤثر فيه بطرق متعددة، وهى تتكون من المخترعات أو السمات الثقافية المتكاملة في نسق على درجات متفاوتة من الارتباط بين الأجزاء، وهناك تصنيف مفيد لهذه الأجزاء في ضوء ما يسميه

---

(1) معن خليل عمر وآخرون : المدخل إلى علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٤، ص ١٧٦.

(2) Ogburn & Nimkoff, : op.cit, p. 29.

(3) محمد عاطف غيث،غريب سيد أحمد : محاضرات في علم الاجتماع، مرجع سابق،ص ١٤٣.

" **أوجبرن ونيمكوف** " " **الثقافة المادية Material culture، الثقافة اللامادية Immaterial culture**، وكل من الثقافة المادية واللامادية ينتظمان حول إشباع الحاجات الرئيسية، الأمر الذي يعطى الإنسان نظمه الاجتماعية التي هي جوهر الثقافة، وتترابط نظم الثقافة لتكون نمطا **Pattern** يميز كل مجتمع على حده [1].

ثانيا : مفهوم الثقافة :

يجب أن نعترف أن هناك نوع **من الجدل** الذي لا ينتهي حول ما إذا كان اصطلاح " **Culture** " يترجم باللغة العربية إلى" **ثقافة** " أو "**حضارة** "، كما أن الناس قد يستخدمون مفهوم **الثقافة في حياتهم اليومية** للإشارة إلى المعرفة وقراءة الصحف والمجلات، أو ممارسة بعض الفنون " كالموسيقى، أو الذهاب إلي الأوبرا أو المتاحف أو المسارح.....وغير ذلك "، ومن ثم فإن هذا المفهوم الشائع لدى عامة الناس يقسم المجتمع، إلى صفوة **Elite**، جمهور أقل ثقافة،ويستخدم علماء الاجتماع مفهوم الثقافة بطريقة مختلفة تماما،فكل أعضاء المجتمع **الذين يتحدثون بلغته قد اكتسبوا الثقافة**،سواء أكانوا أو لم يكونوا يقرأون الصحف والمجلات،أو يمارسون بعض الفنون، أو يذهبون إلى المتحف والمسارح، **فاكتساب الثقافة يتطلب مجرد مشاركة الأفراد في حياة المجتمع، وليس بالضرورة المشاركة في حياة الصفوة المثقفة** [2].

ومن هنا يتضح **صعوبة إيجاد تعريف واحد محدد ومتفق عليه** من قبل علماء الاجتماع والأنثربولوجيا لهذا المصطلح البالغ الأهمية، ولذا سوف نعرض لبعض هذه التعريفات التي وردت كما يلي :

([1]) Ogburn & Nimkoff , : op.cit, p.45.

([2]) Bernard Philips, : Sociology , From concepts to practice, N.Y. ; Mc Graw Hill Book Co., 1979,p. 30.

١- يرى"**مافيس بيسانز** " **M.Biesanz**،"**جون بيسانز** " **J.Biesanz** أن مفهوم "**الثقافة** " **culture**،يختلف عن مفهوم **"ثقافة ما "** Aculture، فالمفهوم **الأول** يشير إلي الجزء الذي نتعلمه من السلوك الإنساني،أما المفهوم **الثاني**، فيشير إلى طرق الحياة المميزة لهذا المجتمع [١].

٢- وقد يقتصر مفهوم **" الثقافة "** على الأفكار وأنماط السلوك دون الأشياء المادية مثل الأدوات والآلات، ويتبين ذلك من تعريف **" برنارد فيليبس " B.philips**، للثقافة على أنها " نسق من المعايير والقيم "، وكذلك تعريف **"هوبل "** E.A.Hoebl **للثقافة** بأنها"ذلك الكل المتكامل من السلوك المتعلمة التي تميز أفراد المجتمع والتي **لا تنتج عن العوامل** الوراثية البيولوجية " [٢].

٣- ومع بدايات القرن العشرين اتسع مفهوم **"الثقافة "** بحيث أصبح يدل على كل الجوانب المادية وغير المادية في الحياة البشرية،ويتضح ذلك من خلال التعريف الذي وضعه **" تا يلور " E.B.Tylor**، الذي يعتبر الثقافة " ذلك الكل المركب من المعارف والعقائد والفن والأخلاق والقانون والأعراف، وكل ما اكتسبه الإنسان بوصفه عضوا في مجتمع ما"[٣]،ولعل هذا يوضح أن مفهوم الثقافة يتضمن كل جوانب الحياة الإنسانية من مادية وغير مادية التي يتعلمها ويشارك فيها أعضاء المجتمع.

٤- كما نجد أن بعض **التعريفات التي ظهرت لمفهوم الثقافة** والتي تهتم بالجانب الرمزي وبتعلم الرموز،ويؤكد ذلك ما ذهب إليه **" تيرنر" Turner** من حيث أن الثقافة يمكن النظر إليها على أنها " نسق من الرموز التي لها دلالة أو معنى،والتي يكونها ويحافظ **عليها أفراد**

([1]) M.Biesanz & J.Biesanz ;Introduction to sociology, prentice Hall,Inc., Englewood cliffs,New Jersey,1978,p.55.

([2]) B.Philips : op.cit., p.51.

([٣]) محمد عاطف غيث، غريب سيد أحمد : محاضرات في علم الاجتماع، مرجع سابق،ص ١٤٣.

المجتمع من أجل تنظيم شـــئون حياتهم"[1]، ويعد هذا التعريف من أفضـــل التعريفات التي وضـــعت للثقافة،ومن التعريفات التي تهتم بالجانب الرمزي، تعريف " **هوايت** " للثقافة على أنها " الأشياء والأفعال ذات المعاني والتي تدرس في إطار غير شخصي "[2].

مما سبق نخلص إلى،أن الاتجاهات المختلفة في تعريف الثقافة قد تأخذ **اتجاها واقعيا** والذي يرى أن الثقافة هي كل ما يتكون من أشكال السلوك المكتسب الخاص بمجتمع إنساني معين أو بجماعة معينة من البشر، وقد تأخذ الثقافة **اتجاها تجريديا** يرى الثقافة مجموعة أفكار يجردها العالم من ملاحظته للواقع المحسوس الذي يشتمل على أشكال السلوك المكتســـب الخاص بمجتمع أو بجماعة معينة، وقد يظهر **اتجاه ثالث** يهتم بالجانب الرمزي، وهذا الاتجاه يعارض الاتجاه التجريدي، ويأخذ بالاتجاه الواقعي على النحو الذي ذهب إليه " هوايت ".

أيضا أوضحت التعريفات السابقة،أن بعضها يهتم بتوضيح مكونات الثقافة من جوانب مادية أو غير مادية،ويأخذ بعضـــها اتجاها بنائيا **يهتم بالصـــيغ العامة** وأنماط الفعل والسلوك،بالإضافة إلى أن هناك **بعض التعريفات التي تهتم بالجانب** الرمزي.

وعلى الرغم من هذه الاختلافات التي تبدو بين العلماء حول تعريفهم للثقافة،إلا أنه مما لا شـــك فيه أن **الثقافة ظاهرة عامة** توجد في جميع المجتمعات الإنســـانية،وتؤثر في عملية التفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية **التي تحدث** بين الأفراد داخل هذه المجتمعات.

ثالثا : عناصر الثقافة :

تتمثل **عناصـــر الثقافة** في عدة أمور منها " **اللغة، العادات، الأعراف، التقاليد، الفنون**

---

(1) أحمد أبوزيد : البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع " الجزء الأول " المفهومات "، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٥ ، ص ١٨٨.

(2) محمد عاطف غيث،غريب سيد أحمد : محاضرات في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ١٤٤.

المختلفة، العلوم والمعارف، القانون، الرأي العام، بالإضـــافة إلى النظم التي وضـــعها الإنســـان لتنظيم حياته في المجتمع كما يلي [1]:

١- عرفة الإنسان لتاريخه ليست كاملة، ذلك لأن اختراع الكتابة لم يحدث إلا منذ ستة آلاف ســـنة تقريبا، وكانت خبرات كل جيل تنتقل قبل ذلك إلى الجيل الآخر عن طريق المشافهة، ومن المعلوم أن اختراع الكتابة مكن الإنسان من تسجيل معرفته وزيادتها، الأمر الذي ســـهل تجمع عناصـــر الثقافة وزيادتها، ولذلك نجد أن علماء الاجتماع قد وجهوا جهودهم لدراسة السلوك المعاصر في أنهم استطاعوا أن يقيموا التعميمات التي يمكن أن تطبق على الماضي، لكي يتمكنوا من تفسير التاريخ في ضوء تفسير هذه التعميمات، وربما كان هذا الاتجاه هو البديل الوحيد أمام الباحثين لتفســـير الوقائع الاجتماعية التي وقعت في المجتمع الإنســـاني منذ فترات طويلة قبل اســـتطاعة الإنســـان تســـجيل معرفته وثقافته وحفظها عن طريق الكتابة.

٢- يجمع الباحثون في علم الاجتماع على أن كل تغير يحدث في الكائن خلال فترة محددة يمكن أن يسمى " فعلا "، والأفعال هي الوحدات الأولية للسلوك.

٣- في عدد من المجتمعات البدائية تكون العادات الشعبية والعرف كافية لحفظ النظام في المجتمع، ولهذا من النادر أن يجرؤ فرد على مجرد التفكير في مخالفة هذه القواعد النظامية، ولكن المجتمع الحديث الذي يقوم على تقســـيم العمل وما يســـتتبعه من تنظيمات اجتماعية متعددة ومعقدة **تجعل الناس** ينقســـمون إلى جماعات وطوائف وطبقات، ومن ثم لابد أن يعتمد المجتمع بجانب العرف والعادات الشـــعبية **على القانون الذي يحمى ويعاقب في نفس الوقت** لحفظ النظام.

([1]) لمزيد من التفصيل أنظر :

- محمد عاطف غيث، غريب ســـيد أحمد : محاضـــرات فى علم الاجتماع، مرجع ســـابق، ص ص ١٤٤ – ١٤٨.
- معن خليل عمر وآخرون : مرجع سابق، ص ص ١٨٠ – ١٨٢.

٤- تعتبر النظم الاجتماعية من عناصر الثقافة وصورها الأساسية، وهى في الواقع عبارة عن تنظيم يشـــتمل على عدد من العادات وجوانب متعددة من العرف والقانون في بعض الأحيان تندمج جميعا في وحدة للقيام بعدد من الوظائف الاجتماعية.

٥- التكنولوجيا، وهى تضم أساليب السلوك التي يستغل البشر بواسطتها الموارد الطبيعية للحصول على الطعام ولتصنيع الأدوات والأسلحة والملابس والمساكن والأواني والمصنوعات المادية الأخرى العديدة اللازمة لأساليب حياتهم.

٦- الاقتصـــاد، ويتضـــمن أنماط الســـلوك وتنظيم المجتمع فيما يتعلق بإنتاج وتوزيع واستهلاك السلع والخدمات.

٧- الدين والمعتقدات، ويشمل تفسيرات الإنسان للظواهر الكونية المحيطة به، سواء أكانت ظواهر طبيعية أم بشرية، وبالتالي أصبحت هذه التفسيرات جزءا من تفكيره وشعوره، فالدين عند المجتمعات البدائية على سبيل المثال، عبارة عن أنماط السلوك المتعلقة بعلاقات الإنسان بالقوى المجهولة، وأنساق المعتقدات والطقوس المرتبطة بتقديس هذه القوى.

رابعا : خصائص الثقافة :

ترتب على جهود علماء الاجتماع والأنثربولوجيا في اهتمامهم بدراســـة الثقافة عدة نتائج أسهمت في إثراء فهمنا لهذه الظاهرة كان من أهمها استخلاص عدة صفات جوهرية نعتبرها أهم الخصائص التي يمكن أن تتميز بها الثقافة في أي مجتمع بصفة عامة لعل منها [1]:

١- أن **الثقافة مكتسبة**، تعنى أن الفرد يتعلمها عن طريق **التنشئة الاجتماعية** منذ مولده في أســرته، ويســتزيد **اكتسابه لها كلما نما واتسعت دائرة معارفه واحتكاكه** بالآخرين، في المدرســة والنادى وجماعات الأصدقاء وجماعات المهنة أو الطبقة، وعلى ذلك فإن الثقافة ليست فطرية

---

(1) لمزيد من التفصيل :

- أحمد رأفت عبد الجواد : مرجع سابق، ص ص ٨٤ – ٨٩.
- على عبد الرازق جلبي : مرجع سابق، ص ص ٢٨٥ – ٢٨٨.
- أحمد أبو زيد : مرجع سابق، ص ص ١٩٢ – ١٩٣.

أو موروثة، **ولكنها في جملتها نتيجة للاختراع الاجتماعي**، وتنتقل من جيل إلى جيل عن طريق التعلم سواء كان مقصودا أو غير مقصود.

٢- أن **الثقافة محددة** لأنماط الحياة الاجتماعية في أي مجتمع.

٣- رغم أن على توفير سبل الحياة، وتنظيم الحياة الاجتماعية بشكل يوفر لأفراد المجتمع ما أمكن من حاجاتهم المعيشية، وطرق الحصول عليها، إلا أنها تختلف في الوسائل المؤدية إلى إشباع هذه الحاجات، وفي شكل التنظيم نفسه، فكل ثقافة مثلا تعمل على توفير الأكل وطرق الحصول عليه للناس، إلا أن ثقافة مجتمع ما تعتمد على الزراعة في ذلك، بينما تعتمد ثقافة مجتمع آخر على الاستيراد، وكذلك الحال في طريقة إعداد الطعام في كل ثقافة، حيث نلاحظ اختلافها من مجتمع إلى آخر...وهكذا.

٤- أن **الثقافة إنسانية**، أي خاصة به ومن صنعه وهو حفيظ عليها.

٥- تتأثر ثقافة كل مجتمع **بالخبرات والظروف البيئية والجغرافية والطبيعية والبيولوجية**،وكذلك بالأوضاع الاجتماعية المحيطة بالمجتمع، فثقافة البدوي مخالفة لثقافة الحضري، وثقافة مجتمع آخر كالقرية غير ثقافة مجتمع الصناعة...وهكذا.

٦- رغم أن كل مجتمع يجتهد في الحفاظ على ثقافته المميزة له، فإن **الثقافة عرضة للتغير** بفضل ما تضيفه إليها الأجيال الجديدة من خبرات وأدوات وقيم ومصطلحات لفظية....وغيرها، هذا وتختلف سرعة تغيرها من مجتمع إلى آخر.

٧- **تنتشر الثقافات وتنتقل من مجتمع إلى آخر عن طريق وسائل الاتصال** المختلفة وعن طريق الغزو أو الاحتكاك الثقافي، كما يحدث في حالة الإيفاد للتعليم والإبتعاث لدول أجنبية لاكتساب علوم أو مهارات فنية جديدة، أو في استيراد الكتب والمجلات العلمية أو عن طريق الاستعمار بأشكاله المتعددة.

٨- **الثقافة أكبر من مجموع أجزائها**،فهي لا تدرك عن طريق تشريحها إلى عناصرها، بحيث تفهم جزءا جزءا، أو عنصرا عنصرا، وإنما هي كل متماسك لا يمكن فهمها إلا جملة.

٩- **اللغة كوسيلة الاتصال الرمزي** تعتبر أساسا هاما من مكونات أي ثقافة، كما أنها عاملا هاما **يعمل على تراكم التراث الثقافي** وزيادته، وإمكان انتقاله من جيل إلى آخر داخل المجتمع، ومن مجتمع إلى آخر، وهى في الوقت ذاته أساس هام في عملية التنشئة الاجتماعية.

١٠- **الثقافة مجتمعية**، بمعنى أن ثقافة المجتمع هي أساس ثقافة الجماعات، وأن ثقافة الجماعات هي أساس ثقافة الأفراد، وليس معنى ذلك أن كل عناصر الثقافة لابد وأن يتبعها كل أفراد المجتمع، فهناك ثقافات تتبعها فئات أو جماعات معينة في المجتمع، بينما لا تطبقها جماعات أخرى، وما يقال عن الجماعات يقال على الأفراد، وهذا يعنى أن الثقافة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام **تبعا للفرد والجماعة والمجتمع وهى**"المتغيرات، الخصوصيات، العموميات".

١١- **الثقافة جانبان**، **ثقافة مادية** "وتشمل كل ما يصنعه الإنسان في حياته العامة، وكل ما ينتجه العمل البشرى من أشياء ملموسة، وكل ما يحص عليه الناس عن طريق استخدام فنونهم التكنولوجية، **ثقافة غير مادية** وتشتمل على مظاهر السلوك التي تتمثل **في العادات والتقاليد التي تعبر** عن المثل والقيم والأفكار والمعتقدات.

١٢- **الثقافة متنوعة المضمون**، فقد نجد تنوعا في مضمون الثقافات قد يصل إلى حد التناقض، فقد نجد أن أنماط السلوك التي يتبعها مجتمع ما، ويعتقد أنها الفضيلة بعينها، قد تعتبر جريمة في مجتمع آخر يعاقب عليها قانونه.

١٣- **الثقافة متشابهة**، فإذا كانت الثقافة متنوعة في مضمونها لدرجة التناقض، فإن الإطار الخارجي لجميع الثقافات واحد ومتشابه مهما اختلفت الثقافات في سلم التقدم الحضاري، ففي كل ثقافة نجد أشكالا ثقافية واحدة مثل " نظام العائلة، اللغة، الدين، والفنون، النظم الاجتماعية المختلفة، والتشابه هنا ينصب على الشكل العام الخارجي للثقافات.

١٤- **الثقافة تراكمية**، أي عملية نمو الثقافة وتطورها من جيل إلى جيل حتى تصل إلى

شكلها الحاضر.

١٥- الثقافة تميل إلى أن تصـــبح متناســـقة وكلا متكاملا،ومعنى هذا أن مكوناتها المتعددة والمختلفة تتوازن توازنا متحركا خلال الزمن باستمرار.

١٦- تتميز **الثقافة بأنها انتقائية**،ذلك لأن انتقال الثقافة **من جيل إلى جيل** وتوارثها يختلف عن نقل وتوارث الصـفات الجسـمية والحيوية في الكائنات الحية الذي يتم طبقا لنظام ثابت ودقيق، وأن انتقال الثقافة لا يتم بمثل هذا التحديد، وإنما يتم غالبا بطريقة واعية وانتقائية، بحيث ينتقى الجيل الذي يتلقى عناصـر الثقافة بعضـها،ويسـتبعد البعض الآخر طبقا لظروفه وحاجاته.

١٧- **الثقافة نســـق**، بمعنى أنها كل معقد، تتكون من ثلاثة قطاعات أو وحدات أو جوانب أساسية هي :

أ- الجوانب الإدراكية Cognitive، وتشـمل نسـق المعرفة الذي يتدرج من المعتقدات إلى التكنولوجيا، فعن طريق هذا الجانب من الثقافة نتمكن من معرفة طريقة اســـتخدام آلة معينة في الإنتاج.

ب- **الجوانب المادية Material**، وتشمل الأدوات والآلات واللعب والسيارات...وغيرها من الأشياء المادية التي تستخدم في تشكيل وتغيير البيئة.

ج- **الجوانب المعيارية Normative**، وتتضمن المعايير أو القواعد التي تنظم السلوك، كما تتضمن القيم أو الأفكار المجردة حول ما هو صواب وما هو خطأ، بالإضافة إلى أنها تتضمن الجزاءات " **الثواب والعقاب** " التي تطبق بطريقة رسمية أو غير رسمية لفرض الامتثال للمعايير ولضبط السلوك المنحرف.

خامسا : مقومات التكامل الثقافي :

تبين مما سبق أن **الثقافة كل معقد**، تشتمل على سمات ثقافية عامة، بالإضافة إلى الخصوصيات والبدائل الثقافية،ونجد أن الثقافة في حفظها لكيانها والمحافظة على نمطها العام تعمل على إدماج المتغيرات المختلفة في كيانها، بحيث يقدر لها البقاء والاستمرار ككيان له نمط عام، وهذا ما يطلق عليه " **التكامل الثقافي** ".

والتكامل الثقافي يعنى "أن هناك قدرا معينا من الانسجام الداخلي والارتباط الوظيفي بين عناصر الثقافة المختلفة، وبالتالي بين عناصر المجتمع المختلفة يضمن للثقافة عدم انحلالها، وأن عدم وجود هذا التكامل في الثقافة يسبب اضطرابا للفرد ويفقد المجتمع كفاءته وتظهر أنواع من الصراع قد تكون خطيرة لما يترتب عليها من فقدان للتكيف داخل الجماعة ".

وليس المراد من **التكامل الثقافي** أن تظل الثقافة على حال واحدة من الجمود والثبات،أو أن يكون هذا التكامل تاما كاملا،ولكن المقصود من التكامل الثقافي أن تكون هناك درجة معينة **من الاتزان بين** العناصر المختلفة التي تكون الثقافة.

كما يلاحظ أن **العموميات الثقافية** هي التي تعطى المجتمع تجانسه الداخلي ضد قوى التغيير التي تمثلها **الخصوصيات الثقافية**، وليس من شك في أن أية محاولة لدراسة الثقافة التي تسود أي مجتمع من المجتمعات تنطوي على كثير من الصعوبات الناشئة عن ضرورة البحث عما تنطوي عليه السمات الثقافية العامة من بديلات وما يختفي تحتها من خصوصيات،حتى يمكن فهم الثقافة في وحدتها وتكامل أجزائها،فهما يكن من تعقد الثقافة وتركيبها،فهي كل واحد متكامل [1].

ترى " **روث بنديكت** " **Ruth Benedict** أن جميع الثقافات في جميع مستويات التعقيد والبساطة، قد استطاعت أن تحقق التكامل الثقافي، فعندما تفحص وتقارن طرق السلوك المختلفة التي تكون محتوى ثقافة معينة، نجد أن هذه الثقافة تدور حول مركز

---

(1) أحمد أبو زيد : مرجع سابق، ص ٢٠٢.

معين هو النمط الثقافي [1].

إلا أن " **أوبلر** " **M.Obler** قد انتقد " **بنديكت** " في أن الثقافة لها طابع واحد تخضع له في جميع أنواع السلوك الموجودة في المجتمع، وذهب إلى أن هناك محاور متعددة لكل ثقافة لا محورا واحدا،ويرى" أوبلر " أنه لا يوجد محور واحد يدور على أساسه التكامل الثقافي، بل أن هناك محاور متعددة في كل ثقافة يدور حولها هذا التكامل الثقافي[2].

وفى **المجتمعات التقليدية** غير الصناعية،نجد أن الثقافة عادة تكون متكاملة إلى درجة كبيرة، إذ أن هذه المجتمعات عادة ما تكون صغيرة الحجم نسبيا وتتشابه القيم بين أعضاء هذه الجماعات، ومن ثم تكون هذه الثقافة متجانسة بشكل عام،**كما أن درجة التغير الثقافي تكون ضعيفة جدا في المجتمعات التقليدية.**

أما في **المجتمعات الصناعية الحديثة**، فعادة ما تكون العناصر الثقافية **المختلفة ليست على درجة كبيرة من التكامل الثقافي**،فغالبا ما تكون هذه المجتمعات الصناعية كبيرة الحجم، وتتضمن جماعات كثيرة متباينة، لكل منها طريقة حياة مختلفة إلى درجة ما عن غيرها من الجماعات، فثقافة هذه المجتمعات غير متجانسة،كما أن هذه المجتمعات تتميز بسرعة عمليات التغير الاجتماعي والثقافي، ويترتب على ذلك حاجة العناصر الثقافية المختلفة إلى التكيف مع هذه المتغيرات [3].

من هنا يتضح أن الفرد يتفاعل مع عناصر ثقافته التي يحيا في إطارها، فبجانب أنها تكيف الفرد كنوع بيولوجي مع البيئة التي يعيش فيها، تعطيه القدرة على التصرف في أي موقف، كما تهيئ له أساس التفكير والشعور، كما تزوده بما يشبع به حاجاته البيولوجية، كما تعمل على إعطاء الإنسان شعورا بالانتماء، ذلك لأنها تربط الناس معا في جماعة يشعرون

([1]) Ruth Bendict, Patterns of culture,Houghton-MiflinCo. &Rutledge and kegan,Boston &london,1934,p.46.

([2]) M.Obler, : Themes As Dynamic Forces in culture , in americanjournal of sociology, L1,No.3, 1945, pp.192.

([3]) أحمد أبو زيد : مرجع سابق، ص ٢٠٣.

بالاندماج فيها.

الفصل السادس

التنشئة الاجتماعية

تمهيد :

تعتبر عملية **"التنشئة الاجتماعية" Socialization** من أهم العمليات الاجتماعية التي تحدث في المجتمع، فكلنا يأتى إلى هذا العالم بطريقة واحدة،يبدأ وليدا صغيرا ليس لديه القدرة على مساعدة نفسه،ولا التمييز بين الأشياء،ومنذ ذلك اليوم يبدأ المجتمع حوله في تنميته طوال العمر،وإذا ما ركزنا حول تنمية الجانبين الاجتماعي والشخصي له، لوجدنا أن لديه كثيرا من المتطلبات المعقدة، كما أنه يمتلك مجموعة من الخصائص السلوكية والانفعالية تجعله يتميز عن بقية الأجناس الأخرى وتتيح له الاندماج والتفاعل مع الآخرين[1].

وينظر علماء الاجتماع إلى هذه العملية،على أنها العملية التي عن طريقها تتكون الشخصية الإنسانية، فهي **قديمة قدم المجتمعات الإنسانية** ذاتها، مارستها القبيلة والأسرة والشعوب منذ نشأتها الأولى، لتنشئ أطفالها على ما نشأت عليه،ولتحافظ بذلك على **استمرار عاداتها وتقاليدها وخصائصها الاجتماعية المختلفة**.

ولكن يرى البعض أنه في **نهاية الثلاثينيات وبداية الأربعينيات** من القرن العشرين،تم تناول التنشئة الاجتماعية **بطريقة علمية**،عندما نشر **" بارك "** بحثه عن " **التنشئة الاجتماعية** "عام **١٩٣٩** باعتبارها إطارا مرجعيا لدراسة المجتمع،كما أشار **" ادوارد زيجلر "**، **"ايرفن تشايلد "** إلى أن التنشئة الاجتماعية مشكلة قديمة في الحياة الإنسانية وهى" **كيف نربى الأطفال بحيث يصبحون كبارا مؤهلين للحياة في المجتمع الذي ينتمون إليه** "[2].

أشار بعض علماء النفس الاجتماعي إلى أن التنشئة الاجتماعية لا تأتى عن طريق الخصائص البيولوجية وحدها، بل يكون لعملية التطبيع الاجتماعي دورا هاما،فيحكى تاريخ

([1]) Edward F. Zigler and Michael E.Lamb ; Socialization and personality development, N.Y, Oxford university press,1982, p10.

([2]) فؤاد البهى : علم النفس الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨، ص ١٥٥.

علم النفس عن **" الطفل المتوحش "** الذي عثر عليه في غابة " **أفيرون** " بجنوب فرنسا عام ١٧٩٨ ،وكان يعيش حتى بلغ إثني عشر عاما كحيوان غير اجتماعي،ولقد نجح **" إيتارد "** في وضع برنامج يهدف إلى تنمية الناحية الاجتماعية عند هذا الطفل في تعليمه الاتصال عن طريق الكلام والقراءة لبعض الكلمات، إلا أنه فشل في تدريبه على ضبط النفس والتوافق الاجتماعي [١].

ومن هذا المنطلق فتنشئة الإنسان ولدت بميلاده ووجدت بوجوده،ولكن تغيرت أساليب التنشئة الاجتماعية للطفل عبر الأجيال، وأيضا طرق دراستها نتيجة لتغير المتطلبات الثقافية للمجتمع وعاداته وتقاليده ومستواه الحضري، وهذا التغير الحادث في المجتمع جعل الآباء والأمهات يهتمون اهتماما كبيرا وأحيانا مبالغا فيه بالتنشئة الاجتماعية للطفل، بل في بعض الأوقات ينتابهم الشعور بالقلق، ويتساءلون هل يربون أولادهم بالطريقة السليمة أم لا ؟، وذلك بسبب الظروف الاجتماعية العامة التي تقوى الإحساس بعدم الأمان من ناحية الوالدين على الأبناء.

ولذا سوف نسلط الضوء في هذا الفصل على **عدة قضايا محورية هي :**

أولا : ماهية التنشئة الاجتماعية.

ثانيا : الهدف من التنشئة الاجتماعية.

ثالثا : مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

أولا : ماهية التنشئة الاجتماعية :

إن استمرار المجتمع في البقاء يحتم حصوله المستمر على أعضاء جدد، ولذلك فهو يعمل على تحويل المادة الإنسانية الخام في الأطفال حديثي الولادة إلى أعضاء **كاملي العضوية**

---

(١) عادل عز الدين الأشول : علم النفس الاجتماعي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٢٦٩.

في المجتمع [1] كما ترتبط التنشئة ارتباطا وثقا بعملية التعلم، بل هي في ذاتها عملية تعلم، " فهي عملية يتعلم من خلالها الأطفال كيف يكونون أعضاء **مؤهلين أكفاء في مجتمعهم**،ومن خلال التنشئة تنتقل الثقافة من جيل إلى جيل،ومن هنا يستطيع المجتمع أن يبقى،كما أنها عملية لتنمية الذات،فالشخص وهو ينمو في جماعة يكتسب كينونة **وإحساس بالذات ومجموعة** من الخصائص التي تميزه، فالتنشئة تخلق وتعدل الشخصية الفردية من المهد إلى اللحد،ورغم أن علماء الاجتماع يفرقون بين نقل الثقافة وخلق وتطوير الذات،إلا أنهما وجهان لعملة واحدة [2].

ومن هذا المنطلق وردت تعريفات كثيرة **لمفهوم التنشئة الاجتماعية** منها :

١- يرى " **وليم ولامبرت** " أن التنشئة الاجتماعية هي ما يتعلم فيها الفرد كيف يصبح عضوا في أسرته **وفى مجتمعه المحلى وفى جماعته القومية منذ الطفولة** المبكرة وهى تتقدم مع تقدم المجتمع " [3].

٢- وهناك من يعرفها بأنها " عملية **تعلم وتعليم وتربية** تقوم على التفاعل الاجتماعي، وتهدف إلى إكساب الفرد طفلا فمراهقا فراشدا، سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق
الاجتماعي معها، وتكسبه الطابع الاجتماعي وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية"[4].

٣- وتعرف بأنها " تبنى الطفل لمجموعة من القيم وردود الأفعال تحت تأثير البيئة التي

---

(1) سناء الحولي : المدخل إلى علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢، ص ١٣٠.

(2) Leonard Broom and others : Sociology,california,wadsworth company, 1990,p.69.

(3) وليم ولامبرت وولاس : علم النفس الاجتماعي، ترجمة سلوى الملا، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٢٧.

(4) مختار حمزة : أسس علم النفس الاجتماعي، دار المجتمع العلمي، جدة، ١٩٧٩، ص ١٧٣.

يذشأ فيها وأنماط التفاعل في تلك البيئة "، وهناك من يرى بأنها " تلك العمليات التي من خلالها يتشـــرب الطفل الأنماط الســـلوكية التي تميز ثقافة مجتمعه،وتميزه عن ثقافة المجتمعات الأخرى"[1].

٤- يرى آخرون بأنها " عملية **ذات اتجاهين**، فهي تحتوى نوعا من التأثير المتبادل والمباشـــر في نفس الوقت بين الطفل وأبويه من ناحية، وبين الاثنين والمجتمع المحيط بهما من ناحية أخرى " [2].

نخلص مما سبق،أن عملية **التنشئة الاجتماعية** تعد في غاية الأهمية بالنسبة لكل من الفرد والمجتمع، فعن طريق هذه العملية يكتســـب الفرد الذات الاجتماعية، ويتكون بناء شخصيته، كما أن المجتمع تنتقل ثقافته من جيل إلى جيل عن طريق هذه العملية.

كما يجب أن نؤكد أن عملية **التنشـئة الاجتماعية مسـتمرة** لا تقتصـر على السـنوات الأولى من عمر الإنسان،إذ أن الفرد يحتاج إلى عمليات تنشئة مستمرة تبعا للمواقف الجديدة التي يتعرض لها طوال حياته،كما يمكننا القول بأن عملية **التنشـــئة الاجتماعية تختلف** من مجتمع لآخر،فكل مجتمع له معاييره وقيمه وطريقته في الحياة، ومن ثم يوجد في كل مجتمع أنماط معينة من الشـخصـية،تختلف عن غيرها من أنماط الشـخصـية التي توجد في المجتمعات الأخرى.

ثانيا : الهدف من التنشئة الاجتماعية :

يمكن القول بأن عملية التنشئة الاجتماعية بأنها عملية للتفاعل الاجتماعي التي نكتسب عن طريقها طرق التفكير والشعور والعمل الضرورية للمشاركة الفعالة داخل المجتمع،ومن هنا يتضح أن للتنشئة الاجتماعية عدة أهداف منها :

---

(1) هدى محمد قناوى : الطفل تنشئته و حاجاته،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،١٩٩٣،ص.٢٣

(2) محمد الجوهري وآخرون : الطفل والتنشـــئة الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإســـكندرية، ١٩٩١، ص ٨٣.

١–لقد كانت ولا تزال الغاية الأ سا سية من التن شئة الاجتماعية في كل الثقافات من أب سطها إلى أشدها تعقيدا، هي تربية أشخاص متوافقين ليسهموا في تقدم المجتمع ورقيه،لا ليكونوا عبئا عليه بعدم قدرتهم على التكيف والتوافق،وهذا ما تهدف إليه التنشـــئة الاجتماعية الســـليمة، حيث تتطلب العمل على تكامل شـــخصـــية الفرد الاجتماعية، بحيث يجرى تزويده بمتطلبات عملية التكيف الاجتماعي وأســـاليبها بما يجعله قادرا على مواجهة كل التغيرات التي تتطلبها حياة المجتمعات [١].

٢– كما أن عملية التنشـــئة الاجتماعية للطفل تجعل من الممكن إدخاله في إطار منظومة الأوضاع الاجتماعية، وتلك الأوضاع المرتبطة بأداء الواجب، وهو ما يدعم مهاراته وقدراته الادراكية واستعداده للتمكن والاعتداد بالنفس وإشباع الحاجات العاطفية الأساسية للطفل، حيث أن الطفل يولد ولديه حاجات لابد من إشـباعها بأي وسـيلة،والتنشـئة يسـتخدمها المجتمع في تحديد الطرق المقبولة لإشباع تلك الحاجات التي يستحسن بعضها ويستهجن الأخرى [٢].

٣– التنشئة الاجتماعية عملية ذات جانبين،فهي تقوم على ضبط وكف الطفل عن فعل كثير مما يشـــتهى،إلا أنها في الوقت ذاته تعينه وتشـــجعه على أن يتعلم كيف يحقق كثيرا مما يريد، فهي تنهاه عن القيام بأعمال يميل إليها بطبعه

وتأمره بأداء أعمال لا يميل إليها بطبعه، وعلى هذا النحو تغرس التنشئة الاجتماعية في نفس الطفل بذور سلطة داخلية هي " الضمير " الذي يأخذ في النمو ويقوى بالتدريج مع نمو الطفل ونضوجه خلال مراحل نموه المتعاقبة [٣].

٤– من الواضـــح أن عملية التنشـــئة الاجتماعية تختلف باختلاف نماذج البيئة المحلية

---

(١) عبد الهادي الجوهري : مدخل لدراسة المجتمع،مكتبة نهضة الشرق،القاهرة، ١٩٩٦،ص ٣١.

(٢) نفس المرجع السابق : ص ٣٢.

(٣) فوزية دياب : نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص ١٢٠.

وحجمها ووظائفها، إلا أنها إذا قامت على أساس من فلسفة مجتمع يؤمن بالحركة والنمو والتغير، أي على أساس من بنيان اجتماعي مفتوح يؤمن بكرامة الإنسان وبحقه في التطور والتدرج إلى أعلى الدرجات في السلم الاجتماعي، أدت إلى تنشيط عملية الحراك الاجتماعي بحيث يعمل الأفراد وينشطون على أساس من هذه الفلسفة التي تشربتها نفوسهم منذ الصغر عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية [1]، وهذا يعنى أن التنشئة تختص بتطوير شخصية متميزة لكل فرد، ذلك لأن سمات الجماعة لا يتشربها كل الأفراد بنفس الطريقة، إنما تتفاعل بدورها مع الخبرة الحضارية والخبرة في الجماعة الضيقة والخبرة الشخصية بطرق معقدة لتؤثر بدورها على الأفراد،ثم إن هذه العملية تخلق تنوعا مذهلا من الشخصيات المختلفة.

٥- أيضا تهدف التنشئة الاجتماعية إلى الوصول بالطفل إلى مرحلة يكون فيها قد تشرب ثقافة مجتمعه وقيمه وعاداته وتقاليده، إلى مرحلة يعتمد فيها على نفسه،ويكون قادرا على التفكير الحضاري السليم واتخاذ قراراته بنفسه وتحمل مسئوليتها.

ثالثا : مؤسسات التنشئة الاجتماعية :

تتم عملية **التنشئة الاجتماعية** بطرق مختلفة " رسمية أو غير رسمية، كما تحدث هذه العملية في جميع المجتمعات الإنسانية، سواء كانت مجتمعات "**بدائية أو تقليدية أو حديثة** "،ويتولى القيام بهذه العملية بعض الهيئات أو الجماعات المختلفة الموجودة داخل المجتمعات الإنسانية.

وفى **المجتمعات الحديثة**،يتولى القيام بعملية التنشئة الاجتماعية،هيئات مختلفة لعل أهمها " **الأسرة، المدرسة، جماعة الرفاق،وسائل الإعلام، دور العبادة** "، وفيما يلي عرض بإيجاز لكل منها :

أولا : الأسرة : تعتبر **الأسرة** أول وأهم الهيئات التي تقوم بعملية **التنشئة الاجتماعية** للطفل في جميع المجتمعات الإنسانية، خاصة وأن الأسرة تعتبر ظاهرة عالمية لا يخلو منها

---

(1) عبد الهادي الجوهري : مرجع سابق، ص ٦٣.

أي مجتمع إنساني، وترجع أهمية الأسرة إلى أنها الجماعة الأولية التي تتحمل المسئولية الرئيسية في تنشئة الأطفال، وخاصة في السنوات الأولى من عمرهم، ففي الأسرة يتعلم الأطفال المعايير والقيم الثقافية ويكتسبون اللغة وغيرها من الرموز والمهارات اللازمة لحياتهم المقبلة [1].

ثانيا : المدرسة : وهى الهيئة الرسمية التي يتم **إنشاؤها تحت إشراف المجتمع، فعند انتقال الطفل من البيت إلى المدرسة** يجد نفسه تحت إشراف مباشر من أفراد لا ينتمون إلى أسرهم ولا تربطهم بهم أية صلة قرابة،كما يجد نفسه أيضا أمام مواجهة عدة أشياء يتفاعل معها " **زملائه، الفصل الدراسي، مدرسيه، المنهج الدراسي** "، وهذا يعنى أن الطفل يتعلم داخل المدرسة طاعة الآخرين والامتثال لقواعد المجتمع وقيمه ومعاييره المختلفة [2].

كما أن المدرسة تمارس دورا هاما باعتبارها البيئة المتخصصة في تربية الأبناء

على أسس وقواعد علمية سليمة،كما **أنها تغرس في الطفل عامل الانتماء** لمجتمعه وتساعده في الانتقال من طفل معتمد على غيره إلى رجل **يستطيع أن يستقل بنفسه** معتمدا عليها،كما أنها تسهم في تحقيق **تكيف الطفل** مع الآخرين،[3] وهذا يوضح أن عملية التنشئة الاجتماعية ترتكز أساسا على المدرسة التي هي أساس كل المجهودات والأهداف التعليمية **المنظمة والتي تعطى** للعملية التعليمية اتجاها محددا.

---

(1) محمد صفوت الأخرس : التخطيط الاجتماعي في مجال رعاية الأطفال والشباب، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، العدد ١، ١٩٧٣، ص ١٦.

(2) أحمد زكى صالح :علم النفس التربوي، مكتبة النهضة العربية،القاهرة،١٩٩٢، ص ١٨٤.

(3) عبد الهادي الجوهري : مرجع سابق، ص ٦١.

ثالثا : جماعة الرفاق : وهى مجموعة من الأصـــدقاء والزملاء في البيئة الخارجية التي تحيط بالطفل في المدرســة أو الحي أو النادي،ولقد برزت أهمية هذه الجماعة في **تشــكيل قيم الأفراد** مع التحولات الاجتماعية في العقود الأخيرة التي كان من نتائجها ضــعف الروابط الاجتماعية بين الآباء والأبناء، وظهور ما يسمى **بصراع الأجيال** بين أعضاء الأسرة الواحدة تجاه مواقفهم من القيم المختلفة الموجودة في ثقافة المجتمع [١].

وتمارس هذه الجماعة تأثيرا كبيرا بالنســبة للتنشــئة الاجتماعية للطفل،وكلما كبر الطفل **يزداد ارتباطه بجماعة النظراء**، التي تتكون عادة من أطفال في نفس الســن ونفس المســتوى ويتقاسمون اهتمامات مشتركة، وقد يميل الطفل إلى قضاء معظم وقته في صحبة هذه الجماعة أكثر مما يميل إلى قضاء معظم وقته مع الوالدين في الأسرة.

وترجع أهمية جماعة الأقران إلى أنها **تعلم الطفل كيف يختار أصدقائه**، وكيف يتفاعل معهم على أســاس وجود نوع من المســاواة بين كل أعضــاء الجماعة،كما أوضــحت الكثير من الدراسات أن مدى تأثر الفرد بالصحبة ومدى ما يتقبله

من قيمها واتجاهاتها ومعاييرها هو أمر يتوقف على العلاقة بين الفرد والصـــحبة، فكلما ازدادت درجة هذه العلاقة، كلما ازداد مدى تمثل الفرد لما اصطلحت عليه الجماعة من أنماط سلوكية [٢].

مما سبق يتضح أن **لجماعة الرفاق** دورا مهما في **تشكيل ثقافة الطفل**، فعلماء النفس يجمعون على أن الخبرات الاجتماعية الســليمة والعلاقات الكثيرة التي تتوفر للطفل في السنوات الأولى من حياته لها دور هام في تكوين وبناء شخصيته وسلوكه ومواقفه واتجاهاته وتوافقه النفسي والاجتماعي، وبذلك تمارس جماعة الرفاق دورا في إعادة تشكيل القيم الاجتماعية،كما

([1]) K.Langton: Political socialization, london,oxford university press, 1969. p.36.

([٢]) سناء الخولي : مرجع سابق، ص ١٥٣.

لها تأثير قوى على السلوك الاجتماعي لأعضائها.

رابعا : وسائل الإعلام : وهى من أهم الوسائل الأكثر تأثيرا في تنشئة الأطفال في الوقت الراهن،فهي درب من دروب الضبط الاجتماعي **الذي يهدف إلى توجيه** أفراد المجتمع من جانب **والتعبير والتنفيس** عنهم من جانب آخر، لذا فالمواد الإعلامية أشبه بمرآة تعكس ما هو قائم في المجتمع وتعمل على دعم إيجابياته ونبذ واستبعاد سلبياته، ولذا يمكن القول بأن الدور الرئيسي للإعلام يتمثل في صيانة اتجاهات وقيم الشرائح الاجتماعية المختلفة بهدف رسم معالم الشخصية القومية بما يتفق والأيديولوجية القائم عليها نظام المجتمع ككل [1].

ولا شك أن وسائل الإعلام تمارس دورا هاما فيما يتعلق بتنشئة الطفل، فهي تنقل إليه الكثير من الأحداث الاجتماعية والتغيرات التي تحدث في المجتمع، والتي تتدرج من وقائع الحياة اليومية العادية، إلى أخبار الاختراعات أو الاكتشافات الجديدة في جميع المجالات، كما أنها تقوم بنقل الثقافة من جيل

إلى جيل باعتبارها أدوات ثقافية تساعد على دعم المواقف، ونشر الأنماط السلوكية بين الأفراد وتحقيق التكامل بينهم، وهذا يعنى أنها أنشطة معرفية واجتماعية ووجدانية لها صلة وثيقة بتعليم الطفل وتنشئته،بالإضافة إلى كونها وسيلة للتعرف على الفنون والآداب، مما يساعد على إكساب شخصية الطفل أبعادا نفسية واجتماعية سليمة **تتفق مع أهداف** المجتمع في التقدم والتطور [2].

مما سبق يتضح أن هناك ترابطا بين **دور وسائل الإعلام** في التنشئة ودور الأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق، وبتكامل تلك الأدوار تتحقق إيجابية التنشئة الاجتماعية للطفل،كما

---

(1) مها الكردي : الطفل في أجهزة الإعلام، دراسة نفسية استطلاعية، المجلة الاجتماعية القومية ، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة،ع٢٠، ١٩٨٣، ص ١٧٥.

(2) السيد على شتا : البناء الثقافي للمجتمع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص ص ٥١ – ٥٢.

يمكننا القول بأن وسائل الإعلام من الممكن أن تكون من أهم عوامل التقدم الإنساني،وأداة لنقل أسمى الأفكار والمشاعر الإنسانية إلى أكبر عدد ممكن من الأفراد.

خامسا : دور العبادة : وتعتبر من أهم المؤسسات لتلقين الطفل بعض القيم والمبادئ الأخلاقية وتنمية الضمير..وغيرها ما المثل التي غالبا ما تكون متنا سقة مع المثل التي يتعلمها الأطفال من خلال مؤسسات التنشئة الأخرى.

ويعتبر **المسجد والكنيسة**..وغيرها من دور العبادة مركز إشعاع في البيئة الاجتماعية والثقافية التي يوجد فيها،ومعهدا للتعليم والإطلاع الثقافي، ومكان لاجتماع القادة من أعضاء الحي الذي يوجد فيه،يتدارسون تحت **إشراف المسجد** أو الكنيسة مشاكل الحي الاجتماعية والثقافية، فضلا عن كونه مكانا للعبادة، فهو مركز اجتماعي يشترك مع غيره من أجهزة التنشئة الاجتماعية في عمليات التنمية الاجتماعية للمجتمع [1].

ويرى البعض أن الدور الذي يمكن أن تلعبه **" دور العبادة "** لا يقل عن دور الأ سرة أو المدرسة،لكونها أصدق مصدر لتلقين النشء القيم المختلفة، لأنها مستمدة من الكتب السماوية التي لاجدال فيها، حيث تمد الفرد بإطار سلوكي معياري، ومن شأن دور العبادة ترجمة التعاليم الـسماوية إلى سلوك عملي، ثم توجيه هذه الـسلوكيات الاجتماعية بما تـضمن سلامة الفرد والمجتمع.

نخلص مما سبق : أن هناك العديد من الهيئات والمؤسسات التي تسهم في عملية التنشئة الاجتماعية، فهي عملية مـستمرة لها تأثيرها المـستمر على سلوك و شخـصيات الأفراد خلال مختلف مراحل حياتهم.

([1]) مهجة عبد المعز عطية : العلاقة بين التنشـئة الاجتماعية والتوافق النفسـي لدى الأطفال، رسـالة ماجستير غير منشورة،كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٩١، ص ٣٢.

الباب الثاني

مناهج البحث الاجتماعي

تمهيد :

يقول الفيلسوف الفرنسي "**هنري بوانكاريه** " منتقدا الموقف المنهجي لعلم الاجتماع :" إنه علم يضم أكبر عدد من المناهج وأقل النتائج "، ولعل هذا يوضح أن علماء الاجتماع أكثر من غيرهم لديهم ميل نحو **الإسهام في مجال المنهج**، فكل منهم يعتقد أن من الواجب عليه أن يقدم تصورا لطريقة تحليل النظم والظواهر الاجتماعية،ولقد أسفر عن ذلك وجود إطارات عديدة **أو مداخل** متعددة لدراسة المجتمع.

ومن هنا تعددت وتنوعت **تصنيفات المناهج** في البحث الاجتماعي، بحيث أصبح لكل مشتغل بمناهج البحث تصنيف يلتزم به،ويبدو ذلك واضحا في تصنيفات " **هويتني، ماركيز، جود وسكيتس، أودم** "، ومن بين المناهج التي وردت في تصنيفاتهم " المسح الاجتماعي، دراسة الحالة، المنهج التاريخي،المنهج الأنثروبولوجي،المنهج الإحصائي"،**ومن الباحثين** من يقبل هذه التصنيفات، ومنهم من يقبل بعضها دون الآخر.

وهذا **الخلط الكبير بين منهج البحث وطرائقه وأدوات جمع البيانات**، قد يرجع إلى عدم التحديد الواضح للمفهومات المستخدمة، حيث يجتهد كل باحث في تحديد المصطلحات وفقا لمنطقه ومنطلقه الخاص به،هذا بجانب عدم التفرقة الدقيقة بين **المنهج والطريقة**.فهناك من يخلط في استخدام **دراسة الحالة والمسح الاجتماعي**، فالبعض يرى أن **دراسة الحالة منهجا، والبعض الآخر يراها طريقة**...وهكذا.

كما أن هناك خلطا كبيرا بين **منهج البحث** method،**والأسلوب** المستخدم فيه **Approach**،وأداة جمع البيانات **Technique**،فمثلا يرى البعض أن " **المسح الاجتماعي** " يعد منهجا من مناهج البحث الاجتماعي، ويرى البعض الآخر أنه نمط من أنماط البحوث الوصفية،في حين يرى بعض الباحثين أنه طريقة من أهم الطرق الكمية التي تستخدم في جمع البيانات.

وعلى الرغم من هذه الآراء المختلفة حول **مناهج البحث** التي يعمل بها المشتغلون في الحقل الاجتماعي، إلا أن هناك **مناهج متفق عليها** بين الجميع، **ولذا سوف نسلط الضوء في هذا الباب على أهم المناهج المتبعة في البحوث الاجتماعية وهى:**

الفصل السابع : منهج المسح الاجتماعي.

الفصل الثامن : المنهج التاريخي.

الفصل التاسع : منهج دراسة الحالة.

الفصل العاشر : المنهج التجريبي.

الفصل إلحادي عشر : المنهج الأنثروبولوجي.

الفصل السابع

منهج المسح الاجتماعي

تمهيد :

يعد " **المسح الاجتماعي** " **Social Survey** أحد أنماط أو أنواع البحوث الاجتماعية التي تستخدم الأسلوب الوصفي عادة، بل أنه أكثر أنماط البحوث الوصفية شيوعا،فلقد أوضحت المقالات العلمية المنشورة في مجلات علم الاجتماع الرئيسية التي تصدر في الولايات المتحدة **الأمريكية وأوربا على أن الغالبية** العظمى من البحوث التي أجريت في السنوات **الأخيرة، هي تلك البحوث** المسحية التي تعتمد على المقابلات المقننة أو الاستبيانات[1].

خلال القرن الثامن عشر **ركزت حركة** المسح الاجتماعي **على دراسة** مشكلات اجتماعية محددة بغية أن تسهم نتائج هذه الدراسة في الوصول على حلول لها،ففي **بريطانيا** قام "**تشارلزبوث C.Booth** "عام **١٨٨٩** بدراسة عن" حياة الطبقة العاملة في لندن " نشرت في سبع مجلدات عام **١٩٠٠**، كذلك تمكن " **راونترى Rawintree** " من نشر دراسة مسح لمدينة يورك عام **١٩٠١** بعنوان "**الفقر دراسة لحياة المدينة** "،وفى عام **١٩١١** قام" **باولى Bowely** " بدراسة مسحية عن "**حياة الطبقة العاملة في مدينة ريدنج**"،ولقد استخدم فيه أسلوب العينات، والذي أصبح بعد ذلك أحد الأساليب الرئيسية في المسح الاجتماعي [2].

ومع بداية **الثلاثينيات من القرن العشرين** شهدت حركة **المسح الاجتماعي** انتعاشا، إذ قامت " **مؤسسة فورد** " بدراسة عام **١٩٢٨** نشرت بعنوان " **Work and wealth in modern port** " واستخدم هذا المسح طريقة **باولى**، كما أجرى مسحا آخر عام **١٩٢٨** بعنوان " **مسح جديد للحياة والعمل في مدينة لندن** "، ولقد خطط هذا

---

[1]() ثيودور كابلو : البحث الاجتماعي " الأسس النظرية والخبرات الميدانية "، ترجمة محمد الجوهري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ٨١.

[2]() عبد الرحمن بدوي : مناهج البحث العلمي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٥١.

البحث لكي يكون بمثابة استكمال لدراسة **تشارلز بوث** القديمة،ولقد نشرت نتائجه في عدة مجلدات **ما بين عامي ١٩٣٠_١٩٣٥** [١].

وفى فرنسا كان " فريدرك لوبلاى F.leplay " من أهم رواد البحث الاجتماعي،ففي عام ١٨٥٥ قام بدراسة "عن العمال الأوربيين"، ثم قدم دراسة أخرى بعنوان " الإصلاح الاجتماعي في فرنسا " عام ١٨٦٤، كما كان " **لأوجست كونت** .A comte "دورا في إثبات الحركة العلمية لعلم الاجتماع من خلال الحقيقة التي مؤداها " **أن علم الاجتماع تتوافر له كافة خصائص العلوم الطبيعية وأهمها اكتشاف القوانين المفسرة للظواهر الاجتماعية**"، ثم جاء " **إميل دور كايم** E.durkhiem " و سار في نفس الخط الذي رسمه كونت من قبله [٢].

ولقد شهدت الولايات المتحدة الأمريكية أكبر حركة بحث عملت بشكل مبا شر على تطوير علم الاجتماع وتشكيل اتجاهاته المعاصرة،فلقد أخرج "مكتب البحث الاجتماعي التطبيقي بجامعة كولومبيا العديد من البحوث الهامة، **والتي** أشرف عليها كل من " روبرت ميرتون R. merton "، " لاراز سفيلد p.Larasfeld "،كما أسهمت " جامعتي كولومبيا وشيكاغو" في حركة **البحث الاجتماعي** [٣].

ولقد تزايد الاهتمام **في السنوات الأخيرة بالاستفادة** من نتائج المسح الاجتماعي في التخطيط القومي،أي وضع الخطط التي تستهدف الارتفاع بمستويات الحياة الاجتماعية،كما أنه يعد من الدرا سات الو صفية التي تتيح للباحث كمية كبيرة من البيانات الاجتماعية والسلوكية،

---

[١] () عبد الحميد لطفي: علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٣٢٩.

[٢] () عدلي على أبو طاحون : مناهج وإجراءات البحث الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٨، ص ص ٣٧ – ٣٨.

[٣] () عبد الله عامر الهمالى : أسلوب البحث الاجتماعي وتطبيقاته، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ١٩٩٤ ، ص ١٢١.

كما أنه يكشف عن العلاقات بين الظواهر والقوانين التي تحكمها.

مما سبق يتضح أن حركة المسح الاجتماعي قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بنشأة البحث الاجتماعي، كما ارتبطت أيضا بحركة الإصلاح الاجتماعي،حيث كان من الضروري التعرف على طريقة يمكن من خلالها معرفة النتائج التي ترتبت على التصنيع والتغير الاجتماعي **الذي أحدثه وتأثير ذلك في مختلف فئات المجتمع**، وبخاصة الطبقات العاملة، ثم ما لبث أن استخدم المسح الاجتماعي كطريقة للبحث في مختلف المجالات **التي تتطلب جمع بيانات ومعلومات عن الاتجاهات** والمواقف والرأي العام...وغيرها.

أولا : ماهية المسح الاجتماعي :

كلمة **"مسح" survey** مستعارة من الدراسات الطبيعية،فكما تمسح الأرض لتحديد مساحتها وخصائصها،تمسح **الظاهرة الاجتماعية** لتحديد **طبيعتها** ومعرفة خصائصها التي تتعلق بتركيبها ووظائفها من جهة، وسلوك الأفراد في تعاملهم مع بعضهم البعض من جهة أخرى.

ويلاحظ أن " **المسح الاجتماعي**" كأحد **المناهج الرئيسية في العلوم الاجتماعية**، قد تعددت تعريفاته، واختلفت حوله الآراء كما يلي :

من أقدم التعريفات التي **تناولت المسح الاجتماعي**،تعريف" **ويلز wells**" حيث يرى أن المسح " هو دراسة تستهدف اكتشاف الحقائق التي تتصل أساسا بحالة الفقر التي تعيشها الطبقة العاملة وبطبيعة **المجتمع والمشكلات التي يعانى منها** "، ويرى" **أرنوفيس C.Arnovici** " بأنه " دراسة شاملة لأكبر قدر من العوامل **الاجتماعية التي تحدد أوضاع هذا المجتمع**،سواء كان **هذا المجتمع المدروس** هو جماعة الجوار أو القرية أو المدينة أو الأمة بأكملها،من أجل التوصل إلى معلومات ملائمة تستخدم في التخطيط والإصلاح الاجتماعي"[1].

---

[1] ()عدلي على أبو طاحون : مرجع سابق، ص ٤٠.

ويرى "**هويتنى Whitney** " بأنه " محاولة منظمة لتقرير وتحليل وتفسير الوضع الراهن لنظام اجتماعي أو جماعة أو بيئة معينة،وهو ينصب على الموقف الحاضر وليس على اللحظة الحاضرة،كما أنه يهدف إلى الوصول إلى بيانات يمكن تصنيفها وتفسيرها وتعميمها، وذلك للاستفادة بها في المستقبل وخاصة في الأغراض العملية " [1].

ويعرفه" **بيرجس** Burgess " بأنه " الدراسة العلمية لظروف المجتمع وحاجاته،بهدف تقديم برنامج إنشائي للإصلاح الاجتماعي"،وترى" **بولين يونج** P.Young " أن المسح الاجتماعي"عبارة عن دراسة للجوانب المرضية للأوضاع الاجتماعية القائمة في منطقة جغرافية محددة،وهذه الأوضاع لها دلالة اجتماعية بحيث يمكن قياسها ومقارنتها بأوضاع أخرى يمكن قبولها كنموذج،**وذلك بهدف** تقديم برامج إنشائية للإصلاح الاجتماعي"[2].

ويرى " **موزر** Moser " بأنه"يتناول دراسة الخصائص الديموغرافية، والبيئة **الاجتماعية والأنشطة أو الآراء أو الاتجاهات السائدة في جماعة معينة"**[3].

ويذهب "مورس Moress " إلى اعتبار المسح الاجتماعي " منهجا لتحليل ودراسة أي موقف أو مشكلة اجتماعية أو جمهور ".

من خلال مما سبق يتضح أن **المسح الاجتماعي " هو طريقة أو أسلوب من أساليب البحث الاجتماعي يتم فيه تطبيق خطوات المنهج العلمي لدراسة ظاهرة أو مشكلة اجتماعية معينة في منطقة جغرافية معينة،بحيث نحصل على كافة المعلومات لمختلف جوانب الظاهرة المدروسة، وبعد تصنيف وتحليل هذه البيانات،يمكن الإفادة منها في**

([1]) زيدان عبد الباقي : قواعد البحث الاجتماعي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٨١.

([2]) عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٩٨٩ ص ٣٢١.

([3]) محمد الجوهري وآخرون : دراسة علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٢، ص ١١١.

الأغراض العملية،ومن هذا المنطلق يمكن **أن نستخلص ما يلي :**

١- اتفقت التعريفات السابقة على أن المسح الاجتماعي هو الدراسة العلمية للظواهر الموجودة في جماعة معينة وفى مكان معين.

٢- أن هذه التعريفات تتميز بالعمومية باستثناء تعريف "هويتنى " الذي يتميز بالدقة إلى حد ما، بالرغم من التطويل الواضح في تحديد إطاره، كما أن تعريف " موريس "يعتبر من أدق التعريفات حيث وصف المسح الاجتماعي بأنه منهاج لتحليل ودراسة أي موقف أو مشكلة اجتماعية أو جمهور.

٣- أوضحت التعريفات السابقة أن الوظيفة الأساسية للبحث إنما هي توفير المعلومات حول مجتمع أو جماعة أو مواقف، وهذا النوع من المسوح يطلق عليها المسوح الوصفية،أما إذا تعدى هدف المسوح الوصفية تصوير المشكلة تصويرا كميا إلى كشف العوامل المؤدية إلى حدوث الظاهرة،في هذه الحالة يعرف **هذا النوع** من المسوح بالمسوح التفسيرية.

٤- أبرزت التعريفات السابقة أن المسح الاجتماعي ينصب على الوقت الحاضر،حيث أنه يتناول أشياء موجودة بالفعل وقت إجراء الدراسة وليست ماضية، كما أنه يتعلق بالجانب العملي،إذ يحاول الكشف عن الأوضاع القائمة لمحاولة النهوض بها ووضع خطة أو برنامج للإصلاح الاجتماعي.

ثانيا : أهمية المسح الاجتماعي :

لاشك في أن المسح الاجتماعي يستخدم في البحوث والدراسات الكمية ذات المدى أو المجال الواسع من الناحية البشرية أو الجغرافية، لذا يمكن القول بأن المسح الاجتماعي تتحدد أهميته في الأتي [1] :

١- تعتبر المسوح الاجتماعية ذات فائدة نظرية، فالباحث يلجأ إليها بعد أن تكون قد أجريت بحوث كشفية على الظاهرة موضوع الدراسة، فيحاول جمع الحقائق عنها وتحليلها

---

[1]() عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ص ٢٢١ – ٢٢٢.

وتفسيرها للوصول إلى تعميمات بشأنها.

٢- يستفاد بالمسح في عمليات التخطيط القومي التي تستهدف تنمية الحياة **الاجتماعية والاقتصادية وتوفير الرعاية والرخاء لأفراد** المجتمع **في فترة زمنية محددة.**

٣- يستفاد بالمسح دائما في دراسة المشكلات الاجتماعية القائمة وتحديد مدى **تأثيرها على المجتمع و تحد يد ومعر فة الأفراد والجـ ما عات المهتـ مة بحل هذه المشـــكلات،** وتقدير الموارد والإمكانيات الموجودة والتي يمكن استخدامها لعلاج المشكلات ثم اقتراح الحلول لها.

٤- يستفاد بالمسح الاجتماعي في **قياس اتجاهات** الرأي العام **نحو مختلف** الموضوعات لتقويم الجهود المبذولة.

٥- **المسح الاجتماعي تعريف وقياس، أي تعريف لمجتمع معين، كما أنه قياس لمستوى هذا المجتمع،وهو بهذا يشبه غاطس السفينة الذي تعبر درجاته عن مقياس الحمولة في هذه السفينة فحسب.**

٦- المسح الاجتماعي مشروع تعاوني ينفذ على أساس علمي من أجل تحديد إطار مشروع إصـــلاح أو إنعاش **أو إنماء اجتماعي،بمعنى أنه نوع من الدراســـة العلمية** لحاجات وظروف المجتمع.

ثالثا : أنواع المسوح الاجتماعية :

أن **المســـح الاجتماعي** عبارة عن عملية جمع الحقائق عن جماعة من الناس في بيئة معينة، **من حيث ظروفهم المعيشـــية ومختلف أنشـــطتهم الاجتماعية وتكوينهم** الاجتماعي وذلك بأســـلوب موضـــوعي،وعلى هذا فإن المســـح الاجتماعي قد يتناول جانبا معينا من الجوانب الاجتماعية الخاصة أو العامة مثل"الجانب الاجتماعي أو الصحي أو الصناعي أو الزراعي"وقد يتناول عدة جوانب من موقف اجتماعي معين مثل دراســـة الحياة الاجتماعية في مجتمع المصنع أو في المجتمع الريفي.

ولذلك تنقسم المسوح الاجتماعية إلى **عدة أنواع** على النحو التالي :

أولا : من حيث من **مجال الدراسة** : وتشمل [1] :

١- **المسوح العامة** : وعن طريقها يتم معالجة بعض أوجه الحياة الاجتماعية كالتعليم والصحة والإسكان والسكان،وهذه النوعية من المسوح لها قيمة كبرى، إذا كان المجتمع لا يعتنى بالمسائل العامة،**وهنا تكون وظيفة المسوح العامة** إيقاظ الشعور بالمسئولية وتنمية روح المبادأة لدى أفراد المجتمع.

٢- **المسوح الخاصة** :وهى تختص بدراسة جانب واحد فقط أو زاوية محددة من قطاع اجتماعي محدد،كالمسوح الخاصة بعمال الزراعة أو عمال الصناعة..وهكذا.

ثانيا : من ناحية المجال البشرى : وتصنف إلى قسمين [2] :

١- **المسوح الشاملة** :وهى التي تقوم بدراسة شاملة لجميع مفردات المجتمع، أي عن طريق الحصر الشامل وليس من شك في أن مثل هذه المسوح كثيرة التكاليف وقت طويل لإجرائها.

٢- **المسح بطريقة العينة** :وهو **الذي يكتفي** بدراسة عدد **محدود من الحالات** أو المفردات في حدود الوقت والإمكانيات المتوفرة **لدى الباحث، وهذا النوع** يغلب استخدامه بين الباحثين نظرا لمزاياه العديدة.

ثالثا : **من الناحية الزمنية** : وتنقسم إلى ثلاثة أنواع [3] :

١- **مسوح قبلية** : أي قبل إدخال عنصر التغيير في المجتمع.

٢- **مسوح دورية** : تتم أثناء فترة تنفيذ وتشغيل المشروعات.

٣- **مسوح بعدية** :أي يتم إجراؤها بعد إدخال التغيير أو التعديل أو المشروع إلى

---

[1] () عدلي على أبو طاحون : مرجع سابق، ص ٤٦.

[2] () غريب محمد سيد أحمد : تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٦، ص ص ٢١٠ – ٢١٤.

[3] () أحمد رأفت عبد الجواد : مرجع سابق، ص ص ٣٨ – ٣٩.

المجتمع ،ويهدف إلى التعرف على **مدى نجاح أو فشل تلك المشروعات**،**وذلك** عن طريق **مقارنة** نتيجة **المسح القبلي** بنتيجة **المسح البعدي** في ذات المجتمع.

رابعا : موضوعات المسح الاجتماعي :

لم تعد **المسوح الاجتماعية** تدور حول **دراسة أحوال الطبقات الفقيرة** كما كان الحال في الماضي،وإنما تعددت وتشعبت بحيث شملت معظم **الظواهر والمشكلات الاجتماعية**،ويمكن أن **نجمل موضوعات المسح في الأتي**[1] :

١- المسوح التي تتناول مشكلات اجتماعية معينة **فرضت نفسها نتيجة للتغيرات** الاجتماعية والاقتصادية **والتصنيع بصفة خاصة**،**مثل بحوث الفقر والجريمة وأوضاع** الأسرة **ومشكلة** العمل والعمال.

٢- المسوح الديموجرافية،وتتناول دراسات **السكان بمختلف مجالاتها**،**ولعل أهمها** الهجرة والخصوبة وتنظيم الأسرة والخصائص المختلفة للسكان،**وبعض هذه المسوح** يهتم اهتماما بالغا بالتنقل الاجتماعي للسكان.

٣- مسوح المجتمعات المحلية وتركز على خصائص المجتمعات المحلية المختلفة، سواء كانت هذه المجتمعات ريفية أو حضرية أو وحدات اجتماعية **أقل حجما** كدراسة حي من مدينة وذلك بهدف تقديم صورة جديدة وشاملة عن خصائص البناء الاجتماعي والاقتصادي والمهني والعمراني لهذه المجتمعات.

٤- بحوث الإسكان والتخطيط الإقليمي،وتسعى هذه البحوث إلى دراسة طبيعة المسكن في ظروف الإقامة في منطقة معينة بهدف إعادة تخطيط هذه المنطقة من الناحية العمرانية،وتفيد هذه المسوح إفادة كبرى في عمليات تخطيط المدن ودعم الوظيفة الاجتماعية للمسكن.

---

[1]() عدلي على أبو طاحون : مرجع سابق، ص ص ٤٤ – ٤٥.

٥- مسوح الرأي العام والاتجاهات السياسية، ويمثل ذلك **مجالا هاما من مجالات** استخدام المسح الاجتماعي، إذ يستهدف المسح في هذه الحالة استطلاع الرأي حول قضية أو موضوع هام في المجتمع، وقد اتجهت هذه المسوح اتجاهين :

الأول : اتجاه ذو طابع اقتصادي، وتمثل في مسوح السوق.

الثاني : اتجاه ذو طابع سياسي، كالمسوح الخاصة بالسلوك **الانتخابي والتصويت**. ٦- مسوح النظم الاجتماعية، وهى مسوح تركز على **نظم اجتماعية بالذات** مثل مسوح دراسات الأسرة والتعليم والصحة والترويح ووقت الفراغ.

٧-مسوح العلاقات الصناعية والروح المعنوية، **حيث تستخدم طرق المسح الاجتماعي** استخداما واسعا في دراسة العلاقات الإنسانية في الصناعة **وبخاصة دراسات الروح** المعنوية للعمال الصناعيين وعلاقتها بالإنتاجية واتجاهات العمال نحو العمل والإدارة.

هذا ويستعين **القائم بالمسح الاجتماعي** بمعظم الأدوات المستخدمة في البحوث الاجتماعية، ويتوقف اختياره للأداة اللازمة على **موضوع الدراسة وخطة** المسح ومداه ونوع المعلومات المطلوبة، ومن أكثر الأدوات شيوعا في **المسح الاجتماعي** "الملاحظة والمقابلة والاستبيان وتحليل المضمون ".

خامسا : واجبات الماسح الاجتماعي :

هناك مجموعة **من القواعد التي يجب أن** يلتزم بها الماسح الاجتماعي منها[1]:

١- على الماسح الاجتماعي أن يستخدم الملاحظة **الموضوعية وأن يسجل المعلومات** التي يجمعها ويصنفها **دون ما** تحيز، وألا يحاول وضع الفروض **أو التصورات فيما** يتعلق بالظواهر الاجتماعية موضوع الدراسة، بمعنى أن **عليه أن ينظم** دراسته تنظيما منهجيا وأن يقف موقفا **محايدا**

---

(1) Stephen Son,H., :Hand book of public relation,N.Y,Mac GRAW-1960,P.29.

من كل ما حوله من أحداث وظواهر.

٢- ليس من واجب الما سح الاجتماعي **وضع النظريات أو ا ستنباط القوانين لتفسير** الظواهر مو ضوع الدراسة، بل إن واجبه فقط هو الاقتصار على التشخيص، على اعتبار أن الماسح الاجتماعي كطبيب يفحص المريض ويشخص المرض ويحدد العلاج فحسب، بمعنى أن الما سح الاجتماعي يشخص المشكلة موضوع الدراسة بعد الفحص الدقيق والقياس العميق، ثم يتولى وضع خطة للإصلاح الاجتماعي تكون قابلة للتنفيذ في ضوء النتائج التي انتهت إليها الدراسة.

٣- تستلزم طبيعة المسح الاجتماعي أن يكون الماسح الاجتماعي ممن يحرصون على الدقة في مجال البحث ومكوناته، بعيدا عن **الشمول والتجريد والعمومية التي** ليست من أهداف الماسح الاجتماعي، على اعتبار أنه يتعامل **مع أشخاص** معينين ومواقف معينة تبعده عن كل هذه الأمور.

٤- إذا كان من المتفق عليه أن هدف الماسح الاجتماعي هو رسم خطة بناءة للإصلاح والإنعاش الاجتماعيين، فإن من واجبه أن **يكون واسع الأفق دائم** الإطلاع سريع البديهة.

سادسا : خطوات المسح الاجتماعي :

يمر المسح الاجتماعي في **عدة مراحل** يمكن حصرها فيما يلي :

أولا : مرحلة رسم الخطة : يجب أن يضع الباحث في اعتباره أن وضع خطة المسح الاجتماعي تقتضي تحديد مو ضوعات **الدرا سة ومصادر** البيانات، وما يمكن أن يغطيه المسح من حالات على أساس جغرافي أو ديموجرافي، ثم يقتضي المسح جمع البيانات عن طريق تحديد الاستبيانات الخاصة مع تحديد نسبة الخطأ المتوقع ،ويجرى بعدها العمل الميداني، ثم يسير البحث في مرحلة تصنيف البيانات **وتفريغها وتحليلها**، لذا يمكن **تحديد جوانب هذه** المرحلة في الأتي[1]:

١- تحديد الغرض من المسح، فيجب على الباحث أن يحدد **أهداف المسح بوضوح**، وكذا

---

[1]() زيدان عبد الباقي : مرجع سابق، ص ص ٢٢٨ – ٢٢٩.

المفاهيم المستخدمة في الدراسة ،وما هي نوعية البيانات اللازمة لبحثه، كما ينبغي عليه أن يحدد مبررات قيامه بهذه الدراسة، كما يحدد نوع الأسئلة التي يجيب عليها البحث ،**وماهى النتائج المتوقع** الحصول عليها، كما يحدد **طرق جمع المعلومات**، وإعداد تصور **مبدئي لتكلفة البحث والوقت اللازم لإتمام الدراسة**.

٢- تحديد نطاق البحث، فمن الضروري أن يحدد الباحث الجمهور **الذي سوف** يجرى عليه المسح ،بمعنى **تحديد عينة البحث** وكيفية اختيارها ونوعها ووحدة البحث وإطار العينة وحجمها.

٣- تحديد الأدوات اللازمة لجمع البيانات،ويتم **ذلك وفقا** لموضوع الدراسة ونوع العينة **وحجمها** وخصائص الجمهور المستهدف ،**ومن أهم هذه الأدوات " الملاحظة، المقابلة، الاستبيان"**.

٤- تصميم استمارة البحث من أجل الحصول على المعلومات، **فيجب على** الباحث مراعاة مضمون الأسئلة وعددها وترتيبها ودلالتها ،ثم طباعة **الاستمارة** ووضع التعليمات وتوزيعها على الباحثين وتدريبهم عليها.

٥- خلال هذه المرحلة يقوم الباحث بمسح استكشافي يضع فيه تصورا مبدئيا للمسح الأساسي الذي سيتم تنفيذه على نطاق واسع ،وتعتبر هذه الخطوة مرحلة اختبار مبدئية للظروف التي سيتم خلالها إجراء الدراسة، وتحديد مدى ملائمة إطار العينة ،ونسبة عدم الاستجابة **من جانب جمهور البحث**،ومدى كفاءة أدوات البحث ،وملائمة الأسئلة لموضوع البحث.

ثانيا : مرحلة جمع البيانات من الميدان : وتتضمن ما يلي [١]:

١- بعد طبع الاستمارة وتوزيعها على الباحثين وتدريبهم عليها وتزويدهم بالمعلومات الكافية حول موضوع الدراسة وأهدافه وتعريفهم بمجتمع البحث يقوم الباحث بعمل

---

[١]() أحمد رأفت عبد الجواد : مرجع سابق، ص ٣٩.

الاتصالات اللازمة بجمهور البحث وإعداد المجتمع لإجراء المسح.

٢- **الإشـراف على الباحثين الميدانيين**، إما عن طريق الباحث نفسـه أو بتعيين مشـرف لكل منطقة، وعقد اجتماعات يومية مع الباحثين ليناقش ما يعترضـهم من صـعاب تقابلهم في الميدان وكيفية التغلب عليها.

٣- مراجعة البيانات التي تجمع **يوما بعد يوم**،فعملية مراجعة الاسـتمارات في الميدان تلعب دورا في مدى مصـداقية البحث، لذا **يجب على الباحث** مراجعة هذه الاسـتمارات التي جمعت في الميدان لتلافى **الأخطاء الميدانية**.

ثالثا : مرحلة تحليل البيانات : ويتم ذلك في خطوات هي [1]:

١- مراجعة البيانات التي جمعت للتأكد من أنها صحيحة وكاملة ومسجلة بطريقة منظمة تساعد على سهولة تبويبها.

٢- تصـنيف البيانات بتقسـيمها على **مجموعات متجانسـة** خاصـة في الأسـئلة ذات النهايات المفتوحة حتى يمكن جدولتها.

٣- ترميز البيانات في كل صحيفة، أي تحويل البيانات الوصفية إلى بيانات رقمية،واختيار الرموز يأخذ في اعتباره **ما إذا كانت الجدولة ستتم باليد أو آليا**.

٤- مراجعة الترميز.

٥- الإشراف على عملية التصنيف الآلي.

٦- جدولة البيانات الكمية وحساب النسب المئوية.

٧- التحليل الإحصائي للجداول.

---

[1]() عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ٢٣٧.

رابعا : مرحلة عرض النتائج وكتابة التقرير : لا تكتمل مهمة الباحث إلا بعد كتابة التقرير النهائي الذي يشمل كل الخطوات التي قام بها الباحث منذ شروعه في إجراء دراسته بصورة منظمة وبطريقة علمية، ويجب أن يشمل التقرير عدة نقاط هي [1]:

١- عرض المشكلة موضوع البحث عرضا وافيا.

٢- إجراءات البحث من حيث تصميمه ومراحله المختلفة ومصادر الحصول على البيانات وطرق تحليلها.

٣- عرض النتائج بحيادية تامة، بصرف النظر عما إذا كانت حققت نتائجها أم لا.

٤- مناقشة تطبيق النتائج.

مما سبق ومن خلال عرضنا **لخطوات المسح الاجتماعي** يجب أن نشير إلى أن هذه الخطوات يمكن اعتبارها خطوات البحث الاجتماعي بصفة عامة، وهذا يؤكد أن **منهج المسح الاجتماعي** من المناهج الرئيسية التي يستخدمها الباحث الاجتماعي لما له من فوائد كثيرة، ومع ذلك يرى البعض أن الاعتماد عليه كلية قد يصعب لعدة أمور منها :

١- أن جمع بيانات المسوح **يحتاج إلى توجيه عدد كبير من الأسئلة**، مما قد يؤدى إلى تبرم الناس منها وعدم تعاونهم مع الباحثين.

٢- أن المسوح الاجتماعية **لا تصلح لأنواع الدراسات** التطورية التي يستلزم بحثها الربط بين ماضي الظواهر وحاضرها.

٣- أن صحة نتائج المسح وأهميتها تتوقف على عدد أفراد العينة، فكلما كان العدد كبيرا، كلما كانت النتائج أدق والعكس صحيح.

٤- أن الاعتماد على المسوح الاجتماعية، لا تمكن الباحث من إصدار تعميمات واسعة تفيد النظريات العلمية.

---

(١) عدلي على أبو طاحون : مرجع سابق، ص ٥٣.

الفصل الثامن

المنهج التاريخي

تمهيد :

ينطلق **" المنهج التاريخي "** Historical Method من مجموعة مسلمات، ويحتاج إلى عدد من المتطلبات، ويعتمد **على مجموعة طرق وأدوات خاصة** ومناسبة لمجموعة الأهداف التي يساعد على تحقيقها، فالتاريخ سلسلة متصلة الحلقات، تتلاحق فيها النتائج بالمقدمات، ويرتبط فيها الماضي **بالحاضر** بالمستقبل، والظواهر الاجتماعية كالظواهر التاريخية زمانية في أغلب الأحوال، إلا أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بوقائع المجتمع الماضية وتأثرت بها في نشأتها ونموها، كما تدين إليها بوجودها الحالي، ولذا فلابد للباحث **الاجتماعي من الرجوع إلى الماضي لتعقب الظاهرة منذ نشأتها والوقوف على تغيرها وانتقالها من حال إلى حال** [1].

ومن الأهمية بمكان **أن نفرق بين" علم التاريخ وبين المنهج التاريخي "**، **فالأول** يدرس الأحداث التاريخية **التي تمت** فعلا في الماضي بطريقة عقلية صرفة، ولهذا يطلب دائما من المؤرخين ألا يدرسوا الوقائع المعاصرة، وإنما عليهم أن ينتظروا لفترة قدرها المختصون **بنصف قرن من الزمان**، أما في **المنهج التاريخي فإننا نبحث** تطور الظواهر لكي نفهم كيف تشكلت الظواهر الحاضرة في الماضي، **وكيف تطورت** حتى وصلت **إلى وضعها الحالي بمعنى تتبع نشأتها من** حيث البناء والوظيفة [2]، وذلك بقصد الوصول إلى مبادئ وتعميمات تتعلق بالظواهر موضوع البحث.

أولا : تطور الاهتمام بالمنهج التاريخي:

تنبه عدد كبير من **المفكرين الاجتماعيين إلى أهمية المنهج التاريخي**، فطالبوا باستخدامه في البحوث الاجتماعية، فنجد أن "**ابن خلدون**" هو أول من وضع أسسا واضحا لهذا المنهاج

---

[1] محمد على محمد : البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،١٩٩٩، ص ١١٥.

[2] عدلي على أبو طاحون : مرجع سابق، ص ص ٨٢ –٨٣.

عندما طالب **بتعقب الظاهرة الوا حدة في تاريخ الشعب** الواحد في مختلف الفترات التاريخية، مع **تحرى صدق الروايات التاريخية وقياس** الأخبار على أصول العادة وطبائع العمران، ومحاولة استخلاص القوانين العلمية Social lows التي تخضع لها تلك الظواهر[1].

وجاء بعد **ابن خلدون** العلامة الإيطالي **" فيكو "** الذي قدم نظرية التطور ذي المراحل الثلاث، وإسهامه المتميز بوضعه لأركان المنهج التاريخي، ثم جاء الفيلسوف الفرنسي **" سان سيمون "** الذي يرجع إليه الفضل في الربط بين المنهج **التاريخي والمنهج العلمي، وجاء "أوجست كونت "ووضع المنهج التاريخي** ضمن قواعد المنهج وقد أسماه " بالمنهج السامي " ويقصد به " **ذلك المنهج الذي يكشف عن القوانين الأساسية وطالب بالاعتماد على الملاحظة والتجربة والمنهج المقارن والمنهج التاريخي في دراسة الظواهر في حالتها الديناميكية** "[2].

كما ظهر استخدام **المنهج التاريخي** لدى علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا واضحا في **دراساتهم لظاهرة الثقافة، كما يؤكد تاريخ الفكر الاجتماعي كيف استعان** علماء الاجتماع بالمنهج التاريخي، **وكيف أن التاريخ يعد مصدرا لكثير من النظريات** السوسيولوجية، الأمر الذي دفع باحثا مثل الفريد فيبر إلى القول بأنه يتعين على عالم الاجتماع أن يعكف على دراسة التاريخ لكي يستطيع أن يحصل على مادة **بحثه، وإن كانت ظهرت فترة عارض فيها بعض علماء الاجتماع والأنثربولوجيا منهج التأويل التاريخي، وقد ظهر هذا الاتجاه على يد عالم الأنثربولوجيا "مالينوفسكى"**[3].

---

[1]() عبد الحميد محمود سعد : إجراءات البحث الاجتماعي،مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٧٢.

[2]() محمد طلعت عيسى : البحث الاجتماعي " مبادئه ومناهجه "، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، ١٩٦٣، ص ٢٠٢.

[3]) عدلي على أبو طاحون : مرجع سابق، ص ٩٠ .

وفيما يلي تحليلا **لآرائهم التي اختلفوا أو اتفقوا عليها** كما يلي :

أولا : رفضهم لاعتبار التاريخ مجرد سرد للانتصارات أو الهزائم التي تحققها أو تمنى بها الجيوش المتحاربة،فقد أوضح"**ابن خلدون** " أن المقصود بالتاريخ من وجهة نظر علم الاجتماع هو تاريخ الحركات الاجتماعية من حيث أسبابها ونتائجها،وعند " **فيكو** " هو الظواهر المتعلقة بتطور النظم بكافة أنواعها، سواء أكانت تقاليدا أو أعرافا أو عادات اجتماعية أو قوانين وضعية أو تنظيمات طبقية أو مستويات عقلية،وعند **"سان سيمون"** هو تاريخ الصفات الأساسية للمعرفة ولروح التفكير في كل قرن مع التعرف على البواعث الحقيقية للثورات وما يترتب عليها من نتائج في المجالات الاجتماعية،وعند " **كونت** "هو تاريخ العلوم والفنون والآداب [1].

ثانيا :اختلافهم حول مسيرة التاريخ كما يلي [2]:

يرى" **ابن خلدون** " أن التاريخ يسير في دورة متصلة ويتكرر بنفس الصورة من البداوة إلى الحضارة إلى الملك إلى الهرم،ثم **يعود مرة أخرى إلى البداوة**، **بمعنى** أن التاريخ يعيد نفسه.

على حين أن " **فيكو** " يرى أن التاريخ يسير في شكل دورة غير متصلة تتشابه من حيث المسميات التي تتمثل في العهد الديني،ثم **عهد البطولة**،وأخيرا عهد الإنسانية،بمعنى أن العهد الأحدث أرقى اجتماعيا من الأقدم،أي أن عهد البطولة في الدائرة الداخلية، ومن هنا فإن التاريخ **لا يعيد نفسه** كما هو الحال عند ابن خلدون، فعهود الدورة وإن تشابهت – من حيث الاسم – فإنها ليست بالشكل نفسه، وإنما هناك تغير وتقدم وارتقاء.

أما **"سان سيمون "** فإنه يرى التاريخ وحدة واحدة متصلة في خط مستقيم، بمعنى أن كل ما وقع في الماضي وكل ما سيقع في المستقبل عبارة عن سلسلة واحدة تعبر **أولى حلقاتها عن بداية الماضي**،وترمز **أخر حلقاتها** إلى المستقبل، ومعنى ذلك أن على الباحث الاجتماعي أن

---

[1]() زيدان عبد الباقي : مرجع سابق، ص ٣١٣.

[2]() عبد العزيز عزت : فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع الحضري،القاهرة، ص ص ٧٠ – ٧١.

يهتدي في طريقة بحثه بخيط التاريخ الممتد من الماضي إلى الحاضر ثم إلى المستقبل حتى لا يضل طريقه العلمي.

أما مسيرة التاريخ لدى " **أوجست كونت** " فهي تعتمد على قانونه ذي الأدوار الثلاثة،والذي يقول بأن الإنسانية مرت في تاريخها الفكري بثلاثة أدوار هي "الدور الديني أو الخيالي،الدور الميتافيزيقى أو المجرد،وأخيرا الدور العلمي أو الوضعي ".

مما سبق يتضح أن :" ابن خلدون "كان متشائما من مسيرة التاريخ، وكان " فيكو " أقل تشاؤما،على حين كان" سان سيمون " و"كونت " متفائلين بشكل ميتافيزيقى.

ثالثا : اتفاقهم على ضرورة المقارنة بين الظواهر الاجتماعية موضوع الدراسة من خلال مختلف المراحل الزمنية **كما يلي** [1]:

عبر **"ابن خلدون "** تحت عنوان " عوامل التباين في المجتمعات " عن أهمية تلك القاعدة المنهجية في علم الاجتماع بقوله : " إذا لم يقس الغائب من الأخبار بالشاهد منها،والحاضر بالذاهب،فربما لا يؤمن من العثور من مذلة القدم والحيد عن جادة الصدق ".

أما " **فيكو** " فقد طالب بدراسة أوجه الشبه أو التباين بين مختلف عهود التاريخ،فهو يرى أن العهود تتحرك وتتكرر بنظام معين، فبعد العهد الديني الذي تسود فيه الروح الدينية يأتى عهد البطولة الذي تسوده القوة الغاشمة،ثم يأتى العهد الإنساني الذي يسوده العقل بدلا من المخيلة،والنثر بدلا من الشعر والصناعة بدلا من الزراعة،والسلام بدلا من الحرب.

أما " **كونت** " فتقوم المقارنة لديه **على أساس التفسير المادي للتاريخ للتعرف** على البواعث الحقيقية للثورات وما يترتب عليها من نتائج،كما استخدم منطق المقارنة كقاعدة أساسية من قواعد المنهاج التاريخي.

---

[1]() مصطفى الخشاب : مرجع سابق، ص ص ٢١٨ – ٢١٩.

رابعا: اتفاقهم من حيث تفسير النتائج التاريخية على أساس علمي كالأتي[1]:

يرى " **ابن خلدون** " ضرورة تفسير الظواهر وتحليلها با ستخدام منطق التعليل،وقال " **فيكو** " بالاســـتدلال بما هو معروف عما هو مجهول،مع البعد عن الا تجاه الديني في التفكير، بالإضافة إلى عدم إغفال أهمية الدين والأساطير والطقوس والعبادات.

أما "**سـان سـيمون** "فيرى أن كافة الظواهر الاجتماعية لكل منها موضـعا على خيط التاريخ الممتد من الماضـــي إلى المســـتقبل،وكل موضـــع محدد تحديدا دقيقا في الســـلســـلة التاريخية،ومن ثم فإن الملاحظة التأملية للماضـي تيسـر لنا الوصـول إلى المعرفة الحقيقية،على حين أن " **أوجست كونت** " قد ذهب بعيدا في تفسير حقائق التاريخ على أساس قانونه ذي الأدوار الثلاثة ظانا أن ذلك يتفق مع العلم وما هو من العلم في شيء.

خامسا : اتفاقهم على مصادر البيانات التاريخية فجميعهم يستمد مادته الخام من [2]:

١- الوثائق والمستندات والسجلات الرسمية المحفوظة.

٢- العلوم والفنون والآداب.

٣- اللغات والمؤلفات الأدبية الواقعية والخيالية.

٤- الأديان والأساطير.

٥- التنظيمات السياسية ومختلف التشكيلات الشعبية.

٦- تطور الأشكال الاجتماعية.

سادسا : اتفاقهم على ضرورة التثبت من صدق وثبات البيانات التاريخية كما يلي [3]:

يرى "**ابن خلدون**" بضرورة تجرد الباحث من الهوى والتشيع وعوامل الانحراف عن الحق،وأن يعنى بتمحيص كل خبر تحوطه ريبة من هوى أو تشيع لرأى أو تزييف لعظيم.

ويرى "**فيكو**"ضـرورة التمحيص اللغوي الذي يسـتند إلى دراسـة علم اللغات للتأكد من

---

[1]() زيدان عبد الباقي : مرجع سابق، ص ص ٣١٤ – ٣١٥.

[2]() نفس الرجع السابق : ص ٢١٦.

[3]() على عبد الواحد وافى : مرجع سابق ، ص ١٣٠.

صحة روايات المؤرخين، وكذلك الرجوع إلى الأساطير القديمة وملاحم الشعراء وما إلى ذلك.

أما **"سان سيمون"** فمن وجهة نظره يستحيل الوقوف على التاريخ الحقيقي بدون ملاحظة تطور الحضارة ملاحظة منهجية، أي ملاحظة تأملية للماضي لاستقراء ظواهره،وملاحظة التقدم الفني الذي يقصد به الاكتشافات الهامة التي لم تكن وليد الصدفة،وإنما هي نتيجة جهود مضنية في التفكير والتحليل.

ويرى **" كونت "** ضرورة استناد الباحث الاجتماعي إلى الملاحظة العلمية والمقارنة الموضوعية.

سابعا :اتفاقهم على أن الصراع من أهم العمليات الاجتماعية **التي تؤدى إلى تطور** الحياة الاجتماعية، فيرى **" ابن خلدون" أن الصراع بين زعماء** المجتمع الذي يقوم على العصبية يؤدى بنظام الحكم في المجتمع إلى الانتقال من النظام الرئاسي القائم على الشورى إلى النظام الملكي الذي يقوم على الانفراد بالسلطة.

ويرى**"فيكو "** أن الصراع في العهد الديني **يجعل بعض رجال** الدين يتحولون إلى إقطاعيين يعتمد حكمهم على القوة الغاشمة،وأن صراع الإقطاعيين يؤدى إلى انهيار حكمهم وقيام حكم يقوم على أسس إنسانية.

ويرى **"سان سيمون "** أن الصراع بين النظم الاجتماعية مثل الصراع بين الطبقة العسكرية وطبقة الصناع،وقد أدى هذا إلى ظهور **طبقة المشرعين**، والصراع بين رجال الدين قد أدى إلى انبثاق المذهب البروتستانتي في القرن السادس عشر،ومن هنا يعتقد أن الثورات ذات فعالية كبيرة في تطور الحضارات،على اعتبار **أنها لا تفتعل بل هي نتيجة حتمية لاستمرار** حالة **الظلم الاجتماعي**،أما" **كونت** " فقد يرفض منطق الثورات ويفضل عليه الصراع الفكري[1].

مما سبق يتضح : أن هذه هي أهم الإ سهامات التي مهدت لمولد المنهاج التاريخي في علم الاجتماع،وهى إسهامات لها أهمية قصوى **على الرغم من قيامها** على أسس فلسفية في

([1]) P.Young : Scientific social surveys and research , N.Y ,1947 , p. 190.

بعض جوانبها، حيث كان كل منهم ينظر إلى الإنسانية ككل وهى نظرة ميتا فيزيقية تختلف عن النظرة النسبية لعلم الاجتماع.

تأكد من خلال آراء الكثير من علماء الاجتماع أهمية المنهج التاريخي فهم يعتبرونه بديلا للمنهج التجريبي، فإذا كان من الصعب دراسة الظواهر الاجتماعية عن طريق إجراء التجارب، فإنه في الإمكان النظر إلى التاريخ على أنه مجموعة من التجارب الطبيعية، وإن كانت تجارب ينقصها عنصر الضبط والتحكم ولا يمكن إعادتها ثانية، كما أن الظواهر الاجتماعية هي محصلة لمجموعة متعددة من العوامل التي تفاعلت مع مرور الزمن لتعطيها صورتها التي تظهر بها في وضعها الراهن، فالتاريخ هو ميدان ملاحظة الظواهر، وهو فوق ذلك حقل التجارب الذي تتخذ فيه ظواهر المجتمع أوضاعها المختلفة، وهو بالنسبة لعالم الاجتماع أشبه بالمجهر بالنسبة لعالم الطبيعة.

ثانيا : أهمية المنهج التاريخي :

لاشك في أن **للمنهج التاريخي** أهمية كبيرة بالنسبة للباحثين الاجتماعيين باعتباره من المناهج الحيوية في البحث الاجتماعي، ويمكن أن تتحدد أهميته في الاعتبارات الآتية [1]:

١- أن التاريخ من عناصر التجديد والقوة في البناء الاجتماعي على اعتبار أن الجانب الأكبر من الحياة الاجتماعية متغير ومتطور وعن طريق دراستنا للماضي ويمكن أن يسير الحاضر سيرا سويا.

٢- تساعد دراسة التاريخ على الاستقراء العلمي وصياغة القوانين الاجتماعية.

٣- تساعد دراسة التاريخ الباحث الاجتماعي في الوقوف على العوامل المؤثرة في المشكلات الاجتماعية الراهنة، وإيجاد أساس صحيح للتخطيط الاجتماعي.

٤- أن استخدام التاريخ عند علماء الاجتماع يعطى أساسا واقعيا للتعريفات والافتراضات والأسس المستخدمة في قياس العوامل المختلفة عند صياغة النظرية الاجتماعية.

٥- يمكن بالمنهج التاريخي الكشف عن أصول الأشكال الاجتماعية المعاصرة، إذ لا يمكن أن

([1]) Pauline Young : op.cit., p. 262.

نقيم تعميما متصلا بشكل من الأشكال، ما لم نقم عليه الدليل التاريخي الذي يدعمه.

٦- **أن الأشكال الاجتماعية المعاصرة تعد نتائج تاريخية لا يتسنى فهمها أو مقارنتها بغيرها**، إلا بالرجوع إلى أبعادها التاريخية، **لذلك فالتاريخ يوسع من مجال استخدام** المنهج المقارن.

٧- أن الرغبة البارزة لدى علماء الاجتماع في التوصل إلى ما **يسمى بالعوامل ذات** الخلفية البعيدة، تحتم الرجوع إلى التاريخ.

٨- يرى بعض علماء الاجتماع أن فهم أي مجتمع لا يتحقق إلا إذا وضعناه في **إطار فترة زمنية محددة**، فالسياق **الزمني أو التاريخي هو قالب الأشكال الاجتماعية.**

مما سبق يتضح : لنا مدى حاجة علماء الاجتماع إلى الاستعانة **بالمنهج التاريخي** رغم الصعاب والعقبات التي يواجهونها عند استخدامه، مثل عدم استطاعة المؤرخين تسجيل **كل جوانب الحياة**، وأن **التفسيرات والتحيزات الشخصية** تتدخل في أوقات كثيرة، ومن هنا فإن البيانات التاريخية تعتبر مناسبة للبحث الاجتماعي عندما تتصور الظواهر والعمليات الاجتماعية بطريقة واضحة وذات معنى.

ثالثا : مصادر المنهج التاريخي :

يمكن تقسيم المصادر التاريخية وهي" الحقائق والبيانات المدونة مثل الوثائق والمطبوعات والبحوث والدراسات الإحصائية" إلى ثلاثة أقسام هي :

أولا : المصادر الأولية :وتضم هذه المصادر كل من الآثار والوثائق [1]:

١- أما " الآثار "فهي بقايا حضارة **ماضية أو أحداث وقعت في الماضي، فالأهرامات** مصدرا هاما من مصادر فهمنا للحضارة القديمة، وبالنسبة لعالم **الاجتماع تدل** على وجود شكل أو نمط معين من أنماط الحياة الاجتماعية.

٢- أما " الوثائق " فهي سجل لأحداث أو وقائع ماضية قد يكون مكتوبا أو مصورا أو

---

[1]() محمد على محمد : البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص ١٤٨.

شفهيا،وكلها تشكل مصدرا هاما للتعرف على طابع الحياة الاجتماعية والثقافية في المجتمع.

ثانيا : المصادر الثانوية :وهي معلومات غير مباشرة وتشمل كل ما نقل أو اشتق أو أخذ عن مصادر أولية،أي أن الجهة التي تستفيد أو تستخدم البيانات الأولية تعتمد على البيانات التي تنشر في البحوث أو الرسائل العلمية أو في الصحف والمجلات، وتكون مستقاة من مصادر أولية أو من مصادر ثانوية أخرى [1].

ومن الأفضل استخدام **المصادر الأولية**، إذ أن المصادر الثانوية كثيرا ما تكون معرضة للأخطاء الناتجة عن عدم الدقة في نقل البيانات أو أخطاء في الكتابة أو التحليل،كما أن المصادر الأولية قد تحتوى على تفاصيل أو في بطبيعة الحال من المصادر الثانوية.

ثالثا :المصادر الميدانية : إذا كانت المعلومات المطلوبة توجد لدى بعض الأفراد أو الهيئات،أو تكون مشاهدات غير مدونة في سجلات،فإن الباحث يقوم بجمعها عن طريق توجيه بعض الأسئلة للأفراد أو الحصول عليها عن طريق المشاهدة المباشرة أو دراسة الآثار وبقايا الحضارات القديمة والتراث التاريخي لبعض الثقافات عن طريق مشاهدات الرحالة [2].

نخلص مما سبق : أن مصادر المنهج التاريخي متنوعة ومتعددة، ومعظم البحوث تحتاج لكل الأنواع السابقة،إذ تستلزم حقائق تاريخية أو إحصاءات معينة،وتقتضي في نفس الوقت اتصالا مباشرا ببعض الرواة والمؤرخين للتعرف على آرائهم أو الإطلاع على البحوث التاريخية الأخرى التي لها علاقة بالبحث موضوع الدراسة.

يجب أن نؤكد على أنه سواء أكان المصدر أوليا أو ثانويا فإنه يتعين على الباحث دائما أن يبذل محاولة في سبيل التأكد من صدق المصدر ومدى دقته،إذ أن بعض البيانات والمعلومات التاريخية تكون غير دقيقة ويعتريها بعض القصور،لذا يجب على الباحث أن يجرى تحليلا خارجيا لبياناته بقصد التحقق من صدقها ومصدرها،وتحليلا داخليا للتأكد

---

(1) محمد عاطف غيث، غريب محمد سيد أحمد : مرجع سابق، ص ٦٠.

(2) P. Young : op.cit., p.155.

من حقيقة المعاني أو المعلومات التي اشتملت عليها الوثيقة.

رابعا: خطوات **البحث التّاريخي:** يمر **البحث التاريخي بعدة خطوات هي**[1]:

أولا : **تحديد مشكلة البحث** : من المعروف أن الموضوعات التي تهم الباحث الاجتماعي، هي تلك التي تتعلق بالظواهر الاجتماعية والثقافية والعلاقات التي تحدث بين الأفراد والجماعات، وما قد يحدث في المجتمع من مشكلات نتيجة لاضطراب العلاقات والأوضاع الاجتماعية، ولذا فمن الضروري أن تنصب مشكلة البحث على موضوع من الموضوعات التي تدخل في دائرة البحث الاجتماعي.

كما يشترط في الظاهرة التي يختارها الباحث أن تكون ممتدة عبر التاريخ ولها صفة الاستمرار والدوام النسبي بحيث يمكن تعقبها وتتبع مراحل التطور التي مرت بها والآثار المترتبة عليها.

ويراعى أيضا عند اختيار المشكلة، الأهمية العلمية للمشكلة، ومران الباحث على المنهاج التاريخي **وكيفية استخدامه**، وتوفير الوثائق المتعلقة بالمشكلة، وجدة الموضوع، مع مراعاة الزمن المخصص للبحث.

ثانيا: **جمع الحقائق المتعلقة بالمشكلة** : بعد أن يستقر رأى الباحث على موضوع من الموضوعات، فإن من الضروري أن يقوم بحصر المصادر التي تفيد في الحصول على بيانات عن موضوع بحثه، سواء أكانت مصادر أولية أو ثانوية أو ميدانية.

ويتعين على الباحث أن يبذل قصارى جهده للتأكد من صدق المصدر ودقته، ذلك أن فرصة التحيز في تسجيل الوقائع واردة دائما سواء أكان المصدر شفاهيا أو كتابيا أو تصوريا.

وعلى الباحث أن يتسلح بالمعارف والمهارات والاتجاهات الضرورية للوصول إلى الحكم التاريخي السليم كمعرفة اللغات واللهجات القديمة والحديثة الوطنية والأجنبية لقراءة الوثائق بلغاتها الأصلية، حتى يتمكن من فهمها في ضوء الإطار المعرفي **للبحث الذي يقوم به، وهذا**

---

[1]() عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ص ٢٧٢ – ٢٨١.

يتطلب تحليل المصادر من وجهيها وهما[1]:

١- **التحليل الخارجي** : ويشتمل على نقد الوثيقة والتحقق من شخصية صاحبها، وكذلك التحقق من تاريخ الوثيقة بالنسبة لتاريخ الواقعة، والبحث عما إذا كانت الكتابة نتيجة لرؤية مباشرة ومشاركة فعلية، أم نتيجة لسماع الوقائع من شخص أو أشخاص آخرين.

٢- **التحليل الداخلي** :وينقسم إلى :

أ- تحليل داخلي إيجابي، ويقصد به عدم الاكتفاء بالتأكد من صحة الوثيقة وتاريخها وكاتبها، وإنما يتطلب التأكد من حقيقة المعاني التي تتطلبها الوثيقة.

ب- تحليل داخلي سلبي، بهدف تحديد الظروف والدوافع التي يمكن أن تكون قد أثرت في كاتب الوثيقة، فدفعته إلى التمسك بالصدق أو دفعته إلى الكذب والتزوير والتحريف، وألا يسلم بصدق أية وثيقة دون أن يتأكد بالأسلوب العلمي من صدقها.

ثالثا : **تصنيف الحقائق وتحليلها ومحاولة الربط بينها** :يستطيع الباحث بمقتضى التحليل الداخلي للمصدر أن يحدد المعاني الحقيقية التي ترمى إليها محتويات الوثائق سواء أكانت هذه المعاني ظاهرة أو خفية، وأن يصل إلي مجموعات من الحقائق الجزئية، وهذه الحقائق الجزئية لا تصبح لها قيمتها إلا إذا صنفت في طوائف تحتوى كل منهما على أمور متجانسة[2].

وقد ابتكر بعض العلماء طرقا لتصنيف الحقائق التاريخية على أساس طبيعتها الداخلية إلى حقائق طبيعية ونفسية واجتماعية، والباحث الاجتماعي لا تعنيه إلا الحقائق الاجتماعية، ولكي يستفيد الباحث من هذه الحقائق فلابد وأن يصنفها على أساس المكان والزمان أو كليهما حتى يمكن الكشف عن الاتجاهات العامة للظاهرة موضوع الدراسة، ومعرفة العوامل والظروف التي خضعت لها في تطورها وتغيرها وانتقالها من حال إلى حال.

---

[1]() زيدان عبد الباقي : مرجع سابق، ص ص ٣٢٢ – ٣٢٣.

[2]() عبد الحميد محمود سعد : مرجع سابق، ص ٧٤.

ولكي يكتمل التحليل لابد من الربط بين النظم الاجتماعية المعاصرة والنظم التي كانت سائدة في الماضي،ودراسة **العلاقات القائمة بين الظاهرة موضوع الدراسة** وما يتصل بها من ظواهر،والوقوف على الآثار المتبادلة التي تنتج من تفاعل هذه **العلاقات،ولابد من تعليل النتائج وتفسيرها في ضوء الحقائق التي توصل إليها الباحث.**

رابعا : عرض النتائج :بعد أن ينتهي الباحث من ا ستخلاص الحقائق وإيجاد العلاقات وتعليل النتائج وتفسيرها، تبدأ خطوة عرض النتائج وتستلزم هذه الخطوة صياغة النتائج بحيث تتمشى مع الخطوات المختلفة التي استخدمت في الوصول إليها، وعرض النتائج بمنتهى الدقة،مع الإشارة إلى مصدر كل العبارات المقتطفة في البحث، وترتيب المصادر والمراجع حسب أهميتها العلمية [1].

من خلال عرضنا للمنهج التاريخي نخلص بما يلي :

اتضح مما سبق أهمية وقيمة الدراسات التاريخية في الوصول إلى النظم الحاضرة، ووضع النظم المستقبلية **على أرسى** ما تكون القواعد،فالتاريخ **هو ميدان ملاحظة** الظواهر وحقل التجارب التي تتخذ فيها هذه الظواهر أوضاعها المختلفة.

أوضح الكثيرون من علماء الاجتماع أن المنهج التاريخي يستخدم في البحوث الاجتماعية بقصد الوصول إلى المبادئ والقوانين العامة عن طريق **البحث في أحداث** التاريخ الماضية،وتحليل الحقائق المتعلقة بالمشكلات الإنسانية **والقوى الاجتماعية** التي شكلت الحاضر.

رغم أهمية **المنهج التاريخي** للدراسات الاجتماعية إلا أن هناك صعوبات تواجه الباحثون عند استخدامهم للبيانات التاريخية منها :

١- ليس لدى الباحث حرية تكوين البيانات بالصورة التي تتفق مع موضوع دراسته، وفى كثير من الأحيان لا يمكن للباحث التوصل إلى البيانات المرتبطة بالمشكلة البحثية.

٢- أحيانا لا تعطى السجلات المكتوبة إجابات لأسئلة متصلة بالمشكلة البحثية، ويصعب بالتالي الاستخلاص الجيد من السجلات الموجودة.

٣- كثرة البيانات التاريخية والصعوبة البالغة في اختيار وتحديد أهمها.

---

[1]() عدلي على أبو طاحون : مرجع سابق، ص ١١٣.

٤- عدم القدرة على إيجاد أسس ثابتة يمكن تطبيقها لتحليل أحداث الماضي.

٥- كثيرا **ما نجد تزييفا للتاريخ من بعض المؤرخين، ولذا يجب أن يكون لدى الباحث** المقدرة العلمية التي تمكنه من التفرقة بين المصادر الموثوق بها وغير الموثوق بها.

ورغم ذلك لا غنى للباحث في ميدان علم الاجتماع عن هذا المنهج الحيوي فكما يرى " **رايت ملز**" أنه من العسير دراسة اتجاهات الأفراد أو أية ظاهرة اجتماعية إذا عزلت عن سياقها التاريخي.

الفصل التاسع

منهج دراسة الحالة

تمهيد :

تمثل" **دراسة الحالة** " Case Study Method إلتقاءا منهجيا بين المؤرخ والباحث في علم الاجتماع،وهى خطوة مبدئية لصوغ الأنماط والوصول إلى التعميمات،وتستند دراسة الحالة إلى منطق أساسه النظر **إلى أية وحدة اجتماعية** على أنها كل سواء كانت هذه الوحدة جماعة أو نظاما اجتماعيا أو ثقافة،وهذا الكل هو وحدة دراسة الحالة.

وبنظرة تاريخية لا يمكن إنكار الدور الذي قام به**"فرويد"** S. Freud في إرساء دعائم منهج دراسة الحالة، حيث استطاع أن يصوغ نظريته في **التحليل النفسي واللا شعور** أثناء قيامه بدراسات متعمقة للمرضى.

وكان ل" **تشارلز كولى** " C.H.Cooley إسهاما واضحا في نشر منهج دراسة الحالة،فيرى أن دراسة الحالة تعمق إدراكنا وتفكيرنا وتعطينا استبصارا أوضح في الحياة،فهي تتناول السلوك مباشرة،وقد لاحظ كولى سلوك **أطفاله ووجد** أن التعمق في تحليل السلوك عن طريق دراسة عدد محدود من الحالات يمكننا من فهم الأبعاد الحقيقية للظواهر الاجتماعية [1].

من هذا المنطلق تمثل"**دراسة الحالة** "أداة تحليلية للسلوك والمواقف الاجتماعية،وطريقة للتعمق الكيفي في فهم هذه الظواهر،ولذا نسلط الضوء في هذا الفصل على منهج دراسة الحالة لسرد بعض القضايا كما يلي :

أولا : ماهية منهج دراسة الحالة :

يطلق على منهج دراسة الحالة في الفرنسية اسم " المنهج المونوجرافى"، والمونوجرافيا تعنى وصف موضوع مفرد،ويقصد بها علماء الاجتماع الفرنسيون القيام بدراسة وحدة مثل " الأسرة أو القرية أو القبيلة أو المصنع دراسة مفصلة مستفيضة للكشف عن جوانبها المتعددة

---

[1]() علياء شكري وآخرون : قراءات معاصرة في علم الاجتماع، دار النشر المتحدة، القاهرة، ١٩٧٢، ص ١٩٤.

والوصول إلى تعميمات تنطبق على غيرها من الوحدات المتشابهة [1].

أما **علماء الاجتماع الأمريكيون** اتفقوا على أن **منهج دراسة الحالة** " هو المنهج الذي يتجه إلى جمع البيانات العلمية المتعلقة بأية وحدة سواء أكانت فردا أو مؤسسة أو نظاما اجتماعيا أو مجتمعا محليا أو مجتمعا عاما، وهو يقوم على أساس التعمق في دراسة مرحلة معينة من تاريخ الوحدة، أو دراسة جميع المراحل التي مرت بها، وذلك بقصد الوصول إلى تعميمات علمية متعلقة بالوحدة المدروسة وبغيرها من الوحدات المشابهة لها"[2].

ويرى البعض أن **دراسة الحالة تعتبر أداة وليس منهجا** كما أشار البعض في كتاباتهم، ومن هنا يجب أن نؤكد أن دراسة الحالة منهجا لأنها طريقة في البحث،ثم كيف نعتبرها وسيلة،والباحث الذي يستخدم دراسة الحالة يستعين بالعديد من الوسائل مثل " الملاحظة والمقابلة والاستبيان والوثائق "، كما أنها منهج يقوم على عدم الانحياز والدقة والوصف الكامل لموضوع الدراسة.

مما سبق ومن خلال التعريفات السابقة لمنهج دراسة الحالة يمكن تحديد العناصر الأساسية للمنهج فيما يلي [3] :

١- ليس من الضروري أن تكون الحالة جماعة أو نظاما اجتماعيا أو مجتمعا محليا، فقد تكون فردا.

٢- طالما أن منهج دراسة الحالة ينصب على دراسة الوحدات الاجتماعية، سواء أكانت وحدات صغيرة أو كبيرة،كما أن الوحدة الصغيرة قد تكون جزءا من حالة في إحدى الدراسات، بينما تكون حالة قائمة بذاتها في دراسة أخرى.

---

[1] () عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ٢٤٠.

[2] () عدلي على أبو طاحون : مرجع سابق، ص ٦٣.

[3] () عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ٢٤١.

٣- يقوم المنهج على أساس التعمق في دراسة الوحدات المختلفة وعدم الاكتفاء بالوصف الخارجي أو الظاهري للموقف.

٤- يهدف المنهج إما إلى تحديد مختلف العوامل التي تؤثر في الوحدة المدروسة،أو الكشف عن العلاقات السببية بين أجزاء الظاهرة.

كما يرى البعض أن منهج دراسة الحالة يتصف بعدة خصائص هي[١]:

١- أنها طريقة للحصول على معلومات شاملة عن الحالات المدروسة.

٢- أنها طريقة للتحليل الكيفي للظواهر والحالات، كما أنها تهتم بالموقف الكلى وبمختلف العوامل المؤثرة فيه والعمليات التي يشهدها.

٣- أنها طريقة تتبعية،تعتمد على عنصر الزمن،فهي تهتم بالدراسة التاريخية

٤- أنها منهج ديناميكي لا يقتصر على بحث الحالات الراهنة.

٥- هي منهج يسعى إلى تكامل المعرفة لاعتماده على أكثر من أداة لجمع البيانات.

أشار " كيمبال يونج " Kimball Young إلى دراسة الحالة بوصفها إحدى الطرق التاريخية الأصيلة لأنها تهتم بتقديم تصور زمني لتفسير الأفراد وتأويلهم لخبراتهم الخاصة وخبرات الآخرين أيضا، ويرى"فان دالين " أن دراسة الحالة تشبه الدراسات المسحية، إلا أنه بدلا من جمع بيانات تتعلق بعوامل قليلة من عدد كبير من الوحدات الاجتماعية، فإنها تقوم بدراسة مستوعبة لعدد محدود من الحالات المثلة بل وأكثر من ذلك فإن دراسة الحالة تكون أكثر وصفية في طبيعتها من الدراسات المسحية[٢].

ثانيا : استخدامات منهج دراسة الحالة :

لا شك في أن منهج دراسة الحالة قد استخدم منذ قديم الزمن في الكثير من الميادين ،وبخاصة من قبل علماء الاجتماع وعلم النفس والقانون والأنثروبولوجيا والخدمة الاجتماعية

---

[١] () محمد على محمد : البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٦٥.

[٢] () عدلي على أبو طاحون : مرجع سابق، ص ص ٦٤ – ٦٦.

ورجال الصحافة.....وغيرهم، بيد أن كل منهم كان له أغراضه وأهدافه.

ويرجع فريق من المشتغلين بمناهج البحث الاجتماعي شيوع استخدام هذا المنهج إلى الثلاثينيات من القرن العشرين وظهور **" نظرية الجشطالت "** التي لفتت النظر إلى ضرورة الاهتمام بالموقف الكلى الذي يتفاعل فيه الكائن الحي باعتباره جزءا من الموقف لا ينفصل عنه إلا بقصد التحليل فقط ، ومن هنا شاع استخدام منهج دراسة الحالة [١].

ويرى البعض أن منهج دراسة الحالة أكثر استخداما في الدراسات النوعية الكيفية التي تهدف إلى الحصول على عمق وتفصيلات في البيانات، كما أنها تعطى صورة كلية شاملة لدراسة ظاهرة معينة في مجتمع محدد، كما أنها تفيد في الدراسات الكشفية،كما تفيد في **الدراسات التي تختبر** الفروض السببية [٢].

ومن الدراسات الهامة التي استخدمت هذا المنهج دراسة **" وليم وايت "** W.Whyte، بعنوان " جماعة شارع الناصية " في كورنفيل بمدينة بوسطن الأمريكية والتي نشرها عام ١٩٤٣[٣].

ويرى البعض أن **منهج دراسة الحالة يستخدم** في الحالات الآتية [٤]:

١- حينما **يريد الباحث دراسة المواقف المكنة دراسة تفصيلية في مجالها الاجتماعي** ومحيطها الثقافي.

٢- حينما يريد دراسة التاريخ التطوري لشيء أو شخص أو موقف معين.

٣- حينما يريد الباحث أن يتوصل إلى معرفة حقيقة الحياة الداخلية لشخص ما بدراسة حاجاته الاجتماعية واهتماماته ودوافعه.

---

[١] عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ٢٤٢.

[٢] الفاروق زكى يونس : الخدمة الاجتماعية والتغير الاجتماعي،عالم النشر، القاهرة، ١٩٧٨، ص 188.

[3] Sanford Labovitz & Robert Hagedorn, : Introduction to social research, N.Y M cgraw Hill Book Company, 1976, p.68.

[٤] عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ص ٢٤٢ – ٢٤٣.

٤- حينما يريد الباحث الوصـــول إلى حقائق متعلقة بمجموعة الظروف المحيطة بموقف اجتماعي،أو التوصل إلى العوامل المستخدمة في وصف وتحليل العمليات الاجتماعية التي تقوم بين الأفراد.

ثالثا : منهج دراسة الحالة للأفراد والمجتمعات :

إن منهج دراسة الحالة يستخدم في دراسة الوحدات سواء أكانت فردا أو مؤسسة أو نظاما أو مجتمعا محليا، وفيما يلي عرض لدراسة الحالة حينما تكون الوحدة فردا أو مجتمعا محليا :

أولا : منهج دراسة الحالة للأفراد:استخدم منهج دراسة الحالة في دراسة الأفراد منذ أقدم العصور، فقد استخدمه القضاة في دراسة حالات المجرمين، واستخدمته الجمعيات الخيرية في دراسة حالات الأشخاص **الذين كانوا يتقدمون** بطلب مساعدات مالية،واستخدمه المؤرخون في وصف حياة الناس والأمم.

ويرى البعض أن ظهور هذا المنهج واســـتخدامه بطريقة علمية **ترجع إلى النصـــف** الأول من القرن التاسع عشر،حينما استعان **" لوبلى "** بمنهج دراسة الحالة في دراسة **أحوال الأسر** العاملة في فرنســـا، وفى عام١٩١٥ نشـــر **" ويليام هيلى** "دراســـة حول الأحداث الجانحين، **وأكد أن الإحصاء وحده لا يكفى في فهم الإنسان والظروف** المحيطة به[١].

في عام **١٩١٦ نشرت "ماري ريتشموند "**كتابها"التشخيص الاجتماعي"، ناقشت فيه مختلف الأســاليب التي يســتخدمها رجال الخدمة الاجتماعية في الوصـول إلى حقائق علمية متعلقة بالأفراد،وخلال الفترة ما بين عامي ١٩١٤، ١٩٢٠استعان**" توماس و زنانيكى " بالوثائق الشخصية والمذكرات والخطابات** في دراسة الحالات في دراستهما " الفلاح البولندي في أوربا وأمريكا "[٢].

---

[١]() نفس المرجع السابق : ص٢٥١.

(2) P.Young : op.cit., p. 227.

ويمكن **تعريف منهج دراسة الحالة** – حينما تكون الوحدة فردا – بأنه " الطريقة المنظمة لجمع بيانات كافية عن شخص باعتباره وحدة من وحدات المجتمع، وذلك بقصد التعرف على طبيعة المراكز التي يشغلها في المجتمع والأدوار التي يقوم بها،وكذا الطريقة التي يتصرف بها في المواقف الاجتماعية المختلفة "[1].

وقد ينصب مجال الدراسة على جانب واحد فقط من حياة الفرد الاجتماعية، فيقتصر الباحث على دراسة العلاقات التي تنشأ بين الفرد وبين زملائه في محيط العمل مثلا،وفى دراسة الحالات الفردية ينبغي التأكد مما يلي [2] :

١- **كفاية البيانات** : وذلك بجمع بيانات متعمقة عن مختلف جوانب الحالة،وهذه البيانات كثيرا ما تتناول النواحي النفسية والعضوية والصحية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية للحالة.

٢- **صدق البيانات:**وللتأكد من صدق البيانات ينبغي الرجوع إلى مصادر أخرى كالتقارير والبيانات الرسمية الموثوق بصحتها، ومراجعة البيانات التي أدلى بها المبحوث على البيانات الرسمية للتأكد من صدقها.

٣- **ضمان سرية البيانات** :ينبغي أن يعمل الباحث على منع تسرب البيانات لأي أشخاص آخرين قد يكون في استطاعتهم إلحاق الضرر بالمبحوث نتيجة لإدلائه بالبيانات اللازمة للبحث.

٤- **ضمان صحة التعميمات العلمية**: وذلك أن تكون التعميمات متمشية مع النتائج التي حصل عليها الباحث، وفى حدود الحالات التي دخلت في نطاق البحث وكذلك الحالات المشابهة لها.

---

[1] () عدلي على أبو طاحون : مرجع سابق، ص ٧٥.

[2] () عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق ، ص ص ٢٥٢ – ٢٥٣.

ثانيا : منهج دراسة الحالة للمجتمعات: يمكن القول بأن منهج دراسة الحالة في دراسة المجتمع المحلى قد استخدم منذ وقت طويل،فلقد استخدمه الباحثان **" روبرت لينـد و هيلين لينـد "** في دراسة مدينة مديلتاون بولاية أنديانا الأمريكية،ونشرا نتائج دراستهما عام ١٩٢٩،ومنذ ذلك التاريخ ظهرت أبحاث كثيرة تطبق هذا المنهج.

يمكن تعريف منهج دراسة الحالة – حينما تكون الوحدة مجتمعا – بأنه " الطريقة المنظمة لجمع بيانات كافية عن مجتمع محلى معين بحيث تساعد هذه البيانات على تكوين صورة واضحة عن الحياة في داخل المجتمع ككل،وقد ينصب مجال الدراسة على نسق أو نظام واحد من أنظمة المجتمع أو يشمل عدة أنظم،وقد يشمل جميع الأنظمة القائمة في المجتمع ليتمكن الباحث من الوصول إلى مزيد من الدقة والفهم [١].

ولذلك عند دراسة للمجتمع المحلى يجب أن يراعى الباحث ما يلي[٢] :

١- **من الضروري أن يحدد الباحث مشكلة الدراسة تحديدا دقيقا وأن يجعلها على درجة كبيرة من الوضوح، كما ينبغي عليه أن يحدد ما إذا كان يرغب شفى إجراء بحثه مستعينا بفروض محددة أم لا.**

٢- في حالة دراسة مجتمع محلى فإنه ينبغي على الباحث أن يحدد ما إذا كان يرغب في دراسة مجتمع صغير قائم بذاته أو دراسة مجتمعات تعتبر جزءا من مجتمعات أكبر.

٣- على الباحث قبل أن يقرر اختياره النهائي لمجتمع ما أن يكون متأكدا من **توفر الإحصاءات والبيانات والمصادر التاريخية التي تعطى صورة واضحة عن المجتمع** وخصائصه وتطوره.

٤- ينصح البعض بعدم دراسة المجتمعات المحلية في حالة التغير لقلة المصادر التاريخية عن تلك المجتمعات،وإن كان البعض الآخر يفضل دراسة المجتمعات المحلية في صورة ديناميكية،وفى هذه الحالة **ينبغي على الباحث أن يقوم بتحديد** ما يطلق عليه بنقطة الصفر وهى النقطة التي يعتقد الباحث أن **المجتمع قد تغير** عندها تغيرات ملموسة.

---

[١] () عدلي على أبو طاحون : مرجع سابق، ص ٧٧.

[٢] () عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص٢٦٠ – ٢٦٢.

٥- يجب تحديد الطريقة التي تجمع بواسطتها بيانات الدراسة.

٦- يجب أن يكون جامعوا البيانات غرباء عن المجتمع **حتى يتصفوا** بالواقعية والموضوعية والحياد.

٧- ينبغي على الباحث بعد جمع البيانات وتصنيفها وتحليلها أن يتجه إلى تعميم النتائج التي توصل عليها على **المجتمعات المتشابهة، لأن الوصول إلى التعميم** هو الهدف من الدراسات العلمية.

رابعا : وسائل جمع البيانات في دراسة الحالة : وتتضمن ما يلي [1]:

١- **الملاحظة :** من خلالها يتمكن الباحث من التعمق في إدراك الظواهر والنظم والعلاقات المدروسة،وذلك من خلال دوره كملاحظ شارك في الحياة الاجتماعية لهذه المجتمعات.

٢- **المقابلة الشخصية** :وهي عبارة عن مقابلة مباشرة بهدف جمع معلومات من الحالات المدروسة، وتختلف الظروف التي تستخدم فيها المقابلة الشخصية باختلاف الظروف والحالات المدروسة،وتتميز بأنها **تعطى المبحوث فرصة للتعبير** عن مشاعره واتجاهاته وآرائه بحرية كاملة، وتشكل العلاقة القائمة بين القائم بالمقابلة والمبحوث عاملا أساسيا في نجاح المقابلة والحصول على المعلومات، ويفضل أن يعد الباحث دليلا للمقابلة يوجه من خلاله الأسئلة للمبحوث ويترك له حرية التعبير عن إجاباته كيفما شاء.

٣- **الوثائق والسجلات المكتوبة :** يعتمد الباحث على السجلات الرسمية والشخصية في الحصول على معلومات تفيد في إلقاء الضوء **على الحالات** المدروسة،وتفيد أيضا في التحقق من صحة المعلومات التي نحصل عليها **عن طريق** المقابلة الشخصية،وتكشف الوثائق عن الحياة كما يعيشها **الشخص دون تدخل من جانب** الباحث،كما يهتم الباحث بالإطلاع على التقارير الإحصائية والتقارير المدرسية والصحف والمجلات.... وغيرها من الوثائق، بحيث يختار باستمرار البيانات الملائمة وذات الدلالة لموضوع بحثه.

---

[1]() عدلي على أبو طاحون : مرجع سابق، ص ص ٧٠ – ٧٤.

٤- **معايير تاريخ الحياة** : يتضمن هذا السجل التاريخ التطوري للفرد منذ نشأته، وتدون فيه استجابات الفرد المختلفة للمؤثرات التي مرت به منذ بداية حياته والتي كان لها أثر في تكوين قيمه واتجاهاته،ويتضمن أيضا تطور فلسفة الفرد في الحياة **والخبرات التي اكتسبها وأنواع الأزمات النفسية والعقلية التي أثرت في بناء شخصيته.**

ولقد وضع **" جون دولارد "** J. Dollard معايير يجب الالتزام بها عند استخدام تاريخ الحياة منها :

أ- النظر إلى الموضوع أولا على أنه عنصر في إطار ثقافي أوسع.

ب- يجب أن تكون عناصر السلوك المدروسة تاريخيا ذات دلالة اجتماعية.

ج- يتعين الاهتمام بدور الأسرة في نقل المعايير الثقافية خلال عملية التنشئة الاجتماعية.

د- يجب الاهتمام بمراحل النمو المختلفة للحالة.

ه- يجب إبراز المواقف الاجتماعية في كل مرحلة وبيان تأثيره.

و- يتعين تنظيم مادة تاريخ الحياة من أجل استخلاص الشواهد والنتائج منها.

٥- السير والسير الخاصة والمذكرات اليومية:تفيد في أنها تكشف عن الخبرات الداخلية للأشخاص، وتعطى بطريقة مقصودة،أو غير مقصودة معلومات تتعلق ببناء وديناميكية الحياة العقلية لصاحبها وطريقة سلوكه، وينبغى قبل الاعتماد على هذا النوع من الوثائق تحليلها تحليلا دقيقا للتأكد من صدقها.

مما سبق يمكن القول:أنه عند دراسة الحالات الفردية،يقوم الباحث بتحديد الظاهرة أو نوع السلوك المطلوب دراسته،ثم يحدد الجوانب **التي** تنصب عليها الدراسة،ثم يحدد المفاهيم والفروض العلمية،**ثم يقوم باختيار العينة** ويحدد وسائل جمع البيانات،ثم يقوم بتدريب جامعي البيانات،ثم عملية **جمع البيانات** وتسجيلها فاستخلاص الذتائج وتعميمها،**وعندما يقوم بدراسة المجتمعات المحلية**،إضافة للخطوات السابقة يقوم الباحث بتحديد **مجتمع الدراسة ويجب أن** يتأكد من توافر البيانات والإحصاءات التي تعطى صورة واضحة عن المجتمع.

تشير **"بولين يونج"** إلى أن منهج دراسة الحالة يتوقف استخدامه على مهارة الباحث، فعن طريقه يمكن الوصول إلى فروض مثمرة ومناهج منطقية ووحدات للتصنيف ونتائج ذات فعالية،وعن طريق هذا المنهج أيضا يمكن النفاذ إلى أعماق الظواهر أو المواقف التي يقوم بدراستها بدلا من الاكتفاء بالجوانب السطحية التي قد تكون غير ذات دلالة حقيقية [1].

تختلف الأدوات المستخدمة في دراسة الحالة اختلافا بينا في مختلف الميادين، فقد يستخدم الملاحظة عن طريق المشاركة، أو الملاحظة المنتظمة، أو المقابلة الشخصية،كما قد تستخدم الوثائق لتصور حالة معينة،ولهذا تتميز **دراسة الحالة** بالتعمق،ولذلك فإن البيانات أو المعلومات التي تستقى من دراسة الحالة تكون إطارا جديدا لبحث يقصد به التعميم والتوصل إلى النظريات والقوانين.

ويمكن تطبيق دراسة الحالة **بوسيلتين هما** [2]:

أولا : تاريخ الحالة Case History : ويهدف إلى دراسة دورة الحياة في مجموعها،أو دراسة عملية محددة من هذه الدورة،أو فترة من فتراتها لوحدة مفردة،سواء كانت هذه الوحدة فردا أو أسرة أو نظاما أو جماعة **أو مجتمعا محليا**، وعند دراسة الحالة يستخدم الباحث المقابلة الشخصية **كوسيلة لجمع البيانات**،كما أنه يمكنه استكمال **بياناته عن الحالة باللجوء إلى التقارير ومختلف السجلات** التي قد تشير إلى معلومات معينة عن الحالة موضع الدراسة.

ويتضمن تاريخ الحالة **نوعين من البيانات** هما:

١- **بيانات محددة :**وتدور حول النمو الطبيعي **للفرد**،والطرق **التي انتهجها الأبوين** في تدريبه وتنشئته الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية المبكرة **والعادات الاجتماعية** والموضوعات التي يكرهها وتقدمه التعليمي.

---

(1) P.Young : op. cit.,p. 263.

[2]() جمال زكى، السيد يس : أسس البحث الاجتماعي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٢، ص ص ٢٧٠ – ٢٧٧.

٢- **بيانات عامة :** وتدور حول أي انحراف في الشخصية أو في السلوك، ومن الضروري أيضا الحصول على تاريخ مفصل للأسرة، إذ عن طريق فهم المشاكل التي يعانيها الآباء يمكن تفسير شخصية الطفل...وهكذا.

ثانيا : التاريخ الشخصي للحياة Life History : وهى صورة من صور تاريخ الحالة،وفيها يعرض الفرد المبحوث الحوادث التي مرت به **واهتماماته** واتجاهاته والخبرات التي اكتسبها وذلك من وجهة نظره الخاصة،فكأن الفرق بين تاريخ الحالة والتاريخ الشخصي للحياة،يتلخص في أن **الأول:** يهتم بالتثبت من مدى صدق البيانات التي يدلى بها الفرد أو التي يمكن جمعها عنه،أما **الثاني** فيهتم بعرض حياة الفرد من وجهة نظره الخاصة بما يتضمنه ذلك **من التفسيرات** التي يراها للمراحل المتعاقبة لنموه الانفعالي والسلوكي،بمعنى أن الأول يهتم بالفرد،في حين يهتم الثاني بالشخص.

وتعتمد كل من " **طريقة تاريخ الحالة،والتاريخ الشخصي للحياة** " ليس فقط على ما يدلى به المبحوث شفاهة في المقابلة،بل على مصادر أخرى "**كالوثائق الشخصية التي تأخذ أشكالا** متعددة مثل اليوميات أو الخطابات **أو الاعترافات**".

ويتطلب **أسلوب دراسة الحالة** أن يقوم الباحث بتسجيل وتصنيف البيانات عن الحالات التي يقوم بدراستها،مما يتطلب أن يعد الباحث **ملفا لكل** حالة على حدة،ثم يقوم الباحث بتحليل العناصر المتشابهة **من ناحية والمختلفة** من ناحية أخرى لكي يستطيع عقد مقارنات بين الحالات في ضوء **الفروق بينها**،وأخيرا يمكن للباحث أن يصوغ النتائج بعد استخلاص التعميمات منها[1].

كما يتطلب **منهج دراسة الحالة** أن يكون الباحث انتقائيا في المادة التي يجمعها،والمعيار الأساسي في عملية الانتقاء هذه يتوقف **على مدى ارتباط البيانات** بمشكلة

---

[1]() غريب محمد سيد أحمد : تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص ص ١٨٩ – ١٩٠.

البحث، ويجب أن يكون لدى الباحث إطار تصوري واضح لتوجيهه في عملية جمع البيانات وتصنيفها [1].

نخلص مما سبق : أن منهج دراسة الحالة يتميز بأنه يمكننا من دراسة الحالة أو الوحدة الاجتماعية دراسة شمولية كلية ،وتوفر للباحث **مزيدا من العمق** والتفصيلات التي لا تساعده فقط على فهم أفضل للحالة المدروسة ،وإنما توفر البيانات التي تسهم في اختبار صحة النظريات العلمية وتطورها، ورغم أهمية **منهج دراسة الحالة إلا أن البعض يشكك في الاعتماد عليه كلية للأسباب الآتية** [2]:

١- عدم صدق البيانات التي يجمعها الباحث باستخدام هذا المنهج،ويمكن الرد على ذلك بأنه يمكن التأكد من صدق البيانات التي **يحصل عليها الباحث بالرجوع** إلى مصادر أخرى،كالتقارير والبيانات **الرسمية الموثوق بصحتها،ومراجعة البيانات** الموجودة بسجلات الحياة أو التي أدلى بها المبحوث على **البيانات الرسمية للتأكد** من صحتها.

٢- عدم إمكانية تعميم النتائج التي يصل إليها **الباحث عن طريق استخدام منهج** دراسة الحالة، ولكن يمكن الرد على ذلك بأن كل حالة من الحالات لا يمكن اعتبارها فردية فريدة **في خصائصها**،وإنما تشترك **مع غيرها في كثير من الخصائص.**

٣- يتكبد الباحث في دراسته **للحالات الكثير من الوقت والجهد** والمال،وهذا يقلل من أهمية هذا المنهج ومدى الاعتماد عليه في البحث،ولكن يمكن الرد على ذلك بأن رغبة الباحث في الوصول إلى نتائج متعمقة تكلفه بذل الوقت والجهد والمال

٤- يرى البعض أن البعد الذاتي للباحث والمبحوث قد يلعب دورا واضحا ومؤثرا في بيانات دراسة الحالة،فهناك احتمال كبير أن ينسى المبحوث بعض التفاصيل والوقائع الهامة **أو يغير من معالمها ويشوهها عن قصد أو عن غير قصد.**

---

(١) محمد الجوهري، عبد الله الخريجى : طرق البحث الاجتماعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة، ١٩٨٣، ص ص ١٧٠ – ١٧٤.

(٢) عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ص ٢٦٤ – ٢٦٥.

الفصل العاشر

المنهج التجريبي

تمهيد :

التجربة منهج للبحث يتجه اتجاها محددا في الحصـــول على المعلومات وتحليلها، ولقد أثمرت التجارب ثمارا هائلة في العلوم الطبيعية والبيولوجية، حتى أصـــبح الكثيرون يعتقدون أنها الأســـاس الذي ينهض عليه المنهج العلمي بأكمله، أما في دائرة العلوم الاجتماعية فلقد استخدمت التجارب أساسا عند علماء النفس، لكن هناك دلائل على أن البحث التجريبي أخذ ينتشر في نطاق علم الاجتماع،وأصبح لا غنى عنه في تطوير النظريات والتحقق من صحتها.

ورغم **أهمية التجريب في علم الاجتماع**،إلا أننا نجد أن اســـتجابة علماء الاجتماع تختلف ما بين **مؤيد ومعارض لاســـتخدام المنهج التجريبي** في البحوث الاجتماعية،إلا أننا يجب أن نؤكد على حقيقة هامة هو أن **التجريب** Experimentation هو جزء من المنهج العلمي، فالعلم يســـعى إلى صـــياغة النظريات التي تختبر الفروض التي تتألف منها وتتحقق من مدى صحتها، والتجربة ببساطة هي" **الطريقة التي تختبر بها صحة الفرض العلمي**"[1].

والمنهج التجريبي هو" الذي تتمثل فيه معالم الطريقة العلمية بصـــورة واضـــحة،فهو يبدأ بملاحظة الوقائع الخارجة عن العقل،ويتلوها بالفرض ويتبعها بتحقيق الفرض بواســـطة التجريب،ثم يصـــل عن طريق هذه الخطوات إلى معرفة القوانين التي تحكم الظواهر "، ولذا نعرض في هذا الفصل لعدة قضايا هي:

أولا : أصول المنهج التجريبي :

يعتبر المنهج التجريبي وســـيلـة فعـالـة في كشـــف النقـاب عن كثير من الحقـائق الاجتماعية،وقد عارض مفكرون كثيرون في اســـتخدام هذا المنهج في علم الاجتماع باعتبار أن

---

[1]() ثيودور كابلو : مرجع سابق، ص ١٢٨.

الظواهر الاجتماعية لا تخضع بطبيعتها للتجربة،ولكن علماء الاجتماع شاءوا ألا يحرم هذا العلم من " **المنهج التجريبي** "The Experimental Method،والمنهج التجريبي الموضوعي هو المنهاج **الذي تتضح فيه معالم الطريقة** العلمية في التفكير بصورة جلية، لأنه يتضمن تنظيما بجمع البراهين بطريقة تسمح باختبار الفروض والتحكم في مختلف العوامل التي يمكن أن تؤثر في الظاهرة موضوع الدراسة،والوصول إلى العلاقات بين الأسباب والنتائج، وتمتاز التجربة العلمية بإمكان إعادة إجرائها بواسطة أشخاص آخرين مع الوصول إلى نفس النتائج في حالة اتحاد الظروف [1].

وهناك قاعدة أساسية في العلوم الطبيعية تقول " **أن الأمور المتماثلة تحدث في الظروف المتماثلة** "،ولعل أول من حاول استخدام التفسير المنطقي في مجال البحث التجريبي هو " **جون ستيوارت مل** " والتي تستند تحليلاته إلى طرقه الثلاثة " **طريقة الاتفاق، طريقة الاختلاف، طريقة التلازم في التغير** "، ثم استعار " **دور كايم** " هذه الطريقة واستخدمها في دراسة الظواهر الاجتماعية [2].

ويلاحظ أن الباحث في العلوم الاجتماعية لا تتوافر له في كثير من الحالات الظروف التي تتوفر لزميله في ميدان العلوم الطبيعية، نظرا لشدة تعقد الظواهر التي تكون موضع دراسته في الغالب،وتشابك عدد كبير من العوامل **التي يصعب** ضبطه والتحكم فيها،نظرا لصعوبة التعريف في مادة الدراسة، وهى عادة ما تكون الإنسان نفسه أو الجماعات أو المجتمعات البشرية،يضاف **إلى ذلك النقص** الكبير في دقة وأدوات الملاحظة والقياس.

وهنا يتساءل البعض إذا كان الأمر كذلك، فلماذا يجهد علماء الاجتماع أنفسهم في محاولة استخدام التجارب في ميادين علم الاجتماع ؟،ويرد على ذلك " **لند برج** " بقوله: "

---

[1]() زيدان عبد الباقي : مرجع سابق، ص ٣٢٥.

[2]() عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ٢٨٦.

أنه على الرغم من أن الطريقة التي يتبعها علماء الطبيعة تعتمد اعتمادا كليا على المختبر العلمي وعزل العوامل المختلفة، إلا أن علماء الفلك نظرا لعدم تمكنهم من خلق بيئة مشـــابهة في مختبر، لجأوا إلى تطوير أدوات الملاحظة وأجهزتها التي مكنتهم من التغلب على صعوبة العزل، وبهذا تمكنوا من فهم معظم العوامل المحيطة بالفضاء الجوى [1].

وكذلك **علماء الاجتماع** فإنهم يسـيرون في طريق لا يقل من ناحية الضـبط العلمي عن هذين الأســلوبين من التجريب، ذلك هو **الطريق الإحصــائي**،فإذا لم يتمكنوا من التحكم في الظروف والبيئة،فإنهم يحسبون للتجربة حسابها، وأهم الطرق الإحصائية التي تساعدهم على تحقيق ذلك هي **" اختيار العينات والدلالة الإحصائية والثبات الإحصائي "**.

ومن الرواد الذين اســتخدموا المنهج التجريبي **" فرانســيس بيكون "**، الذي يعتبر زعيم **المدرســة الواقعية** في البحث العلمي،ويشــير إلى ضــرورة تخليص العلم من شــوائبه الدينية،وضــرورة إخضــاعه بكلياته وجزئياته للملاحظة العلمية، وطالب بوجوب قيام العلم على **أساس وضعي** جديد [2].

ويعتبر **" أوجســت كونت "** أول من اســتخدم المنهاج التجريبي في دراســة الظواهر الاجتماعية،فقد كان يفرق بين نوعين من التجريب العلمي الاجتماعي الواقعي لا المصــطنع هما [3]:التجريب المباشــر،التجريب غير المباشــر، وبذلك يرفض "**كونت** "كل تجريب غير واقعي لأنه يراه غير ملائم لدراســة الظواهر الاجتماعية،كما يلاحظ أن **كونت** قد نبه إلى ضرورة استخدام التجربة الاجتماعية،وكان يقصد بها **الحالات الباثولوجية** أي المرضية التي تصيب المجتمع،لأن المجتمع شأنه في ذلك شأن جسم الإنسان عرضة للأمراض التي تنتابه

---

[1]() زيدان عبد الباقي : مرجع سابق، ص ٣٢٦.

[2]() محمود قاسم : المنطق الحديث ومناهج البحث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،١٩٥٣ ، ص ص ١٥١ – ١٥٣.

[3]() أحمد رأفت عبد الجواد : مرجع سابق، ص ٤٢.

من حين لآخر، وهذه الأمراض تتمثل في المشكلات والانحرافات والانقلابات [1].

مع أن **"كونت"** قد نبه إلى أهمية التجارب الاجتماعية إلى أنه ضيق من نطاقها، فليس على الباحثين من سبيل لكي ينتظروا وقوع مشكلات وانحرافات اجتماعية أو ثورات وانقلابات حتى يستطيعوا بفضل دراستها الوصول إلى طائفة من التجارب الاجتماعية في ميدان الإصلاح الاجتماعي.

ولذا يجب أن نوسع من نطاق ميدان **التجربة**، ونعتبر التاريخ الاجتماعي نفسه منهلا لهذه التجارب، فتاريخ النظم وتاريخ التشريع والتطور الاجتماعي وتاريخ الحروب والثورات، هذه المظاهر التاريخية حافلة **بتجارب اجتماعية كثيرة** بمثابة حقل كبير لمثل هذه التجارب، وما زالت هناك حقول **للتجربة الاجتماعية** تتمثل في المجتمعات المتأخرة أو **المتخلفة ثقافيا أو التي تمتاز بالعزلة الاجتماعية**، لأن هذه النماذج تعتبر مرآة صادقة لما كانت عليه المجتمعات المتحضرة قبل تطورها، وفى ضوء دراستها ومقارنتها بالمجتمعات المتحضرة، نستطيع الوصول إلى معلومات تقوم مقام التجربة [2].

ويلجأ الباحثون في الميدان الاجتماعي إلى القيام بتجارب اجتماعية محلية محدودة النطاق تختار لها عينات تتمثل في قرى أو أحياء، فإذا نجحت طبقت على نطاق وا سع و صدرت التشريعات المنظمة لها والتي تلزم الأفراد بما تنطوي عليه [3].

وبعد **كونت** نجد العلامة **"ستيوارت شابن "وهو من أكثر العلماء استخداما** للمنهج التجريبي في دراساته، لا سيما في بحوثه عن الانحراف وفى المشروعات التي وضعها للإصلاح والرعاية الاجتماعية [4].

---

[1] () نفس المرجع السابق : ص ٤٣.

[2] () مصطفى الخشاب : مرجع سابق، ص٢١٧.

[3] () أحمد رأفت عبد الجواد : مرجع سابق، ص ٤٤.

([4]) Chapin.F.S. ،: Experimental Designsin Sociological Research، N.Y.1944 PP.145 - 146.

ثانيا : أنواع التجارب الاجتماعية :

يمكن تصنيف التجارب العلمية التي يمكن تطبيقها في علم الاجتماع إلى ما يلي [1] :

أولا : تجارب صناعية وأخرى طبيعية : فالتجربة الاجتماعية يمكن أن تكون **صناعية** " إذا قام الباحث بالتحكم في جوانب الظاهرة وأمكنه تحديدها وضبط عواملها، ويمكنه أن يعيدها في نفس الظروف وفى أي وقت"،ويمكن أن تكون **طبيعية** " بمعنى ألا يتدخل الباحث في خلق ظروفها، كما في التجربة الصناعية،وإنما يختار الفروض بجمع المعلومات من الظواهر الموجودة في الطبيعة بدلا من اصطناعها،والقائم بهذه التجربة لا يتحكم فيها،ولا يستطيع أن يوجدها في أي وقت يشاء كما هو الحال في النوع الأول ".

ثانيا : تجارب ذات مدى قصير وأخرى ذات مدى طويل : فهناك بعض التجارب التي تحتاج إلى مدى زمني قصير لإجرائها، وهناك تجارب تحتاج إلى مرحلة طويلة من الزمن،فمثلا لو أردنا أن نختبر أثر الدراسة الجامعية على زيادة وعى الطلاب الجامعيين، فإننا لا نستطيع ذلك إلا في مدة طويلة، فإننا لكي نختبر فرضا من هذا النوع لابد من قياس وعى الطلاب قبل التحاقهم بالجامعة،ثم بعد الانتهاء من المرحلة الجامعية،حتى يتسنى لنا الوصول إلى النتيجة.

ثالثا : تجارب تستخدم فيها مجموعة واحدة من الأفراد، وأخرى تستخدم فيها أكثر من مجموعة : يلجأ الباحث في بعض الأحيان إلى استخدام مجموعة واحدة من الأفراد في التجربة،فيقيس اتجاههم بالنسبة لموضوع معين، ثم يدخل **المتغير التجريبي** الذي يرغب في معرفة أثره، وبعد ذلك يقيس اتجاه أفراد المجموعة للمرة الثانية،فإذا وجد أن هناك فروقا جوهرية في نتائج القياس في المرتين وافترض أنها ترجع إلى المتغير التجريبي.

---

[1] () عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ص ٢٨٣ – ٢٨٤.

رابعا :تجارب تبدأ فيها بدراسة السبب،وتجارب تبدأ فيها بدراسة النتيجة : فمثلا إذا أردنا أن ندرس" أثر الإدمان وتعاطى المخدرات في الإصابة بالأمراض النفسية والعقلية "،فإننا نستطيع أن نبدأ بالسبب "الإدمان " فنختار عينتين من الأفراد، إحداهما مدمنة،والأخرى لم يتعاطى أفرادها أية مخدرات في حياتهم،ثم نحسب المصابين بالأمراض النفسية والعقلية **بين أفراد المجموعتين**،ونستطيع أن نبدأ بالنتيجة " الإصابة بالأمراض النفسية والعصبية "، فتختار عينة من مرضى النفوس والعقول،ثم نحسب نسبة المدمنين بين هؤلاء المرضى.

ثالثا : أنواع التصميمات التجريبية :

هناك الكثير من التصميمات التجريبية التي يعتمد عليها الباحث في دراسة العلاقة بين متغيرين كما يلي [1]:

قد يستخدم الباحث التجربة **" القبلية – البعدية "**،وفى هذا النوع من التصميمات يستخدم الباحث مجموعة واحدة، فتقاس أولا بالنسبة للمتغير المعتمد،ثم يدخل الباحث **العامل المستقل " التجريبي "**، وبعد ذلك تقاس نفس المجموعة مرة ثانية بالنسبة للمتغير المعتمد، ويعتبر الفرق في نتيجتي قياس المتغير المعتمد دليلا على أثر العامل المستقل.

أما النموذج التقليدي للأسلوب التجريبي،فيتمثل في **التصميم التجريبي للتجربة البعدية**، وفى هذا التصميم " يتم اختيار مجموعتين متجانستين من المجتمع محل الدراسة،ثم يدخل **الباحث المتغير المستقل على المجموعة التجريبية**، بينما لا يدخل هذا المتغير التجريبي على المجموعة الضابطة، وفى نهاية التجربة يقاس الفرق بين المجموعتين في المتغير المعتمد،ويتم **القياس بعد التجربة** فقط بالنسبة للمجموعتين التجريبية والضابطة.

وتتطلب **التجربة البعدية** تكوين مجموعتين متماثلتين أو متشابهتين في مختلف

---

[1]() طلعت إبراهيم لطفي : أساليب وأدوات البحث الاجتماعي، دار غريب للطباعة، القاهرة ١٩٩٠، ص ٤١.

العوامل فيما عدا المتغير التجريبي،وهناك عدة طرق لاختيار المجموعات المتشـــابهة منها " **طريقة المزاوجة** بين أفراد المجموعتين " وذلك بالتأكد من أن كل فرد في إحدى المجموعتين يتعادل تماما مع فرد آخر في المجموعة الثانية، كما أن هناك" **طريقة المزاوجة بين المجموعات** "، وذلك على أساس تطابق التوزيعات التكرارية للمتغيرات،بالإضافة إلى أنه يمكن تحقيق التشابه بين أفراد المجموعتين عن طريق توزيع الأفراد بطريقة عشوائية على المجموعتين، بحيث يتم تحقيق الفرص المتكافئة لكل فرد من أفراد المجموعتين.

وهنا يجب أن ننوه على بعض الطرق الا ستقرائية التي تصلح أ سا سا للتفكير التجريبي، وقد حدد " **جون ستيوارت ميل** "John Stewart Mill الذي كان له فضل الريادة في بلورة منطق الأسلوب التجريبي في أربعينيات القرن التاسع عشر،فقد وضع "**ميل** "بعض الطرق الاستقرائية التي تصلح أساسا للتفكير التجريبي، وقد حدد بعض الطرق للتحقق من الفروض التجريبية كما يلي (١) [١]:

١- **طريقة الاتفاق** : وتنحصر هذه الطريقة في المقارنة بين أكبر عدد ممكن من الظواهر أو الظروف التي تحتوى بالضرورة على سبب الظاهرة الأولى،ولذا تقوم هذه الطريقة على أساس الاعتراف بأن وجود السبب يؤدى إلى وجود النتيجة، وقد حدد" **ميل** "هذه الطريقة على النحو التالي: " إذا اتفقت حالتان أو أكثر للظاهرات المراد بحثها في ظرف واحد فقط، فهذا الظرف الوحيد الذي تتفق فيه الحالات هو السبب في هذه الظاهرة أو نتيجة لها ".

٢- **طريقة الاختلاف** : تنحصر هذه الطريقة في المقارنة بين حالتين متشابهتين في جميع الظروف ما عدا ظرفا واحدا،بحيث توجد الظاهرة في إحداها ولا توجد في الأخرى،وتعتمد على الفكرة القائلة بأن غياب السبب يؤدى إلى غياب النتيجة، وقد حدد ميل هذه الطريقة على النحو التالي : " إذا اشتركت الحالتان اللتان توجد الظاهرة في إحداهما ولا توجد في

---

[١] ( ) محمد على محمد : البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص ص ٢٠٠ – ٢٠٢.

الأخرى في جميع الظروف ما عدا ظرفا واحدا لا يوجد إلا في الحالة الأولى وحدها، فإن هذا الظرف الوحيد الذي تختلف فيه الحالتان هو نتيجة للظاهرة أو سببها أو جزء ضروري من هذا السبب ".

٣- **طريقة التلازم في التغير :** وقد حدد " **ميل** " هذه الطريقة على النحو التالي : " إن الظاهرة التي تتغير على نحو ما،كلما تغيرت ظاهرة أخرى على نحو خاص، تعد سببا أو نتيجة لهذه الظاهرة، أو مرتبطة بها بنوع من العلاقة السببية "،وهذا يعنى أن البحث هنا يتجه إلى العلاقة الكمية **بين السبب** والنتيجة.

نخلص مما سبق : بأن التجريب هو جزء من المنهج العلمي،كما أنه القدرة على توفير كافة الظروف التي من شأنها أن تجعل ظاهرة معينة ممكنة الحدوث في الإطار الذي رسمه الباحث وحدده بنفسه.

أن الباحث في العلوم الاجتماعية لا تتوافر له في كثير من الحالات تلك الظروف المهيأة للباحث في العلوم الطبيعية،**ولذا يلجأ الباحث في كثير من** الأحيان إلى التجريب الطبيعي،أي إلى تلك الحالات التي تتهيأ فيها **طبيعيا ظروف تيسر** الملاحظة والمقارنة أو القياس،مثل المقارنة بين عدد من **المجتمعات الإنسانية التي** تختلف في بعض المتغيرات الهامة، أو في دراسة ظروف الجماعات في مواقف معينة.

رغم أن " **جون ستيوارت ميل** " كان له فضل الريادة في بلورة منطق الأسلوب التجريب،إلا أنه قد قرر في مرحلة متأخرة من حياته،وأصر على أن التجريب المقنن غير ممكن في العلوم الاجتماعية.

رابعا : مراحل تنفيذ المنهج التجريبي : ومن أهم هذه المراحل [1]:

---

[1] () زيدان عبد الباقي : مرجع سابق، ص ص ٣٣١ – ٣٣٢.

١- **الملاحظة :** يحتاج اختيار الموضـــوع في المنهج التجريبي إلى ملاحظة تبتعد كثيرا عن الأفكار المنزلة " الإلهية"، وكذلك تبتعد عن الأفكار الخاطئة المتواترة عن الأجيال الســابقة، وكذلك تبتعد عن الأوهام التي ترجع إلى اللغة وأســـاليبها، بمعنى أن تكون دلالات الألفاظ والمفاهيم محددة بدقة ومتفق عليها من كل العاملين في البحث،وأن تكون التفسيرات التي تعقب الملاحظة بعيدة عن أوهام المعتقدات أو التفســـيرات التي يتوارثها الناس عبر الأجيال السابقة،وتصبح لديهم بمثابة معتقدات بالرغم من ابتعادها عن العلم، ومن هذه الأوهام،أوهام الجنس البشـــرى التي تؤدى بالباحث إلى التحيز الذي يتعارض مع العلم، مثل توهم الأمريكيين ذوى البشــرة البيضــاء إن مواطنيهم ذوى البشـرة السـوداء كريهي الرائحة ومتخلفى العقول ولا يصلحوا للوظائف الراقية.

٢- **تحديد موضوع البحث :** وهذا يحتاج إلى ا ستخدام الا ستدلال — الذي يعتمد على الملاحظة العلمية في أرقى أشــكالها- الذي يلي الاســتقراء، ويؤكد " **كونت** " اختلاف هذا الاستدلال،عن الاستدلال اللاهوتي الذي يستوحى مصادره من الإيمان.

٣- **تكوين إطار من المعلومات :** أي دراســـة الباحث لكل ما كتب أو قيل حول موضوع البحث.

٤- **جمع البيانات :** وهنا يلجأ الباحث إلى اســتخدام اســتمارات الإســتبار لكي يســتطيع الوقوف على عدم وجود فروق في المتغيرات بين الجماعات التي يتناولها بالدراسة التجريبية،كما يستعين بالتجارب الميدانية لجمع بقية البيانات الضرورية للمقارنات التجريبية.

صفوة القول :

لا أحد يستطيع أن ينكر بأن **المنهج التجريبي** هو ذلك المنهج الذي تتمثل فيه معالم الطريقة العلمية، ومع ذلك يرى البعض أن هناك بعض الصـــعوبات التي تواجه إجراء التجارب الاجتماعية لصـعوبة تحقيق الضـبط التجريبي في المواقف الاجتماعية،كما أنه لا يمكن ضـبط جميع الظروف المؤثرة في الموقف التجريبي هذا بجانب أن التحكم الدقيق في الســـلوك الاجتماعي يؤدى باســـتمرار إلى إيجاد موقف غير طبيعي لا يجعل الأفراد والجماعات

يتصرفون بتلقائية، وغالبا ما يترتب على هذا التحكم نتائج غير سليمة.

ورغم هذه الصـــعوبات التي تواجه التجريب في علم الاجتماع،إلا أنها لا يمكن أن تجعلنا أن نستبعد التجريب كطريقة ممكنة ومتاحة من طرائق البحث.

الفصل الحادي عشر

المنهج الأنثروبولوجي

تمهيد :

من المعروف أن هناك تقاربا شديدا بين **موضوعات العلوم** الاجتماعية، يصاحبه تشابه في المنهج، فإذا قلنا أن **موضوع الأنثربولوجيا** الاجتماعية هو **البناء الاجتماعي** Social Structur، نلاحظ أن موضوع علم الاجتماع هو المجتمع والسلوك الاجتماعي.

ويلاحظ أن هناك مشكلة منهجية تواجه الدراسات الاجتماعية، تتمثل في أن ظروف البحث في ميادين هذه العلوم تشكل متغيرا مركبا أشد التركيب يؤثر تأثيرا مباشرا فيما تخلص إليه البحوث من نتائج، ومن ثم يستخدم مصطلح **" البحث الحقلي "** Field Researc لكي يعنى في الحقيقة موقفا منهجيا محددا وصريحا، يعترف بأن **الباحث الاجتماعي** يلعب دورا رئيسيا في عملية الحصول على البيانات.

ويرتبط مصطلح **البحث الحقلي** بأداة بحث هي **"الملاحظة بالمشاركة"** Participant Observation التي تستخدم كأداة رئيسية في البحث الأنثروبولوجي، فعن طريقها استطاع الأنثروبولوجيون جمع تراث هائل حول مختلف الثقافات والمجتمعات، وأصبحت تشكل لب المنهج الأنثروبولوجي في الدراسة الحقلية.

وتقتضي طريقة **الملاحظة بالمشاركة** من الباحث أن يقيم فترة كافية من الزمان في المجتمع محل الدراسة، يستطيع **معها أن يتعرف على الوظائف المختلفة** التي تؤديها النظم الاجتماعية أو العناصر الثقافية ويعتقد الأنثروبولوجيون أن هذه الطريقة تمكن الباحث من جمع أكبر قدر من البيانات والمعلومات، ووصف الحياة الاجتماعية والثقافية وصفا تفصيليا دقيقا يستطيع الباحث **بعده أن يكتب** تقريرا مفصلا ومتكاملا عن هذا المجتمع، أو تلك الثقافة التي يقوم بدراستها.

ومن هذا المنطلق نسلط الضوء على عدة قضايا متعلقة بالمنهج الأنثروبولوجي كما يلي :

أولا : المنهج الأنثروبولوجي تاريخيا :

يرى البعض أن **هناك كتابات ركزت على العلاقة** بين التاريخ والأنثربولوجيا وطرحت مجموعة من التساؤلات منها، ما هي الأنثربولوجيا إن لم تكن تاريخيا ؟ وهل الموضوع الذي

تدرسه الأنثربولوجيا يمكن معالجته بمناهج العلوم ؟، كما طرحت أسئلة أخرى حول استخدام التاريخ في الدراسات الأنثروبولوجية، وهنا يمكن أن يشير التاريخ إلى أشياء مختلفة، فهو يعنى كل ما يستطيع الأنثروبولوجي أن يكشفه عن ماضي الشعوب التي يدرسها، وكذلك ما يتعلمه من كتابات المؤرخين حول النظم الاجتماعية، وهل يمكن أن يستخدم مناهج البحث التاريخي في دراسة المجتمعات التي لا تتوافر عنها سجلات مكتوبة ؟ [1].

في عام ١٨٧٨ كتب " هربرت سبنسر " H.Spencer يقول : " إن القصص أو السير بالنسبة للأنثربولوجيا تماثل التاريخ بالنسبة لعلم الاجتماع "، كذلك كتب " ميتلند " F.W.Maitland [2] عام ١٨٩٩ يقول: " يجب على الأنثربولوجيا أن تختار بين أن تكون تاريخ، أو لا تصبح شيئا على الإطلاق، وكان "ميتلند "من المهتمين بالمراحل المتتابعة التي يمر بها المجتمع البشرى.

يرى بعض الأنثروبولوجيين أن الأنثربولوجيا تدرس أنساق طبيعية تخضع لقوانين اجتماعية يمكن اكتشافها والتوصل إليها عن طريق الملاحظة والاستقراء ثم استخلاص التعميمات، ويعتبر "راد كليف براون "من أنصار هذا الفريق، في حين يرى آخرون أن المجتمعات أنساق أخلاقية، وبالتالي لا نستطيع أن نكشف بصددها قوانين تماثل في صدقها القوانين الطبيعية، ولهذا فإن الأنثربولوجيا هي نوع من الدراسات الإنسانية التاريخية، أكثر من كونها علم بالمعنى الذي يطلق على العلوم الطبيعية والحيوية ومن أنصار هذا الاتجاه "ايفانز بريتشارد" [3].

يرى " بريتشارد " أن الأنثربولوجيا الاجتماعية لم تصل حتى الآن إلى شيء يشبه ولو

---

[1] () محمد عبده محجوب : مقدمة في الاتجاه السوسيو أنثروبولوجي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٧، ص ١٤٠.

[2] () محمد على محمد : البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٢٦٢.

[3] () Mair,L. : An Introduction to social Anthropology, Oxford University Press, 1965 ,p. 35.

من بعيد قوانين العلوم الطبيعية،لذلك يحق لنا أن نتشكك فيما إذا كانت الأنساق الاجتماعية هل هي في حقيقتها أنساق طبيعية على الإطلاق، ولذا فالأنثربولوجيا لا تهتم بالعمليات قدر اهتمامها بالأشكال، وتسعى إلى اكتشاف الأنماط لا القوانين،وتدلل على الأنساق بدلا من العلاقات بين الأنشطة الاجتماعية،كما أنها تحاول التأويل أكثر من التفسير،وهذا **الاتجاه يماثل الاتجاه** التاريخي أكثر مما يقترب من تصور العلم [١].

أكد" **فورتس** "Fortes أن التعميمات التي **أمكن صياغتها في** الأنثربولوجيا الاجتماعية سوف تظل صادقة بغض النظر عن الزمان والمكان، بينما يستهدف التاريخ إقامة تتابعات محددة بعد دراسة أزمنة وأمكنة معينة بالذات في الماضي، ومع ذلك نبه فورتس إلى أن المؤرخين أنفسهم لا يستطيعون ترتيب معلوماتهم،إلا بعد افتراض وجود اتجاهات أو ميول عامة من نوع معين بالذات [٢].

أما" **ليفى ستروس**" Levi Strauss ينظر إلى التاريخ والأنثربولوجيا على أنهما يشتركان في أصل واحد،فهو يذهب مع المؤرخين إلى أن **معرفة الماضي** تعتبر ضرورية لفهم أية ظاهرة اجتماعية، كما أنه يقرر مع الأنثروبولوجيين بأن تتبع تاريخ المجتمع **يمكننا من تحديد** ما هو دائم في البناء الاجتماعي،وهذا يعنى أن " **ليفى ستروس**" يعترف بضرورة التعاون بين المؤرخين وعلماء الأنثربولوجيا [٣].

في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بدأ الأنثروبولوجيون أن يبحثوا بأنفسهم عن البيا نات التي تحتاج إليها دراساتهم بدلا من الاعتماد على كتب الرحالة،فقام " **فرانز بواس** " F.Boas بدراسات بين الإسكيمو بين عامي ١٨٨٣ – ١٨٨٤، ثم قام في إنجلترا "**هادون**" بدراسة منطقة " **مضايق توريس** " في المحيط الهادي بين عامي ١٨٩٨ – ١٨٩٩ وكانت هذه الدراسة بمثابة علامة **مميزة في تشكيل**

---

(١) محمد على محمد : البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٢٦٣.

(٢) محمد عبده محجوب : مرجع سابق،ص ١٤٤.

(٣) محمد على محمد : البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٢٦٤.

الأنثربولوجيا كعلم يحتاج إلى التخصص والتفرغ،ويعتمد على الخبرة الحقلية باعتبارها عنصرا جوهريا في تمرين الطلاب والدارسين لهذا العلم [1].

أما **" مالينوفسكى "** فقد قام بدراسة لسكان جزيرة التروبرياند أمضى فيها أربع سنوات بدءا من عام ١٩١٤ إلى عام ١٩١٨ ،ويعتبر مالينوفسكى هو أول من أدخل لغة الأهالي في **إجراء البحث،وأول من عاش مع الأهالي وبطريقتهم** الخاصة طيلة مدة الدراسة، وترجه أهمية دراسات **مالينوفسكى** الحقلية أنها أكدت أن فهم الحياة الاجتماعية لدى شعب من الشعوب البدائية لن يتحقق إلا إذا قام بدراسة مركزة [2].

أما **علماء الأنثربولوجيا الاجتماعية المعاصرين** يرون أن الدراسات التفصيلية المركزة التي تقوم على **الملاحظة** تستطيع إذا أجريت على عدد معين من المجتمعات بقصد حل بعض المشكلات أن تكشف لهم عن طبيعة المجتمع البشرى ما لا تكشفه التعميمات الواسعة الفضفاضة التي كان العلماء السابقون يقيمونها على أساس قراءاتهم الواسعة،والنتيجة من ذلك كله أننا نعرف بعض الحقائق المؤكدة عن البدائيين [3].

نخلص مما سبق إلى أن الدراسة الحقلية لا غنى عنها للباحث الاجتماعي،فهناك بعض الداسات لا يصلح معها إلا استخدام المنهج الأنثروبولوجي، وقد اتضح ذلك **من خلال آراء علماء الأنثربولوجيا الاحتماعية،ومن هنا تميزت الدراسات** الحقلية بالموضوعية والواقعية.

ثانيا : خطوات المنهج الأنثروبولوجي :

يلاحظ أن علماء الأنثربولوجيا استعانوا بأكثر من طريقة أو منهج واحد للبحث، فالكتابات الأنثروبولوجية خلال القرن التاسع عشر كانت تستخدم "طريقة

---

[1]() عاطف وصفى : الأنثربولوجيا الاجتماعية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٣٩.

[2]() أحمد أبو زيد : الطريقة الأنثروبولوجية في دراسة المجتمع،حوليات كلية الآداب،كلية الآداب،جامعة الإسكندرية، المجلد العاشر،١٩٥٦، ص ٤٣.

([3]) محمد على محمد : البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص ١٤١.

المقارنة ،والطريقة التاريخية "،فنادى **هربرت سبنسر** بالطريقة المقارنة،التي تتمثل في جمع أكبر قدر ممكن من **العادات والأفكار في مناطق متفرقة** وخلال فترات مختلفة، واستخدم **" جيمس فريزر" " المنهج المقارن "** في الحصول على بيانات عن بعض الشعائر والطقوس والعادات الجمعية.

يمكن القول بأن الدراسات التي أجريت في القرن التاسع عشر كانت تصطبغ بصبغة وصفية بحتة، أي أنها كانت تهتم بجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات حول الموضوعات المختلفة،ثم تحاول إعادة تصـــنيفها وترتيبها وتبويبها،دون أن تكون هناك نظرية اجتماعية توجه تلك الدراسة [1].

من خلال تلك **الطرق التي كان يتبعها الأنثروبولوجيون وجهت إليهم انتقادات**،ولذا كان لزاما عليهم أن يحصـــر الباحث نطاق اهتمامه بمجتمع واحد أو ثقافة واحدة يركز على دراستها دراسة متعمقة مع مراعاة أن يكون **موجها بإطار نظري** محدد وواضح منذ البداية،كما يجب أن تكون دراســـته **موجهة بفرض،أو مجموعة** من الفروض العلمية التي تعتبر من أهم العناصر التي تؤدى إلى نجاح الدراسة الحقلية.

يرى البعض أن **الدراســة التكاملية** Integerative Study في الأنثربولوجيا لن تتحقق إلا إذا اتصل الباحث اتصالا مباشرا وثيقا بالمجتمع أو الثقافة التي يتناولها، وهذا ما يعرف **بالدراســـة الحقلية**Field Study، أي أن الباحث عليه أن يعايش المجتمع، ويلاحظ نظمه ملاحظة مباشـــرة ودقيقة، وهذا لا يمنع بالطبع من الاســـتعانة بالكتابات الأخرى التي قد تتناول ذلك المجتمع أو تصـور ثقافته أو تاريخه،ومن هنا بدأ الاعتماد على الملاحظة العلمية المنظمة بدلا من كتب الرحالة والمبشـــرين الذين كانت تنقصـــهم الخبرة والمران الكافيان لضبط الملاحظة.

---

[1]() عبد الحميد محمود سعد : مرجع سابق، ص ٧٩.

هذا ويمكن القول أن **الدراسة الحقلية تعتمد على عدة خطوات أساسية** هي [1] :

١- اختيار الوحدة الاجتماعية أو المجتمع الذي سيقوم الباحث بدراسته : تختلف العوامل التي تحدد المنطقة التي ستجرى عليها الدراسة باختلاف الأنثروبولوجيين، ولكن الشيء المتفق عليه أنه يجب أن يحصر الأنثروبولوجيون دراساتهم في المجتمعات المحلية الصغيرة المحدودة والمنعزلة نسبيا بدلا من دراسة مجتمعات كبرى يصعب تمييز معالمها وحدودها **وتتبع نظمها الاجتماعية** وإدراك العلاقات المتبادلة بينها.

وفى هذه المرحلة يجب أن نشير إلى الصعوبة التي تواجه تحديد أو تعيين الوحدة الاجتماعية المدروسة، فمن الضروري **قبل أن نقصر دراستنا على قرية واحدة**، يجب **على الباحث الأنثروبولوجي التأكد من طبيعة العلاقات بين القرى المحيطة** بالقرية موضوع الدراسة، كما **يجب على الباحث الأنثروبولوجي حينما يقوم بدراسة** مجتمعا قرويا يجب أن يأخذ في اعتباره أن ثقافة هذه القرية هي ثقافة جزئية، تنتمي إلى ثقافة أكبر وأشمل هي ثقافة المجتمع الكبير ككل، وإغفال العلاقة بين الثقافتين قد يؤدى إلى تشويه نتائج الدراسة.

٢- أن يضع الباحث خطة البحث بصورة واضحة ودقيقة : وتشمل خطة البحث الإجابة على التساؤلات التالية: ما الذي يريد الباحث **أن يقوم به بالفعل** ؟، وكيف سيحقق أغراضه ؟، وما هي الدراسات التي تنتمي إلى نوع دراسته وأجريت قبل ذلك ؟، وماهى الاعتمادات المخصصة للبحث ؟ وماهى الفترة التي سيقضيها الباحث في دراسته ؟.

٣- مناقشة خطة البحث : فمن الضروري أن يجرى الباحث الأنثروبولوجي حوارا مع غيره من الأنثروبولوجيين حول مشروع بحثه، وبخاصة **الذين تخصصوا** منهم في المنطقة التي يزمع دراستها، وهذا الحوار سوف يمكنه من تقييم خطة البحث وصياغتها في صورتها النهائية، إذ قد يمكنه اتصاله بغيره من الدارسين من الحصول على معلومات غير منشورة عن

---

[1] () عاطف وصفى : مرجع سابق، ص ص ١٤٤ – ١٤٦.

منطقة البحث، **ويساعدونه في الدخول** إلى المجتمع وتقديمه للمسئولين عنه، أو تزويده ببعض الإحصاءات والصور الفوتوغرافية، وغير ذلك من المواد التي يستفيد منها في بحثه.

٤- **دخول الأنثروبولوجي إلى المجتمع الذي اختاره واندماجه فيه مع الأهالي :** وذلك من أجل الحصول على المعلومات اللازمة للدراسة، **وهنا يجب على الباحث** أن يتصل بالمسئولين الرسميين عن هذا المجتمع، وأن يوضح لهم الهدف من دراسته، حتى يعاونوه على إتمام دراسته، فبوسعهم أن يطلعوه على الوثائق والمعلومات المتاحة لديهم عن منطقة الدراسة، وأن يوضحوا للباحث طبيعة الثقافة السائدة فيها، وكذلك عن البناء السياسي المحلى، وكل هذه المعلومات تجنب الباحث الكثير من الصعوبات.

وفى هذه المرحلة يجب على الباحث **مراعاة الآتي :**

١- أثناء إقامته بمنطقة الدراسة يجب **أن يتعلم لغة الأهالي**، **حتى يتعرف** على ثقافتهم ونظمهم الاجتماعية، **وهذا الأمر يزيد الألفة بينه وبين سكان المجتمع.**

٢- في بداية اتصاله بالمجتمع المراد دراسته، و لابد **وأن يستعين ببعض المرشدين أو الإخباريين** الذين يكونون في العادة **من سكان المجتمع الأصلي**، ويقومون بدور أساسي يتمثل في **تقديم المجتمع للباحث وتعريفة بمختلف ظواهره**، كما يكون لهم دور في تعليم الأنثروبولوجي لغة الأهالي، ورغم **أهمية** الإخباريين للباحث، إلا أنه يجب أن يضع في اعتباره أن يتحقق بنفسه من كل ما يذكر أو يقال له، ومن ثم فإنه يتخذ من الإخباريين مدخلا للاندماج **في المجتمع والتعرف** عليه.

٥- **وضع خريطة تفصيلية للمجتمع :** في هذه المرحلة **وخلال الأسابيع الأولى** من الإقامة في المجتمع يقوم الباحث بما يلي :

١- وضع خطة تفصيلية للمجتمع، وحصر الأسر المقيمة فيه، ومعرفة التكنولوجيا السائدة، وبعض الحالات الاجتماعية، عمل قوائم الأنساب، حصر تعداد الأسر وتصنيفها وفقا للعمر والنوع والعلاقات القرابية، وحساب **معدلات المواليد والوفيات**، وهذه البيانات السابقة تسهم في دراسة السكان والهجرة في المجتمع.

٢- التعرف على الثقافة المادية السائدة في المجتمع ،حتى يستطيع فهم الكثير من أنماط السلوك الملاحظة خلال مرحلة مبكرة من البحث، ويعتبر جمع سلسلة الأنساب ضروريا أيضا لفهم **البناء الاجتماعي للمجتمع وشبكة العلاقات الاجتماعية** بين العائلات المختلفة.

٣- أن يضع الباحث برنامجا يوميا لإجراء دراسته ،ويعتمد **هذا البرنامج اليومي** على، طبيعة الدراسة ذاتها ، وأسلوب الحياة المحلية.

٤- يجب أن يراعى الباحث، أنه في حالة الاهتمام بدراسة الثقافة الكلية في مجتمع محلى معين أو دراسة البناء الاجتماعي ككل،أن يختار مناطق معينة من المجتمع المحلى لإجراء ملاحظة متعمقة **ومقابلات** مع الأهالي المقيمين فيها، فالبيوت المحيطة بمكان إقامة الباحث يمكن أن تشكل وحدة أخرى عديدة من المجتمع باعتبارها وحدات اجتماعية ثانوية للدراسة ،وتسمح هذه الوحدات بوضع الأساس الذي نحتكم إليه في تحديد صحة المعلومات التي حصل عليها الباحث من الوحدات الاجتماعية الأولية ،كما تساعد على **دراسة التباين الثقافي** في المجتمع المحلى ،على أن تحديد المناطق المختلفة التي سيقسم إليها المجتمع للملاحظة والمقابلة ،يعد شرطا **أساسيا للبحث المنظم**،ومحكا أساسيا لدقة النتائج.

نخلص مما سبق :أن الدراسة الأنثروبولوجية الحقلية تحتاج من الباحث فترة كافية من الزمن يستطيع معها أن يتغلغل في الثقافة التي يدرسها، وأن يتعمق في فهم الوظائف المختلفة للنظم والظواهر الاجتماعية، ومن المتفق عليه ألا تقل هذه الفترة عن سنة كاملة ،بحيث يعيش الباحث"دورة الحياة "مكتملة للمجتمع يلاحظ خلالها ويسجل كل **مظاهر الحياة الاجتماعية**،**والنشاط الاجتماعي** السائد في المجتمع.

ولكن المدة التي يقضيها الباحث في المجتمع المراد دراسته ،تتوقف على **الأهداف** التي يسعى إليها الباحث من دراسته، **وطبيعة المجتمع** الذي اختاره، واستعداد الأهالي للاستجابة ،ومدى تقبلهم للغرباء الذين يأتون إلى مجتمعهم، ونوع العادات والتقاليد السائدة عندهم ،ومدى صعوبة اللغة التي يستخدمونها في حياتهم اليومية.

ثالثا : وسائل جمع البيانات :

هناك وسائل فنية عديدة يستخدمها الأنثروبولوجيون في جمع معلوماتهم الاجتماعية والثقافية وتضم هذه الوسائل **" ملاحظة السلوك، إجراء مقابلات مع الأشخاص حول أنماط السلوك، التسجيل المنظم للبيانات باستخدام المذكرات الخاصة، الصور الفوتوغرافية، الخرائط، جمع الأشياء المادية ".**

وتعتبر **" الملاحظة المشاركة "**[1] هي الوسيلة الرئيسية التي يعتمد عليها الباحث في دراسته الحقلية، وفى هذا الصدد يقدمان **" شوارتز وشوارتز"** Schwartz and Schwartz تعريفا لها بقولهما: " **نستطيع تعريف الملاحظة المشاركة بوصفها "عملية تواجد للملاحظ في موقف اجتماعي بهدف إجراء بحث علمي** "، فالقائم بالملاحظة يكون في علاقة مواجهة مباشرة مع المبحوثين، وهو من خلال مشاركتهم شفى حياتهم الطبيعية يستطيع أن يجمع المعلومات التي يحتاج إليها في دراسته، وهكذا يكون الباحث جزءا من السياق الذي يلاحظه وهو يتأثر بهذا السياق فيكيف موقفه تبعا للظروف التي تواجهه.

والواقع أن معظم الدراسات التي تناولت **الملاحظة المشاركة** تؤكد على ضرورة قبول الباحث من المبحوثين، أو سكان المجتمع الذي يقوم بدراستهم، واقترح" **بافورد جنكر** " B.Junker أربعة أدوار ممكنة بالنسبة للباحث الاجتماعي الذي يقوم بإجراء دراسة حقلية، وتبدأ **هذه الأدوار من المشاركة الكاملة** وتنتهي بالملاحظة، وبين هذين الطرفين تندرج **أنواع مختلفة من المشاركة والملاحظة**، فلدينا " **مشارك ملاحظ** " **Participant As Observer**، ثم لدينا " **ملاحظ يبدو مشاركا** " **Oserver As Participant**[1][2]:

١- إن الهدف الخالص من المشاركة الكاملة في البحث الحقلي لا تكون معروفة لأولئك الذين

---

[1]() ايفانز بريتشارد : الأنثربولوجيا الاجتماعية، ترجمة أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٤، ص ص ١٠٣ – ١٠٤.

[2]() محمد على محمد : البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٢٨٢.

يقوم الباحث المشارك **مشاركة كاملة بملاحظة سلوكهم** وأنماط حياتهم الاجتماعية، فهو يتفاعل معهم تفاعلا طبيعيا كلما كان ذلك في وسعه في كل مجال من مجالات حياتهم ويحاول أن يؤدى يوميا أدوار اجتماعية متعددة.

٢- وحينما يبدو المشارك ملاحظا، فإن الدور هنا مختلف تماما، ذلك أن الباحث الحقلي والإخباري الذي يستعين به كلاهما على علم تماما بأنه توجد بينهما علاقة ميدانية، وهذا الوعي المشترك يساعد في التغلب على الكثير من الصعوبات التي قد تظهر في حالات المشاركة الكاملة.

٣- أما الطريقة الثالثة، وهى الملاحظ الذي يبدو **مشاركا فهي تستخدم في البحوث** التي يقوم فيها الباحث بزيارة مخصصة لعقد عدد من المقابلات، وهى زيارة تستدعى القيام بملاحظات رسمية أكثر من **الملاحظات غير الرسمية، وهذه الطريقة** قد تعرض الباحث للوقوع في الخطأ لسوء فهمه **لبعض جوانب الحياة الاجتماعية** التي يلاحظها، نظرا لأن احتكاكه بالإخباريين يكون محدودا في الغالب.

٤- وهناك دور الملاحظ فقط، الذي لا يستدعى **بالضرورة الاتصال بالإخباريين** والذي يحاول الباحث بمقتضاه أن يلاحظ الناس على نحو لا **يجعلهم يلتفتون إليه** بالضرورة، إذ ليس هناك ما يدعو لأن يعرف الناس أنهم موضع ملاحظة، وهذه الطريقة لا تكفى لوحدها في البحث الحقلي.

وحدد **" هوارد بيكر "** H.Becker أربعة مراحل رئيسية يقوم بها الباحث الذي يستخدم طريقة الملاحظة المشاركة وهى [1]:

١- اختيار المشكلات والمفاهيم والمؤشرات وتعريفها.

٢- تقدير توزيع وتكرار الظواهر موضوع البحث.

٣- وضع النتائج الفردية داخل نموذج ملائم للتنظيم محل البحث.

---

[1]() محمد عبده محجوب : مرجع سابق، ص ١٤٧.

٤- مشكلات الاستدلال والبرهان.

نخلص مما سبق : أن الملاحظة المشاركة من أهم أدوات جمع البيانات في الدراسات الحقلية، ولذا يجب أن يدرك الباحث معاني السلوك الذي يصدر عن الأشخاص الذين يتناولهم البحث، وفى نفس الوقت عليه أن يعزل مصالحه واهتماماته الخاصة بعيدا عن مسرح الأحداث، كما يجب عليه أن يفسر سلوك الأشخاص الذين يلاحظهم وفقا للمعاني التي تسود في حياتهم اليومية، كما عليه أن يكون لديه تصورا نظريا يأخذ في اعتباره قيم واتجاهات **ومعاني** السلوك الذي يلاحظه على نحو يسمح له بعقد صلات شخصية متبادلة مع الأشخاص والجماعات التي يدرسها.

من خلال هذا العرض يجب أن نؤكد، أنه يجب على الباحث الحقلي أن يصوغ **بوضوح كامل ما يسعى إلى إنجازه في بحثه**، على أن يكون واعيا بالصعوبات والمشكلات المنهجية التي تثيرها طريقته في البحث، فإن عليه أن يحدد الأسس التي ترتكز عليها استنتاجاته ، ولذا وجب على الباحث أن يضع أمام عينيه ما يلي :

أولا : أن يصوغ بكل وضوح ما يسعى إلى تحقيقه في بحثه، وأن يستكشف بعض القضايا النظرية العامة ويختبر بعض الفروض، وأن يضع خريطة **تقريبية للبحوث** المقبلة.

ثانيا : أن أية معلومات إضافية يمكن الحصول عليها بحيث تسهم في توجيه أو تطوير أو تنمية البحث الحقلي يتعين **أن يستكملها** الباحث مباشرة، ويتضمن ذلك دراسة **وتلخيص التراث ومراجعة المصادر** ذات الصلة بمشكلة البحث، وذلك بجانب المعلومات التفصيلية التي يحصل عليها الباحث من الميدان.

ثالثا : يجب أن يحدد الباحث الإجراءات التي **تناسب أهداف بحثه، مثل صياغة** بعض الأسئلة التي توجه إلى المبحوثين، وتحديد نوعية الصلات التي يتعين عقدها مع جمهور البحث، واستكمال البيانات الكمية التي يمكن **أن تكون جاهزة** أو التي يعدها الباحث بنفسه.

الباب الثالث

أدوات جمع البيانات

تمهيد :

بمجرد الانتهاء من **مرحلة إعداد البحث يبدأ الباحث** في عملية جمع البيانات والتي تعتبر من أهم خطوات البحث، فيرى المشـــتغلون بمناهج البحث أن دقة نتائج البحث وتحقيقه لأهدافه، يعتمد على الاختيار الرشيد لأنسب الأدوات الملائمة للحصول على المعلومات.

والأداة هي ترجمة للكلمة الإنجليزية Technique، وللكلمة نظائرها في مختلف اللغات،استخدمها الباحثون للإشارة إلى الوسيلة التي من خلالها يمكن للباحث الحصول **على بياناته من مجتمع** البحث،سـواء كانت تلك الوسـائل متعلقة بجمع البيانات،أو بعمليات التصنيف والجدولة،ويرتبط مفهوم الوسيلة أو الأداة بالكلمة الاستفهامية بم ؟، فإذا تساءلنا **بم يجمع الباحث بياناته ؟** فإن الإجابة على ذلك تســـتلزم **تحديد نوع الأداة اللازمة للدراسة** [1].

وهناك بعض الاعتبارات التي يضـــعها الباحث في اعتباره عند اختياره للأداة التي يراها مناسبة لجمع البيانات، ومن هذه الاعتبارات [2]:

١- أن تكون تلك الأداة محققة لأهداف البحث أكثر من غيرها.

٢- مدى ملائمة هذه الأدوات لدراسة المشكلة موضوع البحث.

٣- مدى تحيز الباحث لاســـتخدام أحد الأســـلوبين" الكمي أو الكيفي "، أو الجمع بين الأسلوبين، بهدف زيادة توضيح الرؤية وتعميق النظرة الشمولية، الأمر الذي يساعد على دقة التحليل وضبط التفسير.

٤- نجد أن بعض أدوات البحث تصلح **في بعض المواقف والأبحاث عنها في غيرها**،فمثلا يفضل بشـكل عام اسـتخدام المقابلة والاسـتبيان عندما يكون نوع المعلومات اللازمة له اتصـال وثيق بعقائد الأفراد أو بشعورهم أو باتجاهاتهم نحو موضوع معين،وتفضل الملاحظة المباشرة عند جمع معلومات تتصـل بسـلوك الأفراد الفعلي في بعض المواقف الواقعية في الحياة والتي يمكن

---

[1] () عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ٣٠٧.

[2] () حسن الساعاتي : تصميم البحوث الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢، ص ١٩٦.

ملاحظتها دون عناء كبير أو يمكن تكرارها بدون جهد، وتفيد الاختبارات السوسيومترية في دراسة أنواع معينة من السلوك الاجتماعي، كما تفيد الوثائق والسجلات في إعطائنا المعلومات اللازمة عن الماضي.

٥- يتم اختيار الأدوات المختلفة لجمع البيانات في ضوء كفاءتها في الوظيفة التي اختيرت لها، ويتوقف ذلك على مهارة الباحث في اختياره للأداة التي تخدم أغراض دراسته.

هذا وقد يعتمد الباحث على أداة واحدة لجمع البيانات، وقد يعتمد على أكثر من أداة أو وسيلة،فيجمع بين طريقتين أو أكثر من طرق جمع البيانات، حتى يدرس الظاهرة من جميع نواحيها، وليكشف عن طبيعتها بدقة ونجاح، فقد يقتضي البحث مثلا المقارنة بين ما يقوله الناس وبين ما يفعلونه،وفى هذه الحالة يتعين على الباحث الاستعانة بالاستبيان أو المقابلة،بالإضافة إلى الملاحظة.

تجدر الإشارة إلى أن الباحثين قد يفضلون أحيانا استخدام أداة معينة من أدوات جمع البيانات،فمثلا يفضل علماء السكان الاعتماد على الا ستبيان ويفضل الأنثروبولوجيون الاعتماد على الملاحظة، وخاصة الملاحظة بالمشاركة، ويفضل علماء التاريخ استخدام البيانات المتاحة.

يرى المشتغلون بمناهج البحث أنه يفضل أن يستعين الباحث بأكثر من أداة لدراسة الظاهرة موضوع الدراسة، والكشف عن أبعادها المتنوعة، حيث تتنوع الأدوات في البحث الاجتماعي بتنوع واختلاف طبيعة المعلومات المطلوبة ومصادرها،وباختلاف طبيعة المجتمع، والظاهرة الاجتماعية موضوع الدراسة، بجانب خبرات الباحث وثقافته.

ومن هذا المنطلق نعرض هنا لأهم **أدوات جمع البيانات** كما يلي :

أولا : الملاحظة.

ثانيا : المقابلة .

ثالثا : الاستبيان.

الفصل الثانى عشر

الملاحظة

تمهيد :

تعتبر **الملاحظة** وسيلة هامة من وسائل جمع البيانات، بل يمكن القول أن هناك أنماط من الفعل الاجتماعي لا يمكن فهمها فهما حقيقيا إلا من خلال مشاهدتها مشاهدة حقيقية ،**كما أنه من الصعب تصور دراسة جادة للسلوك الاجتماعي** لا تلعب فيها الملاحظة دورا هاما، فالعلم يبدأ بالملاحظة، ثم يعود إليها مرة أخرى لكي يتحقق من صحة النتائج التي توصل إليها.

ومما يزيد من أهمية الملاحظة **أنها يمكن أن تستخدم** في جميع أنواع البحوث الاجتماعية **"الكشفية، الوصفية، التجريبية "**،وقد لجأت إليها الشعوب البدائية كما تلجأ إليها الشعوب المتحضرة لجمع المعلومات عن الأشياء والمواقف المحيطة بهم.

وفى العصر الحديث كان **لعلماء الأنثربولوجيا** دورا كبيرا في توجيه أنظار الباحثين لأهمية الملاحظة كأداة هامة لجمع البيانات،فمثلا قامت"**مار جريت ميد** " M.Mead بدراسة عدد من الثقافات في المجتمعات غير الغربية عن طريق المشاهدة والملاحظة **لسلوك الأفراد أثناء قيامهم بأنشطتهم المختلفة**،أما **علماء الاجتماع** فقد ا ستخدموا الملاحظة بنجاح في درا سة المجتمعات الغربية، فقام **" إيرفنج جوفمان"** E. Goffman بمحاولة فهم السلوك الاجتماعي داخل أحد مستشفيات **الأمراض العقلية** الحضرية عن طريق الملاحظات،ولاحظ السلوك الاجتماعي للعاملين والنزلاء داخل المستشفى، واستدل من ملاحظاته على أن المرض العقلي يعد أحد الأدوار الاجتماعية، وأن مستشفى الأمراض العقلية هي المكان الذي يتعلم فيه الناس أنماط السلوك الملائم لهذا الدور [1]

وقام "**روبرت لند**" R.Lynd،" **هيلين لند** "H.Lynd باستخدام الملاحظة بالمشاركة لجمع البيانات **عن جميع الجوانب الأساسية للحياة الاجتماعية في أحد المجتمعات**

([1]) James.w.vanderzanden, : The social experience,New York,Mcg Raw,Hill.publishing company,1990. p51.

المحلية الأمريكية،وذلك بالإضافة إلى الاستعانة ببعض أدوات جمع البيانات الأخرى مثل " إجراء المقابلات،والاستبيانات،وتحليل الوثائق والسجلات " [1].

أولا : ماهية الملاحظة وأهميتها :

يشير لفظ **الملاحظة** Observationلغويا إلى المعاينة المباشرة للشيء أو مشاهدته على النحو الذي هو عليه، وفى مجال البحث العلمي تعرف " **بأنها المعاينة المباشرة للظاهرة** "، وفى مجال البحث الاجتماعي تعنى الملاحظة " **المشاهدة أو المعاينة المباشرة للموقف الاجتماعي وأشكال السلوك أو أنماط التفاعل** "[2].

وتعتبر الملاحظة هي أحد أركان العملية العلمية،ولذا يعرفها بعض علماء المناهج **على" أنها المشاهدة الدقيقة لظاهرة ما،مع الاستعانة بأساليب البحث والدراسة التي تتلائم مع طبيعة هذه الظاهرة "، وتعرفها** " بولين يونج " **"بأنها رؤية منظمة ممزوجة بالاهتمام بالظواهر الخاضعة للملاحظة،وأن الاهتمام يجب أن يتجه نحو وحدة النشاط الكبرى والتي تحدث فيها الظواهر الخاصة والخاضعة للملاحظة "**[3].

وهناك فارق بين الملاحظة السريعة **العابرة** التي يقوم بها الإنسان في حياته العادية، وبين الملاحظة **العلمية** التي تمثل محاولة منهجية يقوم بها الباحث بدقة وعناية للكشف عن تفاصيل الظواهر،وبالتالي تصبح مصدرا أساسيا من مصادر الحصول على البيانات،بل إن البعض ذهب إلى حد اعتبارها منهجا مستقلا من مناهج البحث العلمي.

---

(1) ثيودور كابلو : مرجع سابق ، ص ٢٣٠.

(2) على عبد الرازق جلبي وآخرون : البحث العلمي الاجتماعي،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص ٢٤٥.

(3) P.Young : OP.cit.p.124.

وتتضح **أهمية الملاحظة** في الآتي [1]:

١- تخدم الملاحظة الكثير من أهداف البحوث، فيمكن استخدامها في استكشاف بعض الظواهر، أو الاستبصار بسلوك معين.

٢- أنها تلقى الضوء على البيانات الكمية، فتضيف إليها بعدا كيفيا نوعيا يمنحها معنا خاصا، وهى تمثل في هذه الحالة محكا خارجيا يمكن الاحتكام إليه في مدى التثبت من مدى صدق البيانات، كما أنها تعطينا صورة واقعية للظواهر التي تتناولها.

٣- يمكن القيام بالملاحظة في المواقف الطبيعية، دون اصطناع ظروف معينة، مثل الملاحظات التي قام بها الباحثون في التنظيمات الصناعية لدراسة سلوك جماعات العمل أثناء تأدية أعمالهم، وتسجيل شبكة العلاقات الاجتماعية غير الرسمية التي تنشأ بينهم في موقف العمل، وصلة ذلك بالإنتاجية والقدرة على الإنجاز.

٤- تفيد الملاحظة أيضا في دراسة جماعات الأطفال، ومعرفة الشخصيات القيادية منهم، فنجد أن " تشارلز كولى " قد صاغ جانبا كبيرا من أفكاره حول الجماعات الأولية من خلال ملاحظاته الوثيقة لجماعات الأطفال، وأيضا ملاحظاتنا لانفعالات جمهور في تجمع معين مثل جمهور الكرة.

ثانيا : أنواع الملاحظة :

هناك تصنيفات مختلفة للملاحظات، يتداخل بعضها في بعض، ويختلف بعضها عن بعض، ورغم ذلك يتفق معظم المشتغلين بالمناهج على أن الملاحظة تنقسم إلى نوعين أساسيين هما :"الملاحظة البسيطة، الملاحظة المنظمة "، والتفرقة بين النوعين تعتمد على مدى قدرة وحدود العقل على التدخل في إدراك العلاقات التي تربط بين الظواهر، فإذا كان التدخل بسيطا محدودا ومساهمته في فهم الظواهر محدودة، كانت الملاحظة هنا ملاحظة بسيطة، وإذا كان نصيب العقل كبيرا في إيجاد الصلات وإدراك العلاقات بين الظواهر كانت الملاحظة علمية.

---

[1]() محمد على محمد : البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص 328.

أ- **الملاحظة البسيطة** : Simple Observation، ويقصد بها ملاحظة الظواهر كما تحدث تلقائيا في ظروفها الطبيعية دون إخضاعها للضبط العلمي، وبغير استخدام أدوات دقيقة للقياس للتأكد من دقة الملاحظة وموضوعيتها [1]،كما تعرف "بأنها الملاحظة التي لا تهدف إلى الكشف عن حقيقة علمية محددة أو غاية نظرية واضحة " [2].

ويستخدم الباحثون الاجتماعيون هذا الأسلوب في الدراسات الاستطلاعية لجمع البيانات عن جماعة معينة من الناس في بيئة معينة وتحت ظروف معينة، وهذا النوع من الملاحظة قد تتحول في بعض الأحيان إلى ملاحظة مقصودة، فيصل الباحث عن طريقها إلى تقرير حقائق علمية،على جانب كبير من الأهمية،كما أنها قد تشير في ذهن بعض الباحثين إلى تساؤلات قد تفضي بهم إلى بحوثا أكثر عمقا وتركيزا،وتاريخ العلم يؤكد أن الكثير من الاكتشافات العلمية لم تكن سوى نتيجة لملاحظات غير مقصودة [3]:

وتعتبر الملاحظة البسيطة ملاحظة مقصودة لأن الباحث هنا- رغم عدم تدخله- يحدد مقدما ما الذي يريد ملاحظته في الموقف ؟، لأن الباحث أيا كانت **طبيعة دراسته يستطيع على الأقل من خلال تحديده لموضوع بحثه أن يحدد ولو بدرجات متفاوتة أي الملاحظات** التي يمكن أن تفيده في معالجته **لهذا** الموضوع.

ويمكن أن تتم **الملاحظة البسيطة** بإحدى طريقتين هما [4] :

١- **الملاحظة بدون مشاركة** : ويقصد بها تلك الملاحظة التي تتم دون أن يشترك الباحث بأي صورة من الصور في أي نوع من أنواع **النشاط اليومي للمجتمع** المبحوث، وغالبا ما يستخدم

---

[1] () صلاح مصطفى الفوال : مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٩٧، ص 271 .

[2] () غريب عبد السميع غريب : مرجع سابق،ص ١٨٢.

[3] () على عبد الرازق جلبي وآخرون : البحث العلمي الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٢٤٦.

[4] () عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ٣١٢.

هذا الأسلوب في ملاحظة الأفراد والجماعات التي يتصل أعضاؤها ببعض اتصالا مباشرا، فقد يتعذر على الباحث الذي يهتم بدراسة جماعة من الأطفال أن يستخدم أسلوب الملاحظة بالمشاركة، كما قد يصعب عليه أن يستخدم الاستبيان كأداة لجمع بيانات عن جماعة الأطفال، ومن ثم تعتبر الملاحظة بلا مشاركة من أفضل الوسائل التي تستخدم لجمع بيانات عن موقف سلوكي أو تفاعلي يتعذر على الباحث الاشتراك فيه.

في هذا النوع من الملاحظة يتم اتصال الباحث بأحد الأفراد المسئولين أو البارزين في الجماعة، ليشرح لهم الهدف من دراسته لتتخذ بعد ذلك الإجراءات اللازمة لتسهيل مهمة الباحث، وهنا يدخل الباحث الموقف لا باعتباره عضوا فيه، بل كعالم أو باحث متخصص لا يتدخل في سلوك أو حياة أفراد الجماعة التي يبحثها، بل يلاحظ الموقف عن بعد دون مشاركة منه، مستعينا في ذلك ببعض الإجراءات أو الوسائل " كالملاحظة من خلف ستار، أو حاجز زجاجي " الأمر الذي يؤدى في نظر الكثير إلى تجنب تأثير الباحث في تلقائية سلوك أو تفاعل المبحوثين، والإقلال من التحيز الناتج عن تأثر الباحث أو انطباعاته الشخصية مما يحدث في موقف الملاحظة بالمشاركة [1].

٢- **الملاحظة بالمشاركة** : ونعنى بها تلك الملاحظة التي تمكن الباحث من أن يحيا وسط الناس الذين يرغب في ملاحظتهم، وتتيح له أن يساهم في مختلف أوجه النشاط للمبحوثين، ومن الطبيعي أن تكون معايشة الباحث لمجتمع بحثه لفترة مؤقتة تتحدد سلفا وفقا لخطة البحث [2].

وفى هذا النوع من الملاحظة قد يفصح الباحث عن وجوده، فيقدم نفسه كباحث لغيره من المشاركين في الموقف الذي يلاحظه، وقد لا يفصح عن شخصيته رغم مشاركته في الموقف، وهنا تنقسم المشاركة إلى " الملاحظة الصريحة والملاحظة بالمشاركة المستترة "، هذا وقد انتشر أسلوب الملاحظة بالمشاركة في الدراسات الأنثروبولوجية، سواء تلك التي تعرضت

---

(1) على عبد الرازق جلبي وآخرون : البحث العلمي الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٢٥٣.

2 () صلاح مصطفى الفوال : مرجع سابق، ص ٢٧٣.

لدراسة الوحدات الاجتماعية الصغيرة كالأسرة،أو الكبيرة كالقبيلة والقرية والمدينة.

وتستلزم الملاحظة بالمشاركة ما يلي [1]:

١- أن تكون الطريقة التي يقدم بها الباحث نفسه لأفراد الجماعة مقبولة،لأن أقل خطأ يقع فيه قد يؤدى إلى إخفاقه في مهمته، وفشله في إجراء دراسته.

٢- كثيرا ما تكون المجتمعات المحلية منقسمة على نفسها، وفى هذه الحالة ينبغي على الباحث ألا يظهر بمظهر المتحيز لإحدى الجماعات،**فيجب أن يكون** حريصا في اتصالاته، حتى يضمن تعاون الجميع معه في البحث، وحتى تكون البيانات التي يحصل عليها بعيدة عن التحيز.

٣- يجب على الباحث أن يحدد منذ البداية درجة المشاركة التي يتطلبها البحث، فقيامه بدور معين في المجتمع قد لا يسمح له بالحصول على بيانات من أفراد في مركز أعلى أو أدنى من المركز الذي يشغله، ولذا ينصح الباحث بعدم المشاركة في نشاط المجتمع مشاركة كاملة، وبضرورة إعلانه عن نفسه وإفصاحه عن شخصيته،حتى يستطيع أن يجمع بيانات عن أفراد **الجماعة على** اختلاف أوضاعهم ومستوياتهم،كما يسمح بتوجيه ما يشاء من الأسئلة.

وهذا لايعنى أن المشاركة الكاملة غير مرغوب فيها دائما،فهي ولاشك تسمح للباحث بملاحظة السلوك بصورة أكثر تلقائية وبدرجة أبعد ما تكون عن الزيف والتصنع والرياء، ثم أنها تهيئ للباحث فرصة التعمق في مختلف المؤثرات التي تخضع لها الجماعة، ويستطيع الباحث أن يحدد درجة المشاركة المرغوب فيها بالنسبة للمشكلة التي يدرسها، والظروف التي يمكن أن يعمل في ظلها.

نخلص مما سبق : أن درجة مشاركة الباحث في موقف الملاحظة بالمشاركة أو بدون مشاركة، فإن **الملاحظة البسيطة** تستخدم كوسيلة استطلاعية لجمع البيانات، ولذلك فهي أنسب ما تكون إلى الدراسات الكشفية أو الاستطلاعية منها إلى الدراسات الأخرى.

---

[1] () عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق،ص ص ٢١٣ – ٢١٤.

مجالات الملاحظة البسيطة وأبعادها : يستعان بالملاحظة البسيطة في الدراسات الا ستطلاعية،ولذا فإن الموضوعات التي تنصب عليها يجب أن تتميز بالمرونة والشمول وعدم التحديد الدقيق،فلدراسة ظاهرة من الظواهر يتعين على الباحث أن يتجه أولا إلى جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات، وذلك عن طريق ملاحظة جميع الظروف المحيطة بالظاهرة،ثم يتجه بعد ذلك إلى تضييق نطاق ملاحظاته،فيقصرها على المواقف التي تهمه فقط.

وعلى الرغم من أن الملاحظة البسيطة يعوزها التحديد الدقيق، إلا أنها تتحدد إلى حد ما،بالمشكلة موضوع الدراسة،والموقف الاجتماعي الذي يحيط بها، ويتضمن هذا الموقف أبعادا رئيسية حددها المشتغلون بمناهج البحث، مثل " **جود** "Good "**هات**" Hatt "**سيللتيز** "Sellitz إلى عناصر أساسية هي [1]:

١- المشتركون في الموقف : وهو بعد يهتم بتحديد العنصر البشرى في موقف الملاحظة،وهنا يتحتم على الباحث معرفة كل ما يرتبط بهم من خصائص مميزة كالعدد والسن والجنس،ودور كل منهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض **وشكل** تنظيمهم وميكانيزمات تفاعلهم.

٢- مسرح الحوادث:وهو بعد يهتم **بالعنصر المكاني أو الأيكولوجى** لموقف الملاحظة،حيث يهتم الباحث بالخصائص المكانية للموقف الاجتماعي،وأشكال السلوك المرتبطة بكل نموذج مكاني، فسلوك الأفراد في المقهى مثلا يختلف في المسجد أو في السوق أو المدرسة.

٣- الهدف من الموقف :ويقصد به الكشف عن طبيعة تجمع الأفراد في موقف الملاحظة،هل هو تجمع عارض،أم تجمع يحقق هدفا من الأهداف؟، ثم ما هو طبيعة هذا الهدف ودرجة استجابة المشتركين لهذا الهدف.

٤- السلوك والتفاعل الاجتماعي:وهو بعد يركز على نشاط **أو سلوك** أو تصرفات الأفراد،كما يرتبط بطبيعة هذا السلوك،هل هو سلوك عفوي أو مخطط ؟،**وما هي** أهدافه وموجهاته وخصائصه وآثاره ؟.

٥- انتظام الموقف وتواتره :و يشير إلى **البعد الزمني للموقف من حيث بدء حدوثه** والفترة

---

(١) على عبد الرزاق جلبي وآخرون : البحث العلمي الاجتماعي، مرجع سابق،ص ٢٥٥.

الزمنية التي يستغرقها ودرجة تكراره أو تواتره ودرجة اتفاقه أو اختلافه عن مواقف أخرى،والعوامل والظروف التي تؤدى إلى– أو تحول دون– حدوثه.

ب– **الملاحظة المنظمة** : Systematic Observation، وهى النمط الثاني من أنماط الملاحظة، تستخدم كأداة لجمع البيانات،وتختلف عن أسلوب الملاحظة البسيطة، في أنها تخضع لنوع من الضبط العلمي والتحديد الدقيق، سواء أكان ذلك بالنسبة للقائم بالملاحظة، أو بالنسبة للأفراد الملاحظين، أو بالنسبة للموقف الذي تجرى فيه الملاحظة،كما أنها **تنحصر في موضوعات محددة** سلفا، وتقتصر على إجابة الأسئلة أو تحقيق الفروض التي وضعها الباحث، ويشيع استخدام هذا الأسلوب في الدراسات الوصفية،**أو تلك التي تختبر الفروض** السببية [١].

ويتميز هذا النوع من الملاحظة بالدقة والعمق والتركيز،كما أن الباحث الذي يستخدم هذا الأسلوب يعرف الجوانب الهامة التي لها صلة مباشرة بدراسته، والتي يمكن بالتالي أن تفيد بحثه،وهذه المعرفة تجعله في موقف يسمح له بأن يصمم خطة لإجراء ملاحظاته وتسجيلها قبل البدء في جمع البيانات [٢].

وتتم الملاحظة المنظمة إما في مواقف طبيعية بالنسبة لأفراد البحث،وذلك بنزول الباحث بنفسه إلى حيث تجرى الظاهرة التي يدرسها على طبيعتها، أو بملاحظة الظاهرة في جو المعمل الصناعي،وكلما كان الموقف **طبيعيا كانت النتائج** أدق،لأن كثيرا من الظواهر يتغير إذا لوحظ في جو المعمل الصناعي [٣].

وتتم الملاحظة المنظمة بالمشاركة أو بدون مشاركة من جانب الباحث،ففي الملاحظة بدون مشاركة،يقوم الباحث بالاختباء وراء شاشة بصرية يستطيع من خلالها أن يرى الأشخاص التي تجرى عليهم عملية الملاحظة دون أن يتمكن هؤلاء من رؤيته، أما في الملاحظة بالمشاركة

---

[١] () عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ٣١٨.

[٢] () جمال زكى، السيد يس : مرجع سابق، ص ١٩٤.

[٣] () على عبد الرازق جلبي وآخرون : البحث العلمي الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٢٥٦.

فإن الباحث لا يستطيع أن يخفى حقيقة مهمته وهى القيام بالبحث،ومن الضروري أن يقدم نفسه للجماعة قبل بداية الملاحظة بطريقة مقبولة،وأن يشرح الهدف الرئيسي من البحث [1].

وفى الإعداد للملاحظة ينبغي تحديد فئات الملاحظة تحديدا دقيقا بحيث يمكن تصنيف الظواهر الملحوظة وفقا لها،وليتسنى للقائم بالملاحظة جمع البيانات المتصلة بموضوع البحث فقط والتي يمكن أن تؤيد أو تكذب صحة الفرض الذي وضعه، كما ينبغي تحديد وحدات الملاحظة – الوحدة عبارة عن جملة بسيطة –، ولذا فمن الضروري تحديد حجم وحدة السلوك الذي يصنف في فئة، فقد يتراوح الحجم من فعل واحد يقوم به فرد واحد إلى كل الأفعال التي يقوم بها الفرد خلال زمن الملاحظة [2].

وسائل تسجيل الملاحظات :

يعتبر الأسلوب الذي يحدده أو يختاره الباحث لتسجيل ملاحظاته إجراءا منهجيا هاما لا يقل في أهميته عن الإجراءات المنهجية الأخرى، مثل تحديد شكل الملاحظة،أو جوانب موقف الملاحظة،ومن الطبيعي أن تختلف الأساليب المستخدمة للتسجيل باختلاف نوع الملاحظة كما يلي :

أولا: **تسجيل الملاحظة البسيطة** :من المتفق عليه أن الملاحظة البسيطة أسلوب أو أداة استطلاعية،ولذا فإن الباحث كل ما يهمه أن يسجل أكبر قدر ممكن من المعلومات، وهنا يترك للباحث حرية الاختيار بين ما يعرف بالتسجيل الفوري أو التسجيل البصري للملاحظات،كما يلي [3]:

١- **التسجيل الفوري**:وفيه يقوم الباحث بتدوين ملاحظاته في **حينها أولا بأول**،ويتميز هذا النوع بأنه يجنب الباحث أخطاء الذاكرة والنسيان **والتحيز في بعض** الأحيان،ولو أنها في

---

[1] () عبد الحميد محمود سعد : مرجع سابق، ص ٩٧.

[2] () عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ٣١٩.

[3] () على عبد الرازق جلبي وآخرون : البحث العلمي الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٢٥٨.

الوقت نفسه تفقد تلقائية أو طبيعية الموقف لما تثيره من شكوك أو مخاوف المشتركين في موقف الملاحظة، هذا بالإضافة إلى أنها قد تشتت ذهن الباحث وتفكيره ما بين الملاحظة والتسجيل.

٢- **التسجيل البعدي** : الذي يبدأ فيه الباحث بعد الانتهاء كلية من موقف الملاحظة أو الانسحاب لفترة مؤقتة من موقف الملاحظة والعودة إليه بعد ذلك،وهنا يضمن الباحث طبيعية الموقف وتركيز الباحث لأبعاد أو عناصر الملاحظة، ولكنه في الوقت ذاته يجعل الباحث أكثر اعتمادا على ا لذاكرة، مما يزيد احتمالات الوقوع في خطأ النسيان أو التحيز أو التحريف للملاحظات،ويختلف أسلوب التسجيل من باحث لآخر وتبعا للطريقة التي تسجل بها لملاحظات التي يتوصل إليها الباحث من خلال الملاحظة،وهنا يمكن أن نميز بين طريقتين هما[١]:

١- التسجيل الزمني أو التاريخي للأحداث :أي تدوين الملاحظات كما حدثت في سياقها التاريخي أو الزمني منذ بداية موقف الملاحظة حتى نهايته.

٢- التسجيل القصصي للأحداث: وفيه يدون الباحث الملاحظات على شكل مذكرات قصصية يرويها الباحث ويضمنها كل ما تمكن من ملاحظته من أحداث أو وقائع.

٣- التسجيل التصنيفي : وفيه يقوم الباحث بتسجيل الملاحظات مصنفة إلى موضوعات أو فئات يحددها وفقا لطبيعة الموضوع الذي يعالجه.

ويرى البعض أنه يفضل أن يجمع الباحث بين الطريقتين في التسجيل، وضمانا لدقة التسجيل يتعين على الباحث مراعاة ما يلي [٢] :

١- على الباحث ألا يخلط بين ما يراه فعلا أو بين ما يلاحظه،وبين تفسيراته الشخصية لما يراه أو يلاحظه،وذلك منعا للخلط بين الحقائق الموضوعية عن الظاهرة المبحوثة، وبين الجوانب الذاتية للباحث.

٢- يستحسن أن تلاحظ الظاهرة من طرف مجموعة من الباحثين الذين يستخدمون طريقة واحدة للتسجيل، وبعد انتهاء عملية الملاحظة يجتمع كل هؤلاء لاستعراض ومقارنة ما لاحظوه

---

(١) عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ٣١٧.

٢( ) صلاح مصطفى الفوال : مرجع سابق، ص ص ٢٧٧ – ٢٧٨.

وسجلوه، ثم استبعاد غير المتفق عليه تسجيلا وتفسيرا.

٣- الاهتمام بتسجيل جميع التفاصيل،فالأمور التي تبدو أمام الباحث غير مألوفة في بداية الملاحظة تصبح مألوفة لدية بمرور الوقت،ولذا يجب العناية بتسجيلها قبل أن تفقد دلالتها وتصبح في نظره أمرا عاديا روتينيا.

٤- العناية بتحليل الملاحظات أولا بأول،فقد **يتبن للباحث أن ملاحظاته لا تحيط بجميع** جوانب الموقف،وفى هذه الحالة يمكنه **أن يضيف فئات جديدة إلى الفئات** التي سبق تحديدها ليجمع **عنها بيانات قبل انتهاء الموقف الذي يخضع للملاحظة.**

٥- عرض البيانات التي سجلها الباحث على أفراد يهمهم موضوع الدراسة والاستفادة بما يبدونه من ملاحظات في تعديل مواقف الملاحظة،أو حصرها في موضوعات رئيسية.

ثانيا :تسجيل الملاحظة المنظمة : يستعين الباحث بعدد من الوسائل لتسجيل عناصر الملاحظة منها[1] :

١- **المذكرات التفصيلية** :يستلزم التسجيل الدقيق لموضوعات الملاحظة تدوينها أولا بأول في مذكرات وافية تشتمل على دقائق الموقف الاجتماعي، كما يمكنه عن طريق هذه المذكرات فهم الظواهر والوقوف على **العلاقات القائمة بين أجزائها**،كما يمكن الاستعانة بها والاستفادة منها في المواقف المشابهة.

٢- **الصور الفوتوغرافية** : وتستخدم في تحديد جوانب الموقف الاجتماعي، كما يبدو في صورته الحقيقية،لا كما يبدو أمام الباحث،كما أنها تفيد في توضيح مدى التغير الذي يطرأ على حياة الأفراد والجماعات.

٣- **الخرائط** :وتوضح العلاقة بين البيئة الجغرافية **وبين التنظيمات الاجتماعية** القائمة بالمجتمع المدروس،وتصور كثيرا من الجوانب **التي تهم الباحث**، كتوزيع السكان بالنسبة إلى توزيع الموارد الطبيعية وأماكن التجمعات السكانية وتوزيع المؤسسات الاجتماعية ودرجة تركز المشكلات الاجتماعية في المناطق الجغرافية.

٤- **استمارات البحث** :تصمم استمارات البحث بحيث تحتوى وحداتها على العناصر

---

[1] () على عبد الرازق جلبي وآخرون: البحث الاجتماعي العلمي،مرجع سابق، ص ص ٢٦٠ – ٢٦١.

الرئيسية والفرعية للظاهرة التي تخضع للملاحظة، فتهيئ للقائمين بالملاحظة فرصة **استيفاء البيانات المتعلقة بهذه العناصر** دون غيرها بطريقة موحدة،كما أنها تفيد في أن الملاحظات المدونة بها يمكن تجميعها في **رتب ومجموعات** يسهل تحويلها إلى بيانات رقمية قابلة للتحليل والتفسير في سهولة ويسر.

٥- **نظام الفئات** : ويتمثل في تصنيف السلوك **إلى فئات مختلفة أو نماذج تصف** موقف الملاحظة بطريقة كمية وشاملة،وتعتبر الفئة إطارا مرجعيا يمكن الباحث من تحليل ملاحظاته في فئات بحيث يسجل الباحث سلوك **أي فرد في الجماعة** ويضعه في إحدى هذه الفئات طبقا لخصائص أو تعريف كل فئة.

٦- **مقاييس التقدير** : وهو أسلوب للتسجيل الكمي للملاحظات **يكمل أسلوب** الفئات، ويستخدم لتسجيل درجة مساهمة كل عضو من **أعضاء الجماعة في الموقف** الذي يلاحظه الباحث، ويأخذ هذا المقياس شكل التدرج ليحدد الباحث نقطة معينة تشير إلى درجة مساهمة كل فرد على أول هذا التدرج.

٧- **المقاييس السوسيومترية** :وهى وسيلة **توضح التكوين الكامل للعلاقات الكائنة** في وقت محدود بين أفراد جماعة خاصة،وتستخدم **في قياس العلاقات الاجتماعية**،ولتقدير مدى الجذب والتنافر داخل جماعة معينة.

كيفية القيام بالملاحظة :

هناك عدة مهارات يجب أن تتوافر للباحث الملاحظ، حينما يستخدم الملاحظة أداة رئيسية لجمع بيانات بحثه،يمكن تحديدها فيما يلي [1]:

---

[1]() غريب عبد السميع غريب : البحث العلمي الاجتماعي بين النظرية والإمبيريقية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٣، ص ١٩٠.

١- تحديد مجال الملاحظة، من حيث مكان وزمان الملاحظة وحيث يختار الباحث هذا المجال وفقا لأهداف دراسته.

٢- محاولة الاختلاط **بالملاحظين كما لو كانوا** تابعين للجماعات **التي يلاحظونها**، على ألا يؤثر وجودهم بينهم على أنماط التفاعل داخل الجماعة، وفى بعض الأحيان يشترك الباحث الملاحظ في الأنشطة.

٣- يجب أن تكون لدى الباحث القدرة على الموائمة بين التدوين وبين تركيز الانتباه حسبما يمليه موقف الملاحظة.

٤- يجب على الباحث الملاحظ المتأمل أن يتوقف من وقت لآخر لكي يقيم ما شاهده وما سجله من ملاحظات ومدى أهميتها، وما دلالتها الاجتماعية؟،كما يمكنه أن يناقش ملاحظاته مع باحثين آخرين ليتعرف **على وجهة نظرهم العلمية**.

٥- يجب أن يتوافر للباحث الملاحظ القدرة على أن ينظم نتائجه، ويقدمها للقارئ من خلال وصف مكتوب كتابة جيدة.

٦- لابد أن يتأكد القائم بالملاحظة من مدى التعارض بين ما يقوله الناس وبين ما يمارسونه بالفعل،أو يتبين صحة ما يدلى به أفراد البحث من معلومات دون إشعارهم بأنهم يخفون الحقيقة أو يتهربون منها.

٧- على الباحث أن يساير العادات والتقاليد السائدة في مجتمع البحث، حتى لا يكون وجوده غير مرغوب في،كما أن عليه أن **يسجل نتائج اتصالاته بالأشخاص** موضوع الملاحظة،من حيث مدى إيجابيتهم،أو سلبيتهم، وكذلك الفترة التي استغرقتها الملاحظة.

٨- على الباحث أن يتعرف على أنماط السلوك **الاجتماعي الفعلية التي يمارسها** الأفراد في الموقف،وما هي الوسائل التي يستخدمونها لممارسة أنشطتهم ؟، وما **هي العقبات التي تعترض أنشطتهم** مثل" **ضغط المعايير الاجتماعية،أو قلة الإمكانيات** المادية " ؟، ثم ما هي الدوافع التي تؤدى إلى استمرار الموقف ؟ (١)[١].

---

[١]() محمد على محمد : البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٣٣١.

مزايا وعيوب الملاحظة :

لا شك في أن الملاحظة و سيلة من و سائل جمع البيانات في مجال البحوث الاجتماعية تتميز بعدة صفات، كما أن البعض يرى بتعذر استخدامها في بعض الدراسات كما يلي :

أولا : مميزات الملاحظة : للملاحظة مزايا متعددة منها :

١- أنها تمكن الباحث من جمع بيانات تتعلق بالواقع الفعلي أو الإمبيريقى للظاهرة موضوع البحث،كما أنها بتنوعها أو تدرج أشكالها من ملاحظة بسيطة إلى ملاحظة علمية مقصودة تتلائم كأداة لجمع البيانات مع مختلف الدراسات الاجتماعية أيا كان مستواها " كشفى، وصفى، تجريبي " (١).

٢- أنها تسمح بتسجيل السلوك وقت حدوثه وفى الحال، كما أنها تسجل السلوك التلقائي ولا تترك المجال للاعتماد على الذاكرة (٢).

٣- أن الملاحظة تصلح في دراسة الجماعات المحدودة الحجم، كالجماعات الصغيرة (٣).

٤- تستخدم الملاحظة في الأحوال التي يبدى فيها المبحوث نوعا من المقاومة للباحث،ويرفض الإجابة على أسئلة تتعلق ببعض أنماط السلوك (٤).

ثانيا : عيوب الملاحظة : يذكر " ثيودور كابلو " أن الملاحظة قد تراجعت أهميتها نسبيا في السنوات الأخيرة،حيث نجد أن كثيرا من الدراسات المسحية التي تعتمد على المقابلة والاستبيان قد صممت **بدون الاعتماد على قدر من الملاحظة** المنظمة، وفى مشروعات بحثية أخرى تمثل الملاحظة مرحلة قصيرة وعابرة بالنسبة لمسار البحث (٥)،أي أن الملاحظة لا

---

١ () على عبد الرازق جلبي وآخرون : البحث العلمي الاجتماعي، مرجع سابق،ص ٢٦١.

٢ () غريب محمد سيد أحمد : مرجع سابق،ص ٢٦٢.

٣() عبد الباسط محمد عبد المعطى : البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠، ص٣٣٩.

٤ () طلعت إبراهيم لطفي : مرجع سابق، ص ٨٠.

(٥) ثيودور كابلو : مرجع سابق، ص ص ١١٦ -١١٧.

تصلح لدراسة بعض الموضوعات التي ترتبط بالسلوك، وهنا يمكن أن نحدد عيوب الملاحظة فيما يلي([1]) :

١- لا تصلح الملاحظة في حالة تعدد الملاحظين لنفس الظاهرة، فكثيرا ما تتعدد رؤياهم، وبالتالي تتضارب بياناتهم.

٢- تعتمد الملاحظة على الحواس،وهى كثيرا ما تكون خداعة،وبالتالي قد ينتج عنها بيانات لا تنتمي للواقع كثيرا.

٣- قد يعمل العقل الباطن للباحث على تسجيل **الملاحظات لا كما تبدو في الواقع**، ولكن بناء على خبرة الملاحظ السابقة.

٤- إن اعتماد إجراء الملاحظة **على العنصر البشرى**،**أي على ما يتمتع به الباحث** من يقظة وسلامة حواس وقدرة عقلية على التحليل وتذوق لما يلاحظه يجعلها أقل قدرة للوصول لبيانات دقيقة وموضوعية.

٥- أن الملاحظة عملية تستغرق وقتا طويلا من الباحث، كما أنها مكلفة ماديا للباحث، بجانب أنها تؤدى إلى ظهور نوع من الألفة بين الباحث والمبحوث،مما قد يؤدى إلى التحيز في البحث والبعد عن الموضوعية.

مما سبق ومن خلال هذا العرض لوسيلة الملاحظة يتضح :

أن الملاحظة أداة رئيسية لجمع البيانات في البحث الاجتماعي،فعن طريقها يحصل الباحث على البيانات اللازمة لدراسته التي لم يستطع **أن يحصل عليها** بأدوات أخرى.

يرى علماء المناهج أنها ركيزة أساسية في البحث العلمي، لأنها تقوم بتسجيل الحدث فور وقوعه تلقائيا،كما أن المرونة التي تتسم بها تسمح للباحث بتغيير وتعديل خطته وفقا للظروف التي يواجهها.

تستخدم الملاحظة المباشرة استخداما واسع النطاق شأنها شأن أدوات جمع البيانات الأخرى،**في اكتشاف الانتظامات في البناء الاجتماعي والعمليات الاجتماعية** " سواء في المجتمعات أو المواقف الاجتماعية أو الجماعات الاجتماعية ".

---

[1] () صلاح مصطفى الفوال : مرجع سابق، ص ٢٨٠.

الفصل الثالث عشر

المقابلة

تمهيد :

تعد **المقابلة** أو الاستبار Interview أداة رئيسية للباحث الاجتماعي في جمع البيانات، وتستخدم في كثير من مجالات الحياة، فيستخدمها الطبيب والمدرس **والقاضي والمحامى والصحفي ورجل الشرطة والإحصائي النفسي والإحصائي** الاجتماعي، كل هؤلاء يستخدمونها للاستفادة بها في التوجيه أو التشخيص أو العلاج، ويختلف الهدف من المقابلة من مجال إلى آخر، ورغم ذلك فإن أسلوب المقابلة، والأسس السيكولوجية التي تقوم عليها والظروف التي ينبغي أن تتوافر لها لتحقيق أغراضها تكاد تكون واحدة بالنسبة لجميع المقابلات **أيا كان نوعها.**

يرى البعض أنه على الرغم من أن أداة المقابلة أكثر **أدوات البحث استخداما** وشيوعا، إلا أنهم يرون أن عددا غير كثير من الباحثين **هم الذين يجيدون استخدام** فنون المقابلة، نظرا لما تحتاجه من قدرات **ومهارات خاصة من ممارسيها لا تكتسب** إلا من خلال المران الطويل والشاق أحيانا.

والمقابلة كأداة للبحث تسهم في المراحل الأولى للدراسة في الكشف عن الأبعاد الهامة للمشكلة، وفى تنمية الفروض، وفى إلقاء الضوء على الإطارات المرجعية **لاستجابات** أفراد التجربة، **ويرى** البعض أنها تطورت نتيجة لعاملين هما([1]):

الأول : المقابلة الإكلينيكية : وكان لها أثر بالغ في توضيح قيمة المقابلة كأداة للبحث وجمع البيانات.

الثاني : حركة القياس السيكولوجي: وكان لتطورها واهتمامها بالتقنين **أثر بالغ** في إكساب المقابلة كطريقة للبحث طابعا موضوعيا.

يؤكد المشتغلون بمناهج البحث **على ضرورة أن** يتعرض الباحث لتحليل بعض أنماط السلوك التي يتعذر عليه ملاحظتها، لأنها تحدث على نحو شخصي، وفى مثل هذه الظروف يجد

---

[1]() محمد على محمد : البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٣٣٧.

الباحث أنه من الأفضل توجيه أسئلة لعدد من الأفراد يختلفون فيما بينهم **من حيث** مستوى التعليم،الأمر الذي يجعل استخدام المقابلة المباشرة وجها لوجه بين الباحث والمبحوث **إجراءا ضروريا لجمع البيانات اللازمة** للدراسة،ونظرا لأهمية المقابلة نعرض في هذا الفصل لعدة نقاط كما يلي :

أولا : ماهية المقابلة " الاستبار " :

المقابلة أو الإستبار لغة **تعنى المواجهة أو المعاينة أو الاستجواب** أو الاستعراض، وهذا يعنى أنها مواجهة محددة لغرض معين، وقد وردت تعريفات كثيرة لمفهوم المقابلة أو الإستبار منها :

١- يعرف **"بنجهام"** Bingham **المقابلة** " بأنها المحادثة الجادة الموجهة نحو هدف محدد،غير مجرد الرغبة في المحادثة لذاتها "[١]،وهذا التعريف يشتمل على عنصرين هما :

أ- المحادثة بين شخصين أو أكثر في موقف مواجهة.

ب- توجيه المحادثة نحو هدف محدد ،وضوح الهدف شرط أساسي **لقيام علاقة حقيقية** بين القائم بالمقابلة وبين المبحوث.

٢- يعرف **" أنجلش وأنجلش "** English,English **المقابلة** "بأنها محادثة موجهة يقوم بها شخص مع شخص آخر،أو أشخاص آخرين، هدفها استثارة أنواع معينة من **المعلومات لاستغلالها في بحث** علمي،أو للاستعانة بها في التوجيه والتشخيص والعلاج "[٢]،ويكشف هذا التعريف عن الهدف من المقابلة والتي **تتمثل في جمع الحقائق لغرض البحث،والاستفادة بها في التوجيه والتشخيص والعلاج.**

---

[١] ( ) عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ٣٣٠.

[٢] () محمد سيد فهمي : قواعد البحث في الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص ١٨٠.

٣- وترى " **جاهودا** Gahoda " **المقابلة** " بأنها التبادل اللفظي الذي يتم وجها لوجه بين القائم بالمقابلة وبين شخص آخر أو أشخاص آخرين "[١]، ويوضح هذا التعريف التفاعل بين الباحث والمبحوث، متمثلا في التبادل اللفظي ،لكنه أغفل الهدف الرئيسي من المواجهة أو المقابلة.

٤- ويعرفها " **ماكوبى وماكوبى** Maccoby,Maccoby " بأنها تفاعل لفظي يتم بين شخصين في موقف مواجهة حيث يحاول أحدهما، وهو القائم بالمقابلة أن يستثير بعض المعلومات أو التعبيرات لدى المبحوث، والتي تدور حول آرائه ومعتقداته "[٢]، وهنا نلحظ أن هذا التعريف حدد المقابلة كما تستخدم في البحث الاجتماعي، كما حدد الهدف من المقابلة في استثارة المعلومات أو التعبيرات التي تدور حولها آراء ومعتقدات المبحوث.

من خلال ما أوردناه من تعريفات لأداة المقابلة أو الإستبار يمكن أن نحدد بعض **الملامح العامة للمقابلة** فيما يلي :

١- أن المقابلة محادثة موجهة تتم بين شخص هو الباحث،وبين شخص آخر،أو مجموعة من الأشخاص.

٢- تعتمد المقابلة على التبادل اللفظي **الذي يتم بين القائم** بالمقابلة،**وبين المبحوث**، وما قد يرتبط بذلك التبادل اللفظي من استخدام تعبيرات الوجه ونظرة العين والهيئة والإيماءات والسلوك العام.

٣- تهدف المقابلة إلى الحصول على بيانات يراها أحد طرفي المقابلة " الباحث"، ضرورية للحصول على معلومات تحدد كما وكيفا بحسب خطة البحث الذي تدور في إطاره المقابلة.

٤- أثناء المقابلة يحيط جو من التفاعل الودي بين طرفي المقابلة، لكنه تفاعل مهني، يهدف من ورائه الباحث استكشاف ما يدور في أعماق المبحوث.

---

(١) جمال زكى، السيد يس : مرجع سابق، ص ٢٠٩.

٢() غريب محمد سيد أحمد : مرجع سابق، ص ٢٩٢.

ثانيا : محاور المقابلة :

تتكون المقابلة من **محاور ثلاثة** تتسم بالترابط والدينامية كما يلي [1]:

١- **الباحث** : وهو طرف رئيسي في عملية المقابلة، ولابد أن تتوافر لديه مجموعة الخصائص والسمات **الموروثة والمكتسبة، كما أن مكوناته الجسمية والنفسية** والعقلية علاوة على خبراته ومشاعره وأحاسيسه وانتماءاته المختلفة، تلعب كلها دورا أساسيا في إنجاح عملية المقابلة، وفيما يمكن أن تحققه من نتائج، ولذا فإن حسن اختيار الباحثين، وطريقة إعدادهم وتدريبهم، كلها عوامل أساسية لنجاح عملية المقابلة في تحقيق أهدافها.

٢- **المبحوث** : يشكل المبحوث بسلوكياته وآرائه ومشاعره هدفا أساسيا ليس للباحث وحده، بل ولعملية المقابلة ذاتها، لذلك فلابد أن يكون المبحوث في حالة نفسية وذهنية تؤهله لأن يكون طرفا فاعلا وإيجابيا أثناء المقابلة، وإلا فإن الفشل لن يلحق فقط بعدم تحقيق المقابلة لأهدافها المرجوة، وإنما قد تتوجه وجهة مضللة تماما نتيجة لما يتعرض له المبحوث من مؤثرات تفسد جو المقابلة وتدفع بسلوكياته إلى اتجاهات غير طبيعية، أو غير صحيحة **على الأقل من وجهة** نظر مخطط المقابلة، لذلك من الضروري تهيئة الأجواء المناسبة للمبحوث حتى يمكنه التعبير عن مشاعره وآرائه ومعتقداته، وحتى يأتي سلوكه **متسقا مع طبيعته** بغير زيف أو تضليل.

٣- **جو المقابلة ومحتواها** : ونعني مختلف الظروف المادية **وغير المادية التي** تغلف عملية المقابلة، فمكان **المقابلة وما يرتبط به من** تجهيزات وإمكانات، **وكذلك** طبيعة التفاعل بين الباحث والمبحوث، ووقت المقابلة من حيث الطول أو القصر، ونوعية الأسئلة المستخدمة أثناء المقابلة، وما قد يثيره حضور أشخاص غرباء قد يتصادف وجودهم أثناء عملية المقابلة من مشاعر لدى المبحوث، علاوة على مختلف الظروف المناخية والطبيعية وما تتركه من آثار على جو المقابلة.

---

[1] () صلاح مصطفى الفوال : مرجع سابق، ص ص ٢٨٩ – ٢٩٠.

نخلص مما سبق :أن هناك ارتباط وثيق بين عناصر المقابلة على نحو يؤثر في النتائج العامة للمقابلة ويتوقف **نجاحها على مهارة الباحث ومدى فهمه وإدراكه** لمختلف العوامل التي تحيط بالمقابلة.

ثالثا : أنواع المقابلة :

اختلف المشتغلون بمناهج البحث حول تصنيفهم لأنواع المقابلة،فمنهم من يصنفها من **حيث عدد المبحوثين** إلى مقابلات فردية وجماعية،ومنهم من يصنفها من حيث طبيعة المقابلة ذاتها،إلى مقابلات مقننة **أو غير مقننة،ومنهم من يصنفها** من حيث التزامها بتحقيق غاية محددة،إلى مقابلة موجهة وحرة أو غير موجهة، ومنهم من يصنفها بحسب وظيفتها إلى مقابلات تشخيصية أو علاجية أو لأغراض البحث العلمي، ومنهم من يصنفها بحسب دور طرفي الحوار فيها إلى مقابلات بسيطة أو بؤرية أو متكررة أو إكلينيكية،ومنهم من يقسمها باعتبارها مقابلات رسمية أو غير رسمية.

وهنا نعرض **لأنواع المقابلة** من حيث :

أولا :من حيث الغرض : وتنقسم إلى [1]:

١- **المقابلة لجمع البيانات** : هي تلك المقابلة البحثية التي يقوم بها الباحث **لجمع البيانات المتعلقة بموضوع البحث،وتستخدم في كافة أنواع البحوث الاستطلاعية** والوصفية والتجريبية.

٢- **المقابلة التشخيصية** :هي تلك المقابلة التي يقوم بها الطبيب أو الأخصائي **الاجتماعي أو النفسي**،بهدف تشخيص **حالات العملاء من المرضى** وذوى المشكلات، والتعرف على العوامل الأساسية المؤثرة في المشكلة التي يعانى منها العميل، وتحديد الأبعاد الأساسية للمواقف المحيطة به.

٣- **المقابلة العلاجية**:وهى تلك المقابلة التي تهدف **إلى ر سم خطة لعلاج العميل** وتخفيف حدة التوتر الذي يشعر به مع الاستفادة من إمكانيات المجتمع.

---

[1]() غريب عبد السميع غريب : مرجع سابق ، ص ٢٠٣.

ونلحظ أن أنواع المقابلات السابقة يتداخل العمل فيما بينها تداخلا تاما بشكل يصعب معها إقامة الحدود الفاصلة بينها،والقائم بالمقابلة **يقوم بإبراز هدفه** في كل خطوة من خطوات العمل،والتي تبدأ بالدراسة ثم التشخيص ثم العلاج.

ثانيا : من حيث عدد المبحوثين : وتنقسم إلى [1]:

١- **المقابلة الفردية** : وهى التي تتم بين القائم بالمقابلة وبين شخص واحد من المبحوثين، وهذا النوع يتطلب كثيرا من النفقات والوقت والجهد، ورغم ذلك فهو النوع الأكثر شيوعا في الدراسات النفسية والاجتماعية.

٢- **المقابلة الجماعية** :وهى تلك المقابلة **التي تتم بين** القائم بالمقابلة،وبين عدد من الأفراد في مكان واحد ووقت واحد،وهذا النوع يوفر الوقت والجهد والمال، كما أنها قد توفر معلومات أكثر للقائم بالمقابلة،شريطة أن تتسم جماعة المقابلة بالتجانس قدر الإمكان.

ثالثا :من حيث درجة المرونة : وتنقسم إلى [2]:

١- **المقابلة المقننة** : وهى تلك المقابلة **التي تكون** محددة تحديدا دقيقا، وينصب هذا التحديد على عدد الأسئلة التي توجه للمبحوثين وترتيبها ونوعها،إن **كانت** مقفولة أو مفتوحة، وعلى القائم بالمقابلة أن يوجه الأسئلة إلى جميع المبحوثين بنفس الأسلوب وبنفس الترتيب وبنفس الطريقة،وفى حالة وجود أسئلة مفتوحة فلا توجه إلا أسئلة التعمق **والاستيضاح فقط**،ويستخدم الباحث **هنا استمارة المقابلة** التي تشبه استمارة الاستبيان،إلا أن الباحث يوجه صحيفة المقابلة بنفسه إلى المبحوثين،ويقوم بتدوين الإجابات عليها.

٢- **المقابلة غير المقننة** : وهى تلك المقابلة **التي لا تحدد** أسئلتها تحديدا دقيقا سابقا،مما يتيح الفرصة أمام المبحوث للتعبير عن شخصيته تعبيرا حرا تلقائيا، وقد يستخدم الباحث ما

---

[1] () على عبد الرازق جلبي وآخرون : البحث العلمي الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٢٧٠.

[2] () طلعت إبراهيم لطفي : مرجع سابق،ص ٨٧.

يسمى **بدليل المقابلة**، وهو عباره عن صحيفة تشتمل على رؤوس الموضوعات التي يرغب أن يدور الحديث حولها مع المبحوث والتي تتصل بمشكلة بحثه،وعادة ما تكون الأسئلة **التي يوجهها ذات طابع عام وتشجع** المستجيب على الاستطراد في الإجابة والإدلاء بمعلوماته بحرية، وهذا النوع من المقابلات يصلح في **الدراسات الاستطلاعية** للوصول إلى الفروض **التي يمكن** إخضاعها بعد ذلك للاختبار المقنن.

ويرى البعض **أن هناك عدة تسميات تطلق على هذا النوع من** المقابلة هي[1]:

١- **المقابلة البؤرية** :ويقصد بها ذلك النوع من المقابلات الذي يرتكز على خبرة معينة مر بها المبحوث والآثار المترتبة على هذه الخبرة.

٢- **المقابلة الإكلينيكية :** وهى التي تهتم بمختلف الخبرات التي مر بها المبحوث، فهي تدور حول جوانب الشخصية لمحاولة الوقوف على المشكلات الخاصة بالتكيف الانفعالي،وغالبا ما تجمع بين غرض الدراسة والتشخيص والعلاج.

٣- المقابلة المتمركزة حول العميل : ويركز هذا النوع على تشجيع العميل على التعبير عن مشاعره ودوافع سلوكه والتحدث عن أي شيء يجول بخاطره بأقل قدر ممكن من التوجيه والتساؤل.

رابعا : متطلبات المقابلة :

هناك بعض المبادئ العامة على الباحث أن يراعيها عند استخدام المقابلة كوسيلة لجمع البيانات،فالمقابلة عملية نفسية اجتماعية، وهذا يشير إلى وجود عمليات وجوانب فرعية تبدأ من التحضير للمقابلة،**وانتقاء القائمين بها وإعدادهم**، وحتى انتهاء المقابلة وتسجيل بياناتها، وما يتخلل كل هذا من أبعاد مرتبطة ببدء المقابلة،وإقامة علاقة وثيقة بالمبحوث واستثارته

---

(1) عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ص ٣٣٧ – ٣٣٩.

ودفعه إلى مواصلة المقابلة حتى نهايتها.

ويمكن تحديد هذه المتطلبات المنهجية في مطلبين أساسيين مرتبطين فيما بينهما[1]،**الأول**: هو التحضير للمقابلة،**والثاني** : هو إجراء المقابلة، وتتضح العلاقة الوثيقة بين المطلبين حينما يقوم الباحث بالعمليتين معا،أي حينما يتولى وضع الأسئلة وتوجيهها إلى المبحوث،دون **أن تكون هناك فواصل زمنية أو مكانية** بين العمليتين،أي في البحوث الحقلية،حينما يقوم **الباحث الأنثروبولوجي بوضع** قائمة الأسئلة والقيام بعملية المقابلة في آن واحد، وحتى في البحوث التي يتم فيها مسبقا تخطيط أداة المقابلة،ثم استخدامها بعد ذلك **في عملية المقابلة بواسطة** باحثين ميدانيين، فإن الاتصال بين المطلبين يظل قائما كما يلي:

أولا : التحضير للمقابلة : أيا كان النموذج الذي يختاره الباحث للمقابلة كأداة لجمع البيانات اللازمة للبحث فإن كفاءة **هذه الأداة تتوقف على بعض الاعتبارات** التي ترتبط بتصميمها وكيفية إجرائها، وبناءا على ذلك فإن الباحث عند التحضير للمقابلة يضع في اعتباره ما يلي [2]:

١- تحديد نوع المقابلة التي سوف تستخدم في البحث،هل هي مقابلة مقننة أو غير مقننة ؟، وإذا كانت غير مقننة فأي أنواع المقابلة غير المقننة سوف تستخدم ؟،كل ذلك بما يتفق وموضوع الدراسة،فطبيعة الموضوع **تحدد نوع المنهج والطريقة** والأداة المستخدمة لجمع البيانات،كما أن نوع المقابلة المستخدمة **يتحدد ليس فقط** وفقا لطبيعة الموضوع،بل وأيضا وفقا لأهداف الدراسة ومستويات **التحليل المطلوبة**، وما وصلت إليه دراسات سابقة من مستوى معين من الوصف أو التحليل أو التفسير لموضوع الدراسة.

٢- تحديد دور المقابلة في البحث،هل ستستخدم في المراحل التمهيدية،أم في صلب البحث، أم لتعميق بعض البيانات ؟، لأن مثل ذلك التحديد يساعد الباحث في تحديد درجة التقنين المطلوبة.

---

[1]() محمد على محمد : البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٣٤٣.

(٢) انظر : محمد سيد فهمي : مرجع سابق ، ص ص ١٩١ - ١٩٣.

: على عبد الرازق جلبي وآخرون : البحث العلمي الاجتماعي،مرجع سابق،ص ص ٢٧٣ -٢٧٧.

٣- تحديد المواقف التي سوف تستخدم المقابلة من أجلها،ويستلزم هذا تحليل هذه المواقف في ضوء مشكلة البحث،والهدف من البحث ونوعه، والفروض التي يود الباحث اختبارها، إذا كان بحثه من الدراسات التي تختبر فروضا.

٤- تحديد الأسئلة التي سوف توجه للمبحوث أثناء المقابلة،كما يجب تحديد **عدد هذه الأسئلة، وتجدر الإشارة إلى أن درجة التقنين المطلوبة في المقابلة تؤثر في هذه الأسئلة،ففي المقابلات غير المقننة يترك الأمر للباحث،وأحيانا للمبحوث، أما في المقابلة المقننة فتحدد الأسئلة تحديدا دقيقا من حيث " المضمون،العدد، الصياغة، الترتيب، نوع الأسئلة من حيث كونها مفتوحة النهاية أو مغلقة النهاية،كذلك التدرج في الأسئلة من البسيط إلى الأقل بساطة** [1]".

٥- لما كانت المقابلة عبارة عن موقف تفاعلي بين باحث ومبحوث، فإن نجاحها يتوقف إلى حد كبير على نوعية الباحث وما يستعين به من باحثين وعلى نوعية المبحوثين أنفسهم،وفى هذا يشير"**هربرت هايمان**" إلى أن المقابلة من الأدوات التي **تحتاج لأن يكون القائم بها على درجة كبيرة من المهارة والخبرة** والمرونة والاستبصار والأمانة واليقظة، وأن تكون له ذاكرة قوية ومنظمة، وأن يكون مثقفا وملما بعدد من الموضوعات العامة، وأن تكون له رغبة في اكتساب معرفة جديدة،لأن كل هذا سوف يساعده على إجراء المقابلة واستثارة المبحوث للاستجابة،وكذلك تسجيل المقابلة.

٦- تحديد العينات التي سوف تجرى عليها المقابلة ونوعها ومعرفة بعض خصائصها العامة،وخصائص المجتمعات **التي تنتمي إليها من النواحي الاجتماعية** والثقافية،لأن هذا **يساعد في تحديد صياغة الأسئلة ويساعد في إجراء المقابلة نفسها**، من حيث إدراك القيم والعادات والتقاليد التي على الباحث أن يراعيها حتى لا يقاوم من المبحوثين.

٧- تدريب الباحث الذي سوف يقوم بالمقابلة،وهنا يجب مراعاة عدة جوانب كما يلي[2]:

أ- توضيح أهداف المقابلة،وتحديد خصائص المقابلة الجيدة، ويتم هذا في ضوء فهم القائم

---

[1] () صلاح مصطفى الفوال : مرجع سابق، ص ٢٩٧.

[2] () محمد سيد فهمي : مرجع سابق،ص ١٩٣.

بالمقابلة للبحث وعملياته ودوره فيها، وهذا **يتطلب فهمه لخطة البحث** وفروضه وأدواته وطرق اختيار العينات، وكيفية **الوصول إلى المبحوث وما إلى ذلك.**

ب- إذا كانت المقابلة قريبة من التقنين، يجب إمداد القائمين بها بقدر من المعرفة بأ ساليب التعبير المختلفة التي سوف يواجهونها، وتتراوح هذه الأ ساليب بين ا ستخدام ألفاظ معينة، وبين استخدام كنايات واستعارات معينة، وتدريب الباحثين على القيام بعملية المقابلة والتسجيل، وإلقاء الأسئلة بالصورة التي تتطلبها المقابلة.

ج- استثارة الدافع لدى القائم بالمقابلة، وقد يتحقق هذا عن طريق توضيح أهمية البحث وأوجه استخدامه وأسباب جمع البيانات.

د- تدريب الباحثين على المهارات الأخرى اللازمة لإجراء المقابلة، ويمكن أن يتم ذلك عن طريق المحا ضرات، والمناق شات الجماعية، وتمثيل الأدوار، كأن يقوم أحد **القائمين بالمقابلة** بدور المبحوث، ويقوم آخر بدور الباحث، ثم تجرى مناقشة جماعية لكل هذا.

ثانيا : كيفية إجراء المقابلة : يجمع أغلب المشتغلين بالبحث الاجتماعي على أن المقابلة فن يحتاج إلى مهارة وخبرة ومران وتدريب، يكتسبها الباحث عن طريق الممارسة العملية، والنزول إلى الميدان، والاحتكاك بجمهور البحث، والقدرة على النفاذ إلى دوافع السلوك، ومكونات الشخصية، وأساليب الاتصال والتأثير، وأنواع العلاقات الاجتماعية.

وهنا يمكن الإ شارة إلى **أن ا ستراتيجية إجراء** المقابلة ا ستراتيجية موقفية أ سا سا إذ ينبغي أن يكون القائم بالمقابلة من المرونة بحيث يتوافق **مع خصائص المبحوث** ، بحيث يستطيع أن يوجه تلك الرابطة النفسية التي تجعله **يكسب ثقة المبحوث** فيحصل على المعلومات التي يريدها، وهناك مجموعة من الإرشادات التي يلتزم بها القائم بالمقابلة منها [1]:

١- **ا ستثارة الدافع للا ستجابة** : إن أول **ما يسعى** إليه القائم بالمقابلة **هو ا ستثارة** الدافع لدى المبحوث للا ستجابة، فالمبحوث يواجه شخ صا غريبا عنه لا تربطه به صلة سابقة، ويطلب

---

(1) غريب عبد السميع غريب : مرجع سابق ، ص ص ٢٠٧ – ٢٠٩.

إليه أن يدلى ببيانات تتصل بشئون حياته الخاصة، وقد تكون من النوع الذي يتصف بشيء من السرية كالبيانات الخاصة بعدد أفراد الأسرة والعمر والنوع والدخل وغيرها، وهذا يوضح **أن درجة الاستعداد للاستجابة** تختلف باختلاف الدور الذي يمثله القائم بالمقابلة، وباختلاف المجتمع الذي يجرى فيه البحث، وكذا الثقافة السائدة فيه.

أيضا عند بدء المقابلة، ينبغي على الباحث أن يبدأها بمقدمة مختصرة حول البحث وأهدافه، ووصف الطريقة التي اختير بها المبحوث، وتعريف المبحوث بالقائمين بالبحث، سواء كانوا هيئة علمية أو بعض الأشخاص، ثم يؤكد الباحث له السرية التامة للبيانات التي تجمع عن طريق المقابلة، وطمأنة المبحوث على قدرته على الاستجابة، وتنصح" **مارجريت ستاسى**" القائم بالمقابلة أن يفتتحها بسؤال المبحوث : أتستطيع مساعدتي ؟، وهذا يساعد في وضع أساس للعلاقة بين الباحث والمبحوث ويسهم في تطوير المقابلة [1].

٢- **تهيئة جو المقابلة** : ينبغي على الباحث **أن يخصص الوقت** المناسب والمكان المناسب وتهيئة الظروف المناسبة، حيث يقتضي الأمر في كثير من الأحيان أن تكون المقابلة مقصورة على كل من القائم بالمقابلة والمبحوث، لأن وجود أفراد آخرين قد يثير مخاوف المبحوث ويدفعه إلى العدول عن أقواله[2].

ولذا من الضروري أن يعمل القائم بالمقابلة على الاجتماع بالمبحوث في غرفة منفردة بقدر الإمكان ضمانا لصحة البيانات، كما يرى البعض أن إشاعة جو من التقبل وعدم الكلفة يؤدى إلى عدم ظهور توترات نفسية **لدى المبحوث** وإلى تحرره من الخوف والقلق، ولذلك ينصح " **هايمان**" بما يلي :

أ- حدد موعد المقابلة مع المبحوثين قبل القيام بها.

ب- خصص الوقت الكافي للمقابلة واجعل المبحوث يشعر بأنك متفرغ لمقابلته.

ج- دع المبحوث يتخير الجلسة المريحة قبل البدء في الأسئلة.

---

(1) محمد سيد فهمي : مرجع سابق، ص ١٩٤.

(2) عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ص ٣٤٢ – ٣٤٣.

د- تجنب إجهاد المبحوث بكل الوسائل الممكنة.

٣- **توجيه أسئلة المقابلة** :لكي يحصل الباحث على الفائدة من المقابلة عليه إجراؤها عن طريق المناقشة والحوار،فلا تلقى بطريقة جامدة إملائية،وإذا كانت الأسئلة **معدة من قبل في** استمارة خاصة،**على الباحث** أن يقرأها جيدا،وأن يتدرب عليها،وأن يعرف بدقة ترتيبها المنطقي [1]،مع مراعاة ما يلى :

أ- يجب ألا يبدأ الباحث بالأسئلة المنصبة على الموضوع رأسا،لأن ذلك قد يثير الخوف والمقاومة لدى المبحوث.

ب- التدرج في الأسئلة من العام إلى الخاص،ويقصد بالخاص الأكثر ارتباطا بموضوع الدراسة.

ج- يجب على الباحث ألا يلاحق المبحوث بالأسئلة، سؤالا تلو الآخر حتى يستطيع المبحوث أن يستجمع أفكاره،بالنسبة لكل سؤال، وأن ينظم إجاباته تنظيما دقيقا.

د- قد يقتضي موقف المقابلة من الباحث توجيه عدة أسئلة بصياغات مختلفة،لكي يحصل على إجابة واحدة، ،إلا إذا كانت المقابلة من النوع المقنن، فعليه أن يلتزم بصياغة الأسئلة المحددة سلفا، ويستحسن توجيه نفس الأسئلة بنفس الأسلوب لكل الأفراد، ولكن ذلك لا يمنع بالطبع من توضيح معاني الكلمات الغامضة،أو إعادة السؤال عدة مرات إذا لزم الأمر.

ه- في بعض الحالات يجب ألا يلاحق القائم بالمقابلة المبحوث بالأسئلة،وإنما يجب أن يتخلل الأسئلة بعض المناقشات العامة،حتى يفهم المبحوث بعض ما يريده الباحث من بيانات وإجابات.

و- يتعين أن يظل القائم بالمقابلة، هو الذي يمسك بزمام المقابلة ويسيطر على توجيهها إلى الناحية التي تحقق أهداف البحث دون أن يترك الأمر للمبحوث يوجهه كيفما شاء، كما يستلزم الأمر أحيانا ممارسة نوعا من الضغط البسيط على المبحوث حتى يزداد اهتمامه بما يريده الباحث.

٤- **الحصول على الإجابة** :يجب أن يسعى القائم بالمقابلة على الحصول على إجابات عن

---

[1]() محمد على محمد : البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٣٤٠.

جميع الأسئلة،فإذا وجد أن المبحوث قد أجاب على سؤال في سؤال سابق، فلا ينبغي أن يتخلى عن ذلك السؤال،بل يتلوه على المبحوث،ويدون إجابته، ويفيد ذلك في التأكد من صدق الإجابة السابقة، كما يجب على القائم بالمقابلة مراعاة ما يلي [1]:

أ-إذا كانت الإجابة ناقصة،فعليه أن يحاول استكمال المعلومات الناقصة والتي يرى أنها ضرورية للبحث.

ب- إذا أحجم المبحوث عن الإجابة عن سؤال معين بحجة أنه لا يعرف الإجابة، فعلى القائم بالمقابلة أن يحاول معرفة العوامل التي تدفعه إلى عدم الإجابة.

ج- يجب على القائم بالمقابلة أن يجيد الإصغاء لكل ما يقوله المبحوث، وأن يمنحه الفرصة الكافية ليقول كل ما يريد دون أن يخرج عن موضوع السؤال.

د- ينبغي ألا يظهر القائم بالمقابلة نفورا واشمئزازا من الإجابات التي يدلى بها المبحوث، أو استنكارا لما يقول، فمهمته الأساسية هي الحصول على البيانات دون أن يقف منها موقف المؤيد أو المعارض.

و- من الأسئلة ما يتناول بعض الحقائق التي تسعى إلى معرفة السن أو الدخل، **ومن الضروري التأكد من صحة هذه البيانات في ضوء البيانات الأخرى التي** أدلى بها المبحوثين،ومحاولة الاستدلال على صحتها بشتى الطرق، ومن الممكن في هذه الحالة إلقاء بعض الأسئلة **الأخرى التي** لا تشتمل **عليها استمارة المقابلة.**

ز- أحيانا قد تكون الإجابات عن الأسئلة غامضة أو ناقصة وفى هذه الحالة يتعين على القائم بالمقابلة أن يحاول استكمال المعلومات الضرورية للبحث أو توضيح الناقص منها بصورة لا تشعر المبحوث بالضغط ولا تؤدى إلى التحيز في الإجابة.

٥- **تسجيل إجابات المبحوثين** : ينصح البعض بعدم تدوين الإجابات أثناء المقابلة،مع

---

[1]() عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق ، ص ٣٤٥.

ضـرورة أن يركز الباحث على المقابلة ذاتها، ثم يسـجل بعد أن تنتهي المقابلة،أما الفريق الآخر، فيرى بضـرورة تسـجيل المعلومات أثناء المقابلة، حتى لا يتعرض الباحث لنسـيان المعلومات التي أدلى بها المبحوث وتشـويه الحقائق،وفى حالة الاسـتمارة المقننة ذات احتمالات الإجابة،أي التي لا تحتوى على أسـئلة مفتوحة، فما على الباحث إلا أن يضـع علامة مميزة أمام الإجابة التي يختارها المبحوث،أما إذا كانت المقابلة حرة، فينبغي تدوين كل ما يقوله تدوينا مرتبا،وإلى جانب استمارات المقابلة يمكن استخدام أجهزة التسجيل مع مراعاة موافقة المبحوث،ولذا يفضـل تسـجيل إجابات المبحوثين مباشـرة تسـجيلا كتابيا أو آليا[1].

ثالثا : مزايا وعيوب المقابلة :

لاشك في أن المقابلة أو الاستبار أداة رئيسية من أدوات جمع البيانات،وأصبح لا غنى عنها وبخاصـة في المواقف والدراسـات التي تستلزم معلومات حاضـرة أو ماضـية أو مستقبلية، ترتبط بشـخص المبحوث والظواهر المحيطة به، كما أن لها ضـرورة في حالة الرغبة في الحصـول على معلومات ترتبط بالآراء والاتجاهات والسـلوكيات الخاصـة بالمبحوثين، فهي كغيرها من وسـائل جمع البيانات لها **مميزاتها وعيوبها** كما يلي:

أولا : مميزاتها : من مميزات المقابلة ما يلي [2]:

١- للمقابلة أهميتها في المجتمعات التي تكون فيها درجة الأمية مرتفعة، فالمقابلة لا تتطلب من المبحوثين أن يكونوا مثقفين حتى يجيبوا على الأسـئلة، لأن القائم بالمقابلة هو آذى يقرأ الأسئلة.

٢- تتميز المقابلة بالمرونة،فيستطيع القائم بالمقابلة أن يشرح للمبحوثين ما يكون غامضا عليهم من أسئلة، وأن يوضح معاني بعض الكلمات.

٣- تتميز المقابلة بأنها تجمع بين الباحث والمبحوث في موقف مواجهة، وهذا الموقف يتيح

---

[1]() محمد على محمد : البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٣٤١.

[2]() عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ٣٣٢.

له فرصة التعمق في فهم **الظاهرة التي يدرسها**،**وملاحظة سلوك المبحوث**، كما تساعد الباحث على الكشف عن التناقض في **الإجابة** ومراجعة **المبحوث** في تفسير أسباب التناقض.

٤- إذا أراد الباحث أن يوجه أسئلة كثيرة إلى المبحوثين، ففي استطاعته أن يقنعهم بالأهمية العلمية والعملية للبحث،**وما يمكن أن يستفيده المجتمع** من ورائه،وبهذا يكسب معونتهم ويضمن استجابتهم للبحث.

٥- توجه الأسئلة في المقابلة بالترتيب والتسلسل الذي يريده الباحث،فلا يطلع المبحوث على جميع الأسئلة قبل الإجابة عليها،كما قد يحدث في الاستبيان.

٦- تضمن المقابلة للباحث **الحصول على معلومات** من المبحوث،دون أن يتناقش مع غيره من الناس أو يتأثر بآرائهم، وبذا تكون الآراء التي يدلى بها المبحوث أكثر تعبيرا عن رأيه الشخصي.

٧- تحقق المقابلة تمثيلا أكبر وأدق للمجتمع،لأن الباحث يحصل على بياناته من جميع المبحوثين، إذا أحسن عرض هدف الدراسة،واختار الوقت والمكان المناسبين، مع تهيئته لأجواء المقابلة.

٨- يحصل القائم بالمقابلة على إجابات لجميع الأسئلة،**وإذا كانت** هناك أسئلة ناقصة، فعن طريق هذه الأداة يستطيع أن يجيب على تلك الأسئلة.

ثانيا : عيوب المقابلة : يرى علماء المنهجية أن المقابلة رغم أهميتها إلا أن هناك بعض العيوب التي تتمثل فيما يلي [1]:

١- قد تتعرض النتائج التي يحصل عليها القائم بالمقابلة إلى أخطاء شخصية، راجعة إلى نواحي التحيز التي تتعرض لها التقديرات والتفسيرات الشخصية، إذا كانت خطة البحث تقتضي إصدار مثل هذه الأحكام، كما أن المقابلة تعكس الاستجابات الانفعالية للقائم بالمقابلة والمبحوث واتجاه كل منهما نحو الآخر.

٢- لما كانت المقابلة تعتمد على التقرير اللفظي للمبحوث، فإن **الفرد قد لا يكون** صادقا فيما يدلى به من بيانات،فيحاول **تزييف الإجابات** في الاتجاه الذي يتوسم أنه يتفق مع اتجاه القائم

---

[1] () على عبد الرازق جلبي وآخرون : البحث الاجتماعي العلمي،مرجع سابق،ص ص ٢٨٠-٢٨١.

بالمقابلة.

٣- تحتاج المقابلة إلى عدد كبير من جامعي البيانات الذين يتم اختيارهم وتدريبهم بعناية، وتتطلب عملية الاختيار والإعداد والتدريب وقتا طويلا ونفقات كثيرة.

٤- كثرة تكاليف الانتقال التي يتكبدها القائمون بالمقابلة،وضـــياع كثير من الوقت في التردد على المبحوثين.

٥- في المقابلة كثيرا ما يمتنع المبحوث عن الإجابة عن الأسـئلة الخاصـة أو الأسـئلة التي يخشـى أن يصيبه ضرر مادي أو أدبي إذا أجاب عليها، أما إذا كانت شخصيته غير معروفة للباحث فإنه قد يعطى بيانات أكثر دقة من تلك التي يعطيها للقائم بالمقابلة.

الفصل الرابع عشر

الاستبيان

تمهيد :

هناك قدر كبير من الغموض والاضـــطراب حول تحديد "**الاســـتبيان** " كأداة لجمع البيانات،وربما كان الشاهد على ذلك هو التضارب الواضح في معظم الكتب والمراجع الأجنبية والعربية التي تعنى بمناهج البحث الاجتماعي، حتى أن الكثير من المشـــتغلين في هذا المجال يوردون الاســـتبيان مقترنا بالمقابلة كموضـــوع واحد متصـــل، باعتبارهما وســـيلتين للحصـــول على معلومات تتعلق بمعتقدات الشـــخص ومشـــاعره ودوافعه وتوقعاته وطموحه وأنماط السلوك الخاصة به.

ولذا وجب علينا أن نحدد الفروق بين هذه المصطلحات الأساسية كما يلي:

أولا : مصـــطلح **" الاســـتبيان "** Questionnaire وهو وســـيلة أو أداة رئيســـية لجمع البيانات، عبارة عن استمارة للبحث تضم عددا من الأسئلة، يطلب من المبحوث أن يجيب عليها بنفسه،وقد ترسل هذه القائمة من الأسئلة إلى المبحوثين عن طريق البريد، وتسمى في هذه الحالة بالاستبيان البريدي "

ثانيا :مصطلح **"استمارة المقابلة "** Intervie Schedul ويقصد به" قائمة الأ سئلة، أو الا ستمارة التي يقوم الباحث با ستيفاء بياناتها من خلال مقابلة تتم بينه وبين المبحوث، أي أنها تتضمن موقف المواجهة المباشرة ".

ثالثا : مصـــطلح **" دليل المقابلة "** Guide Interview وهو " مجموعة من النقاط، أو الموضـــوعات التي يجب على القائم بالمقابلة أن يغطيها مع المبحوث خلال الحوار الذي يعقده معه، ويســـمح في هذه الحالة بدرجة عالية من المرونة في الطريقة والصـــياغة والترتيب الذي تخضع له الأسئلة التي يوجهها الباحث للمبحوث " [1].

من خلال مما ســـبق يمكننا القول: أن هذه الأنواع الثلاثة من أدوات البحث الاجتماعي

---

[1] () محمد على محمد : البحث الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٣٤٨.

تشترك في خاصية عامة،وهي أنها تتضمن عددا من الأسئلة المرتبطة منطقيا بمشكلة معينة تخضع للبحث والدراسة، ولا تتخذ هذه الأسئلة بالطبع شكلا واحدا، وإنما يمكننا التفرقة بين هذه الأسئلة، على أساس أن الاستبيان والمقابلة يستخدمان عادة أسئلة محددة البناء،بينما يستخدم دليل المقابلة أسئلة غير محددة البناء،ويجب أن يراعى في صياغة استمارة البحث شرطين أساسيين هما:

الأول : ملائمة كل سؤال لمشكلة البحث.

الثاني :ارتباط الأسئلة بعضها ببعض لكي تشكل بناءا متكاملا لاستمارة البحث يصلح للحصول على المعلومات المطلوبة.

وعلى كل وبعيدا عن **خلاف علماء المنهجية**، وإن كنا لا ننكر أن هناك اختلافا بين استمارة الاستبيان واستمارة المقابلة أو الإستبار،لا نستطيع أن ننكر بأن الاستمارة من أهم وسائل الاتصال بين الباحث وجمهور بحثه،وسوف نعرض لخطوات الاستمارة في نهاية هذا الفصل.

ومن هذا المنطلق نسلط الضوء في هذا الفصل على عدة نقاط محورية كما يلي:

أولا : ماهية الاستبيان :

الاستبيان ترجمة للكلمة الإنجليزية Questionnaire،ولها معان متعددة، " **كالاستقصاء، الاستفتاء،الاستبيان** "،وهذه الكلمات جميعها تشير إلى وسيلة واحدة لجمع البيانات قوامها الاعتماد على مجموعة من الأسئلة، ترسل إما بطريق البريد لمجموعة من الأفراد،أو تنشر على صفحات الجرائد والمجلات أو على شاشة التليفزيون،أو عن طريق الإذاعة، ليجيبوا عنها الأفراد ويقوموا بإرسالها إلى الهيئة المشرفة على البحث،أو تسلم باليد للمبحوثين ليقوموا بملئها، ثم يتولى الباحث أو أحد مندوبيه جمعها منهم، بعد أن يدونوا إجاباتهم عليها [1].

---

[1]() أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات، الكويت،ط ١٩٧٩،٥، ص ٣٣٤.

ويعرف **" الاستبيان "** بأنه " جدول من الأسئلة يرسل بالبريد إلى المبحوثين بعد اختيارهم، أو ينشر في الصحف والمجلات، أو من خلال الإذاعة والتليفزيون، حيث يطلب من المبحوثين الإجابة على جدول الأسئلة هذه بأنفسهم، ثم إرسالها ثانية إلى الباحث[1].

مما سبق نخلص إلى أن الاستبيان أداة رئيسية من أدوات جمع البيانات، يمكن استخدامه في مختلف أنواع البحوث الاستطلاعية والوصفية والتجريبية، إلا أنه أكثر استخداما وملائمة للبحوث الوصفية، وخاصة ما يسمى بالمسوح الاجتماعية التي تتطلب جمع بيانات عن وقائع محددة من عدد كبير نسبيا من الأشخاص.

ثانيا : أنواع الاستبيان :

تعددت أشكال الاستبيان وتنوعت، وبالتالي يمكن تصنيفه كما يلي :

أولا : من حيث طريقة التوزيع : وينقسم إلى [2]:

١- **الاستبيان البريدي** :وهو ذلك النوع الذي يرسله الباحث بالبريد أو ينشره في الصحف والمجلات، وفيه يقوم المبحوث بالإجابة عن الأسئلة بمفرده دون معاونة الباحث، أي أنه استبيان يجرى ذاتيا بمعرفة المبحوث، دون تدخل الباحث.

٢- **الاستبيان غير البريدي**: وفيه يقوم الباحث أو أحد مندوبيه بتوزيع الاستبيان على المبحوثين، ثم يقوم بجمع الاستبيان منهم بعد الإجابة على الأسئلة دون مساعدة الباحث، ويستخدم هذا النوع في الحالات التي يمكن فيها جمع المبحوثين في مكان واحد، وتوزيع الاستمارات عليهم، كما هو الحال بالنسبة للطلبة في المدارس أو العمال في المصانع.

ويفضل الباحثون **الاستبيان الغير بريدي**، لكونه أقل تكلفة، ويضمن للباحث أن المبحوث هو الذي أجاب على أسئلة صحيفة الاستبيان بنفسه، **وبالتالي** تكون البيانات التي يدلى بها

---

(١) محمد الغريب عبد الكريم : البحث العلمي "المنهج والتصميم والإجراءات، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٨٢، ص ١٤١.

٢() غريب عبد السميع غريب : مرجع سابق، ص ١٩٧.

المبحوث أكثر دقة وصـــدقا،كما أن هذا النوع يلق اهتماما من جانب المبحوث،وبالتالي تزداد ردود المبحوثين على الاستبيان، خاصة إذا أكد الباحث للمبحوثين سرية البيانات،وإزالته للشكوك والمخاوف التي تنتابهم أثناء البحث.

ثانيا : من حيث شكل الأسئلة : وينقسم إلى [1]:

١- **الاســـتبيان اللفظي** :هو الاســـتبيان الذي يغلب اســـتخدامه في معظم البحوث الاجتماعية،وفيه **تتم صياغة الأسئلة الموجهة للمبحوثين بألفاظ لغوية دون الاستعانة** بأي أساليب تعبيرية أو رمزية.

٢- **الاستبيان المصور** :وهو يعتمد على الرسوم أو الصور **بدلا من العبارات المكتوبة**،ويستخدم هذا النوع من الاســـتبيان في جمع البيانات من الأطفال ومن الراشـــدين محدودي القدرة على القراءة.

ونلاحظ أن غالبية الباحثين في العلوم الاجتماعية يفضلون الاستبيان اللفظي، أو ما يطلق عليه " الاستبيان المقنن " الذي يحرص فيه الباحث على عرض الأسئلة وتوجيهها بصياغة وترتيب وأسلوب توجيه متماثل لكل المبحوثين.

ثالثا : من حيث عدد المبحوثين : وينقسم إلى [2]:

١- **الاســـتبيان الفردي** : وهو ذلك النوع من الاســـتبيان الذي يجرى بطريقة فردية لمبحوث واحد فقط،وتترك الحرية كاملة للمبحوث للإجابة على الأســـئلة دون مســـاعدة الباحث.

٢- **الاستبيان الجماعي**:وهو ذلك النوع الذي يجرى بطريقة جامعية على أكثر من مبحوث في وقت واحد،وفيه يقوم الباحث بتوزيع الاســـتمارة على المبحوثين، ويترك لهم الفرصـــة للإجابة على الأسئلة، ثم يقوم بجمعها منهم.

---

[1]() سـمير نعيم أحمد : المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية، مكتبة سـعيد رأفت، القاهرة، ١٩٨٧، ص ١٧٣.

[2]() على عبد الرازق جلبي وآخرون : البحث العلمي الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٢٨٧.

ثالثا : مزايا وعيوب الاستبيان :

اتضح مما سبق أن الاستبيان وسيلة هامة من وسائل جمع البيانات، والتي من خلالها يحصل الباحث على المعلومات اللازمة لدراسته،في حين يرى البعض الآخر أنها لا تصلح في كل المواقف كما يلي :

أولا: مميزات الاستبيان : يرى علماء المناهج أن الاستبيان يتميز بما يلي[1]:

١- يستفاد بالاستبيان إذا كان أفراد البحث ينتشرون في أماكن متفرقة ويصعب الاتصال بهم شخصيا،وفي هذه الحالة يستطيع الباحث أن يرسل إليهم الاستبيان بطريق البريد فيحصل منهم على البيانات المطلوبة بأقل جهد وفي أقصر وقت ممكن.

٢- يتميز الاستبيان بقلة التكاليف والجهد خاصة إذا نشر على صفحات الجرائد أو وزع على الأفراد، وحتى في حالة إرساله رسالة بالبريد،فإن ذلك لا يكلف كثيرا، إذا ما قورن بغيره من وسائل جمع البيانات.

٣- يعطى الاستبيان البريدي لأفراد البحث فرصة كافية للإجابة على الأسئلة بدقة.

٤- يسمح الاستبيان البريدي للأفراد بكتابة البيانات في الأوقات التي يرونها مناسبة لهم دون أن يتقيدوا بوقت معين يصل فيه الباحث لجمع البيانات.

٥- يساعد الاستبيان في الحصول على بيانات حساسة أو محرجة،خاصة إذا لم يشترط الباحث ذكر الاسم أو تفاصيل خاصة بشخصية المبحوث.

٦- تتوفر للاستبيان ظروف التقنين،أكثر مما يتوفر لوسيلة أخرى من وسائل جمع البيانات، وذلك نتيجة للدقة في الألفاظ وترتيب الأسئلة وتسجيل الاستجابات،وهو يكمل للمبحوثين مواقف متجانسة لعدم اتصال الباحث شخصيا بالمبحوثين.

---

[1] () انظر : عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ص ٣٢٦ – ٣٢٧.

: غريب عبد السميع غريب : مرجع سابق، ص ص ١٩٧ – ١٩٨.

: غريب محمد سيد أحمد : مرجع سابق، ص ص ٣١٨ – ٣١٩.

٧- لا يحتاج الاستبيان عادة إلى عدد كبير من جامعي البيانات، نظرا لأن الإجابة على أسئلة الاستبيان وتسجيلها لا يتطلب إلا المبحوث وحده دون الباحث.

ثانيا : عيوب الاستبيان : على الرغم من مميزات أداة الاستبيان، إلى أن هناك بعض القصور التي تجعلها لا تصلح في جميع المواقف منها [1]:

١- لا يصلح الاستبيان **إذا كان عدد الأسئلة كبيرا**، لأن ذلك يؤدى إلى ملل المبحوثين وإهمالهم إجابة الأسئلة.

٢- تقبل الإجابة المعطاة في صحيفة الاستبيان على أنها نهائية، وخاصة في الحالات التي لا يكتب فيها المبحوث اسمه، ففي مثل هذه المواقف لا يمكن الرجوع إليه والاستفسار منه عن الإجابات الغامضة، أو المتناقضة، أو استكمال ما قد يكون بالاستمارة من نقص.

٣- في غالب الأحيان يكون العائد من الاستبيان قليلا، ولا يمثل المجتمع تمثيلا صحيحا.

٤- حينما يكون هدف البحث دراسة الاتجاهات والآراء الشخصية، فإن الاستبيان قد لا يؤدى الغرض المطلوب، إذ أنه في استطاعة المبحوث أن يناقش الآراء المختلفة مع الآخرين قبل أن يجيب، وبالتالي فإن الإجابة لا تعبر عن اتجاهات المبحوث وآرائه الخاصة.

٥- يستطيع المبحوث أن يكتشف " **الأسئلة الضابطة** " أو أسئلة المراجعة Checking Questions، وذلك لأنه يمكنه الإطلاع على الأسئلة جميعها قبل أن يجيب، وبالتالي إذا ما انكشف أمر هذه الأسئلة الكاشفة، فإنها لا تحقق الغرض الذي وضعت من أجله.

٦-قد تكون التقريرات اللفظية التي يدلى بها المبحوث في استمارة الاستبيان صادقة أو غير صادقة، فلا يستطيع الباحث اكتشاف ذلك لأنه غير متواجد مع المبحوث أثناء إجابته على أسئلة الاستمارة، وبالتالي لا يستطيع الباحث التحقق من صدق البيانات ومدى صحتها.

٧- نظرا لأن الاستبيان **يعتمد على القدرة اللفظية**، فإنه لا يصلح إلا إذا كان المبحوثين

---

(1) عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ٣٢٨.

مثقفين،أو على الأقل ملمين بالقراءة والكتابة [1].

٨- تتطلب استمارة الاستبيان عناية فائقة في الصياغة والوضوح **والسهولة والبعد عن** المصطلحات الفنية، حيث أن المبحوثين يجيبون على الأسئلة بدون توجيه من الباحث،ولذا **لا تصلح صحيفة الاستبيان إذا كان الغرض من البحث يتطلب قدرا كبيرا من الشرح أو كانت الأسئلة صعبة** [2].

رابعا : خطوات إعداد استمارة الاستبيان والمقابلة :

تستلزم عملية جمع البيانات **بطريق الاستبيان** أو المقابلة إعداد خطة مفصلة للاهتداء بها عند جمع البيانات،وتكون هذه التفاصيل مكتوبة في شكل أسئلة، وأمامها فراغات ليملأها المبحوث بنفسه،أو يملأها الباحث بناءا على مشاهداته الخاصة، وعلى ما يدلى به المبحوثين من بيانات.

وهنا يجب **أن نؤكد على أن المشتغلين بالبحث الاجتماعي يستخدمون مصطلحات متعددة** للتفرقة بين **استمارتي الاستبيان والمقابلة**، فيطلقون على الأولى " صحيفة الاستبيان أو الاستخبار"،بينما يطلقون على الثانية "كشف البحث أو الاستمارة "،ولكن يفضل أن يطلق على كليهما مصطلح " **استمارة** "، نظرا لعدم وجود فوارق جوهرية بين الاستمارتين، ولا في طريقة إعداد كل منهما، وللتفرقة بينهما يمكننا أن نقول : " **استمارة الاستبيان** "، " **استمارة المقابلة أو الإستبار** ".

---

[1] () ستيفن كول : منهج البحث في علم الاجتماع، ترجمة عبد الهادي الجوهري،أحمد النكلاوى، مكتبة نهضة الشرق،القاهرة،١٩٨٠، ص ٤٧.

(٢) ثيودور كابلو : مرجع سابق، ص ١١٤.

وهناك **عدة خطوات** يجب أن يتبعها الباحث عند إعداده لاستمارة البحث هي [1]:

أولا : تحديد نوع المعلومات المطلوبة : ينبغي تصميم الاستمارة في ضوء الإطار العام لموضوع الدراسة، وذلك بناءا على خطة محكمة **تتضمن جميع النقاط الرئيسية** والفرعية التي يشتمل **عليها البحث، كما يضمن هذه النقاط بطريقة منتظمة ومنطقية.**

ويبدأ تصميم الاستمارة **بتحديد الأبواب والميادين الرئيسية** التي يتضمنها البحث، ثم توضع قائمة بالنقاط التي يحتويها كل ميدان، تمهيدا لوضع أسئلة متعلقة بكل نقطة من هذه النقاط، ويفضل أن يقوم الباحث **بدراسة كل ميدان** من هذه الميادين التي تتضمنها مشكلة بحثه، مستعينا بخبرته، واستشارته لزملائه والمتخصصين والخبراء.

وبعد أن ينتهي من تحديد الميادين العامة للاستمارة، عليه أن يحدد **عدد الأسئلة اللازمة لكل ميدان من هذه الميادين**، مع الوضع في الاعتبار أنه ليس ضروريا أن يكون عدد الأسئلة متساويا لكل ميدان، بل ينبغي أن يتناسب عدد الأسئلة مع أهمية كل ميدان، وما يمكن أن يحتويه من نقاط.

ثانيا : تحديد الأسئلة وصياغتها وتسلسلها :

* **من حيث شكل الأسئلة** : هناك نوعان من الأسئلة هما :

١- **الأسئلة المفتوحة أو غير المقيدة** : وتفيد **إذا كان ميدان البحث جديدا**، كما يسمح من خلال هذا النوع من الأسئلة للباحث أن يعبر **بحرية عن مشاعره** وانفعالاته، وإن كان يعيبها أن الباحث أحيانا يغفل الإجابة عن بعض الأسئلة، كما **أن هذا النوع يصعب تحليله إحصائيا، ويفيد هذا النوع في الدراسات الاستطلاعية.**

٢- **الأسئلة المحددة أو المقيدة**: وهي **التي يطلب فيها من المبحوث الإجابة** بأحد المتغيرات المحددة، مثل" نعم أو لا " أو " موافق أو غير موافق "، أي أن هذا النوع يستخدم

---

[1]() لمزيد من التفصيل انظر : على عبد الرازق جلبي وآخرون : مرجع سابق، ص ص ٢٨٨ – ٣٠٤. : عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق، ص ص ٣٤٩ – ٣٦٢.
: سمير نعيم أحمد : مرجع سابق، ص ص ١٧٥ – ١٨٤

إذا كانت الإجابة محددة ومعروفة،وهذا يجعل المبحوث أكثر تركيزا،كما أنه يوفر الكثير من الوقت والجهد، كما يسهل عملية تسجيل الإجابات، وبالتالي يسهل تحليلها إحصائيا، وإن كان يعيبها أنها لا تعطى فرصة للمبحوث للتعبير عن آرائه بحرية كاملة،

ولذا يفضل الباحثون أن **تجمع الاستمارة بين مزايا نوعى الأسئلة.**

* **من حيث الصياغة والمضمون:** هناك مجموعة من القواعد التي يجب أن يسترشد بها الباحثون لمعرفة الأخطاء التي يمكن أن يتعرضون لها حتى يمكن تلافيها،وهي:

١- يجب أن تكون لغة السؤال سهلة وبسيطة ومتمشية مع مستوى ثقافة المبحوثين.

٢- يجب ألا تشتمل الأسئلة على وقائع شخصية أو محرجة دون أن تكون هناك فرصة للمناقشة بين الباحث والمبحوث لشرح الهدف من هذه الأسئلة، وإعطائه الضمان بسرية البيانات.

٣- يجب صياغة الأسئلة بطريقة **لا توحي بإجابة** معينة،فلا نقول: أظنك موافق على كذا ؟، بل نقول : ما رأيك في كذا ؟،كما يجب أن نبتعد عن الأسئلة التي تدفع المبحوث إلى الإدعاء، فلا نقول له : أظنك تذهب إلى المسجد ؟،بل نقول له: هل لديك الوقت الذي يسمح لك بالذهاب إلى المسجد ؟،وعلى هذا فإن من الضروري مراعاة الدقة التامة في صياغة الأسئلة.

٤- يجب ألا تكون صيغة السؤال **قابلة للتأويل** حتى يفهم المبحوث المعنى الذي يقصده الباحث دون غيره.

٥- يجب الابتعاد عن الأسئلة المزدوجة، مثل " هل توافق ؟ أو لا توافق على كذا وكذا ؟ ".

٦- يجب صياغة بعض الأسئلة بأكثر من طريقة " أسئلة المراجعة " فالسؤال عن سن المبحوث قد يعززه سؤال آخر عن تاريخ الميلاد أو **عن السن** وقت الزواج ومدة الحياة الزوجية.

٧- يجب أن يحدد الباحث نوع الإجابة المطلوبة من المبحوث، فإذا كانت الأسئلة من النوع المحدد فيجب إعطاء جميع الإجابات المحتملة عليها، وفي حالة عدم التأكد من أن الإجابات لا تمثل جميع الاستجابات المكنة، ينبغي إضافة جملة " أخرى تذكر ".

٨- يجب أن يكون الباحث متأكدا من أن لدى المبحوثين المعلومات أو الآراء التي

يستطيعون الإجابة بواسطتها على الأسئلة،وفي حالة احتمال عدم معرفتهم الإجابة ينبغي إعطاؤهم فرصة للتعبير عن ذلك،بأن توضع في السؤال خانة " لا أعرف ".

٩- ينبغي ألا تتطلب الأسئلة من المبحوث تفكيرا عميقا، أو القيام بعمليات حسابية معقدة.

١٠- يجب أن تكون الأسئلة محدودة العدد بقدر الإمكان، وبالصورة التي تخدم أغراض البحث فقط، ولذا يجب الاستغناء عن كافة الأسئلة التي لا يستفاد من نتائجها.

* **من حيث تسلسل الأسئلة** : يجب أن تتدرج الأسئلة بحيث يساعد تدرجها على إثارة اهتمام المبحوث، وأن يكون ترتيبها متمشيا مع تدرج العلاقة الودية بين الباحث والمبحوث،**وخاصة في** استمارات المقابلة،كما يجب **أن تتدرج الأسئلة** في تسلسل منطقي يتيح لأفراد البحث فرصة تنظيم أفكارهم، كما يجب تقسيم الأسئلة إلى مجموعات متناسقة توضع لها عناوين فرعية،وخاصة **إذا كان البحث** متشعبا ويشمل أكثر من ظاهرة واحدة، كما يجب أن تعطى الأسئلة أرقاما مسلسلة حتى يمكن الاستدلال على أي سؤال بسهولة.

ثالثا :اختبار الاستمارة قبل تطبيق تعميمها على المبحوثين: ينبغي قبل النزول إلى الميدان،أو إرسال الاستمارات لأفراد البحث،يقوم الباحث **بتجربة الاستمارة** على نطاق محدود، مع مراعاة أن تكون المجموعة المختارة من الناس متفقة في خواصها وصفاتها مع أفراد البحث،وذلك لاكتشاف مدى صلاحيتها وملائمتها قبل استخدامها في البحث،**وتعد هذه الخطوة ضرورية لتحقيق عدة أغراض منها**:

١- تحديد درجة استجابة المبحوثين للبحث بصفة عامة،وللاستمارة على وجه الخصوص.

٢- كشف الأخطاء في صياغة الأسئلة وترتيبها،ومدى الحاجة إلى إضافة أسئلة جديدة،أو استبعاد أسئلة لا داعي لها،ومعرفة الاحتمالات المختلفة للإجابة.

٣- تحديد طول الاستمارة، والزمن الذي يستغرقه الباحث في ملئها.

٤- تحديد صعوبات اللغة، ومعرفة ما إذا كانت الألفاظ والعبارات في مستوى فهم المبحوثين أم لا.

٥- تقدير درجة التعاون بين الباحث وجمهور البحث.

٦- الوقوف على الأثر الذي يحدثه تتابع الأسئلة، وبالتالي إمكانية إدخال التعديل المناسب على التسلسل أو تدرج الأسئلة.

وبعد **اختبار الاستمارة** يمكن الاستفادة بما أفرزته من ملاحظات، ويتم تعديل الا ستمارة، بما يتمشى والنتائج التي أ سفرت عنها تجربة الا ستمارة، أما إذا كانت التعديلات جوهرية في تصميم الاستمارة أو صياغة أسئلتها، فإن من الواجب إعادة اختبارها، **إلى أن تصبح وحداتها منسجمة وقادرة على التمييز وتقيس** ما يجب قياسه فعلا، وتكون عباراتها قد مرت في سلسلة من التهذيب والتعديل، عن طريق اختيار أصلحها وأدقها وأكثرها تحقيقا لغرض البحث.

رابعا: تنسيق الاستمارة وإعدادها في صورتها النهائية : هناك بعض الأمور التي تساعد في جعل الاستمارة مشوقة، وتثير اهتمام المبحوث، وتحفزه على الاستجابة والتعاون مع الباحث بإجابة أسئلتها، وبخاصة استمارات الاستبيان التي ترسل بالبريد، لأن الباحث أو من ينوب عنه يقوم بشرح **الغرض من البحث** في موقف المقابلة، وهو الذي يملؤها بنفسه.

لذا هناك **مجموعة من القواعد التي يجب أن يتبعها الباحث** عند تنسيق الاستمارة وإعدادها وهي :

١- يجب أن يكون حجم الاستمارة مناسبا، ونوع الورق جيدا يمكن الكتابة عليه، كما يجب أن تكون أحجام الاستمارة متساوية، حتى **تسهل عملية المراجعة** والتصنيف.

٢- إذا كانت الا ستمارة مكونة من عدة صفحات، فيفضل أن تكون على شكل كرا سة، وإذا استدعى الأمر ثنى الاستمارة، فيجب أن يكون ذلك في أماكن غير مخصصة للإجابة.

٣- في حالة إذا كان الباحث يرغب في المقارنة بين استجابات مجموعات من الأفراد، فيفضل وضع علامة مميزة على الاستمارات لتسهيل التعرف على كل فئة منها.

٤- في الاستبيان البريدي يفضل أن يكون طلب الإجابة على أسئلة الاستمارة في شكل خطاب موجه للمبحوث، ويحدد فيه الباحث، عنوان البحث، واسم الهيئة المشرفة عليه، والغرض منه، **مع دعوة المبحوث إلى ملء الاستمارة وإعادتها**، مع الإشارة إلى ما يفيد

بسرية البيانات وعدم استخدامها إلا لأغراض البحث العلمي.

٥- يجب طبع الاستمارة على وجه واحد فقط،لتكون **سهلة القراءة، ويستحسن** عدم كتابة أكثر من سؤال واحد على السطر الواحد،وأن يخصص أمام أو تحت كل سؤال المكان الكافي للإجابة عليه،ولا تطلب الإجابة على ورقة منفصلة.

٦- يجب تقسيم الأسئلة إلى مجموعات،توضع لها عناوين واضحة، ويجب إعطاء الأسئلة أرقاما مسلسلة.

٧- في استمارة المقابلة يجب تخصيص مساحة كافية،لتسجيل البيانات المميزة، مثل " رقم الاستمارة،والمكان، والاسم،والتاريخ،والحالة الزواجية والمهنية وعدد الأبناء... وغيرها ".

٨- يجب توضيح المصطلحات المستخدمة في الاستمارة وتحديدها لمساعدة المبحوث على الإجابة الصحيحة على الأسئلة.

٩- في الاستبيان البريدي،ينبغي إرسال الاستمارة،ومعها مظروف معنون عليه طابع بريدي لتيسير مهمة الرد بالنسبة للمبحوثين.

خلاصة القول : مما سبق يمكن أن نستنتج ما يلي :

أولا : يعد الاستبيان من أبرز صور استخدام الاستمارة بشكل منفرد باعتبار الاستبيان وسيلة قائمة بذاتها تستخدم لجمع البيانات بشكل مباشر وسريع، وتكون موضوعات البحث خلالها محددة وتتناسب مع القاعدة العريضة من المبحوثين.

ثانيا : يلاحظ أن مجالات استخدام الاستمارة في البحث العلمي قد تعددت بدرجة كبيرة، ويندر ألا يعتمد عليها أي بحث علمي، حيث يعتبرها علماء المنهجية،مرشدا للباحثين سواء عند جمع بياناتهم، أو عند رسم إطار محدد لها،علاوة على اعتبار أن الاستمارة أداة صالحة لتسجيل تلك البيانات.

ثالثا :اتفق معظم المشتغلين بالمنهجية على أن تحقيق البحث لأهدافه يتوقف بالدرجة

الأولى على حسن تصميم الاستمارات المستخدمة في جمع البيانات، وذهب غالبيتهم إلى إبراز دور الاستمارات،حتى وهي أدوات مساعدة إلى جوار أدوات رئيسية أخرى " **كالملاحظة والمقابلة** "، ومن هنا اكتسبت الاستمارات أهميتها كأداة **من أدوات البحث** العلمي، في كل مجالات البحوث " الاستطلاعية، الوصفية، التجريبية ".

رابعا : من خلال عرضنا لأدوات جمع البيانات الثلاث،اتضح أن "**الملاحظة** " كوسيلة لجمع البيانات تعتمد على تقرير لفظي عن موضوع الدراسة يقوم الباحث بتقديمه نتيجة لمشاهداته أو ملاحظاته، بينما " المقابلة والاستبيان " يتضمنان تقريرا لفظيا عن إجابات يقوم بها المبحوث ردا على أسئلة يوجهها الباحث،أي أن " الباحث " في الملاحظة يكون هو صاحب التقرير،بينما يكون "المبحوث " هو صاحب التقرير في كل من الاستبيان والمقابلة.

خامسا : يشترك " **الاستبيان والمقابلة** " في أنهما وسيلتين للحصول على معلومات تتعلق بمعتقدات الشخص ومشاعره ودوافعه وتوقعاته وطموحه وأنماط السلوك الخاصة به، وغير ذلك من المعلومات التي يصعب الحصول عليها من خلال الملاحظة،لأنها ترتبط بأمور لا تلاحظ بطبيعتها،أي أن الملاحظة تعبر عن تقرير موضوعي لموضوع البحث،بينما يعبر كل من الاستبيان والمقابلة عن تقرير ذاتي للمبحوث بالنسبة للموضوع مجال البحث.

سادسا : اتضح أن "**الاستبيان**" يختلف عن "**المقابلة**" في مدى استنادهما إلى التقارير الذاتية التي يدلى بها المبحوث،حيث يمثل الاستبيان اعتمادا تاما على المبحوث،بينما تجمع المقابلة بين كل من خصائص الملاحظة والاستبيان، حيث يعتمد الباحث على إجابات المبحوث عن أسئلته من ناحية،بالإضافة إلى إتاحة الفرصة للباحث من خلال موقف المواجهة المباشرة بالمبحوث **للتعرف على بعض** الجوانب والأبعاد النفسية والانفعالية التي يعجز الاستبيان عن تصورها.

المراجع

أولا: المراجع العربية

١- أحمد الخشاب: التفكير الاجتماعي "دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية"، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠.

٢- السيد الحسيني، محمد علي محمد : الفروق الريفية الحضرية في بعض الخصائص السكانية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة، ١٩٧٣.

٣- انشراح الشال: مدخل في علم الاجتماع الإعلامي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٨٥.

٤- إقبال أمير السمالوطي : التخطيط الاجتماعي، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة ، ١٩٩١.

٥- أحمد أبو زيد :البناء الاجتماعي " مدخل لدراسة المجتمع " الجزء الأول ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٥.

٦- أحمد أبو زيد :الطريقة الأنثروبولوجية في دراسة المجتمع، حوليات كلية الآداب، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، المجلد العاشر ١٩٥٦.

٧- أحمد بدر :أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات، الكويت ،الطبعة الخامسة، ١٩٧٩.

٨- ايفانز بريتشارد :الأنثربولوجيا الاجتماعية، ترجمة أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٤.

٩- أحمد رأفت عبد الجواد :مبادئ علم الاجتماع، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٩٠.

١٠- أحمد زكي صالح :علم النفس التربوي، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢.

١١-الفاروق زكي يونس: الخدمة الاجتماعية والتغير الاجتماعي، عالم النشر، القاهرة، ١٩٧٨.

١٢- أرمان كوفيليه : مقدمة في علم الاجتماع، ترجمة محمود قاسم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦.

١٣- السيد على شتا : البناء الثقافي للمجتمع، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٥.

١٤- السيد محمد بدوي :مبادئ علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١.

١٥- أوسكار لانج :الاقتصاد السياسي، ترجمة محمود قاسم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦.

١٦- ثيودور كابلو :البحث الاجتماعي " الأسس النظرية والخبرات الميدانية" ،ترجمة محمد الجوهري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٩٣.

١٧- حسن الساعاتي : تصميم البحوث الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢.

١٨- حسن همام وآخرون: مدخل إلي علم الاجتماع، دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة، ذ٩٨٢.

١٩- خلاف خلف الشاذلي : التخطيط والتنمية في عالم متغير، دار التيسير ، المنيا، ٢٠٠٧.

٢٠- جمال زكي، السيد يس :أسس البحث الاجتماعي،دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٢.

٢١- رينيه مونيه : المدخل إلي علم الاجتماع، ترجمة السيد محمد بدوي، دار الثقافة للنشر،الإسكندرية، ١٩٦٩.

٢٢- زيدان عبد الباقي :قواعد البحث الاجتماعي،دار المعارف،القاهرة، ١٩٧٤.

٢٣- سناء الخولي : المدخل إلي علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢.

٢٤- ستيفن كول:منهج البحث في علم الاجتماع،ترجمة عبد الهادي الجوهري ، أحمد النكلاوي، مكتبة نهضة الشرق،القاهرة، ١٩٨٠.

٢٥- سمير نعيم أحمد : المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة،١٩٨٧.

٢٦- شارل بتلهايم :التخطيط والتنمية،ترجمة إسماعيل صبري عبدالله،دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦.

٢٧- شعبان الطاهر الأسود :مبادئ علم الاجتماع،منشورات جامعة السابع من إبريل، ليبيا، ٢٠٠٤.

٢٨- صلاح مصطفي الفوال:مناهج البحث في العلوم الاجتماعية،مكتبة غريب ، القاهرة، ١٩٩٧.

٢٩- طلعت إبراهيم لطفي : أساليب وأدوات البحث الاجتماعي، دار غريب للطباعة، القاهرة، ١٩٩٠.

٣٠- عادل عز الدين الأشول:علم النفس الاجتماعي،مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٩.

٣١- عاطف وصفي :الأنثربولوجيا الاجتماعية،دار المعارف،القاهرة،١٩٧٧.

٣٢- عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعي، مكتبة وهبة، القاهرة،١٩٨٩.

٣٣- عبد الباسط محمد عبد المعطي :البحث الاجتماعي،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ١٩٩٠.

٣٤- عبد الحليم محمود السيد : علم النفس الاجتماعي والإعلام " المفاهيم الأساسية "، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة،١٩٧٩.

٣٥- عبد الحميد لطفي : علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة،١٩٧٦.

٣٦- عبد الحميد محمود سعد: إجراءات البحث الاجتماعي، مكتبة نهضة الشرق،القاهرة، ١٩٨٠.

٣٧- عبد الرحمن بدوي :مناهج البحث العلمي،دار النهضة العربية،القاهرة ، ١٩٦٣.

٣٨- عبد العزيز عزت : تطور المجتمع البشري عند ابن خلدون، منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية،القاهرة،١٩٦٢.

٣٩- عبد العزيز عزت : فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع الحضري،القاهرة، ١٩٥١.

٤٠- عبد الهادي الجوهري :مدخل لدراسة المجتمع،مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٩٧.

٤١- عبد الله عامر الهمالي :أسلوب البحث الاجتماعي وتطبيقاته،منشورات جامعة قار يونس، ليبيا، ١٩٩٤.

٤٢- عدلي علي أبو طاحون : مناهج وإجراءات البحث الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٨.

٤٣- علياء شكري وآخرون:قراءات معاصرة في علم الاجتماع،دار النشر المتحدة ، القاهرة، ١٩٧٢.

٤٤- على عبد الرازق جلبي وآخرون : البحث العلمي الاجتماعي،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،١٩٩٧.

٤٥- علي عبد الرازق جلبي : مقدمة في علم الاجتماع،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ١٩٩٩.

٤٦- علي عبد الواحد وافي :ابن خلدون،مكتبة نهضة مصر،القاهرة،١٩٥٥.

٤٧- غريب سيد أحمد وآخرون:المدخل في علم الاجتماع،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ١٩٩٥.

٤٨- غريب سيد أحمد وآخرون :المدخل إلي علم الاجتماع المعاصر،دار الكتب الجامعية، القاهرة، ١٩٧٤.

٤٩- غريب سيد أحمد:تصميم وتنفيذ البحث الاجتماعي،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ١٩٨٦.

٥٠- غريب عبد السميع غريب:**البحث العلمي الاجتماعي بين النظرية والتطبيق** ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٣.

٥١- فؤاد البهي :علم النفس الاجتماعي،دار الفكر العربي،القاهرة،١٩٩٨.

٥٢- فوزية دياب : نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٦.

٥٣- قباري محمد إسماعيل : أصول علم الاجتماع ومصادره، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة، ١٩٧٨.

٥٤- ماكيفر وبيدج : المجتمع، ترجمة علي أحمد عيسي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦١.

٥٥- محمد الجوهري وآخرون:الطفل والتنشئة **الاجتماعية،دار المعرفة الجامعية** ، الإسكندرية، ١٩٩١.

٥٦- محمد الجوهري وآخرون : دراسة علم الاجتماع،دار المعارف،القاهرة، ١٩٨٢.

٥٧- محمد الجوهري وآخرون: مقدمة في علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٠.

٥٨- محمد الجوهري، عبدالله الخريجي: طرق البحث الاجتماعي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣.

٥٩- محمد الغريب عبد الكريم: البحث العلمي "المنهج والتصميم والإجراءات" ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٨٢.

٦٠- محمد سيد فهمي: قواعد البحث في الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠١.

٦١- محمد صفوت الأخرس : التخطيط الاجتماعي في مجال رعاية الأطفال والشباب، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، العدد الأول، ١٩٨٣.

٦٢- محمد طلعت عيسي: البحث الاجتماعي "مبادئه ومناهجه"، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٣.

٦٣- محمد عاطف غيث :الموقف النظري في علم الاجتماع المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦.

٦٤- محمد عاطف غيث : علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣.

٦٥- محمد عاطف غيث : علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٩٣.

٦٦- محمد عاطف غيث، غريب سيد أحمد: محاضرات في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨.

٦٧- محمد عبده محجوب: مقدمه في **الاتجاه السوسيوأنثربولوجي**، **الهيئة المصرية** العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٧.

٦٨- محمد علي محمد: البحث الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٩٩.

٦٩- محمد علي محمد: تاريخ **الفكر الاجتماعي**، **دار المعرفة الجامعية**، **الإسكندرية** ، ١٩٩٩.

٧٠- محمود عوده: تاريخ علم الاجتماع، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٤.

٧١- محمود عوده وآخرون: نشأة علم الاجتماع "دراسة في **سوسيولوجيا المعرفة**" في دراسات في علم الاجتماع، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٤.

٧٢- محمود قاسم :المنطق الحديث ومناهج البحث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٣.

٧٣- مختار حمزة : أسس علم النفس الاجتماعي، دار المجتمع العلمي، جدة، ١٩٧٩.

٧٤- مصطفي الخشاب :علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الأول، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٨.

٧٥- معن خليل عمر وآخرون : المدخل إلي علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، ٢٠٠٤.

٧٦- مها الكردي :الطفل في أجهزة الإعلام، دراسة نفسية استطلاعية، المجلة الاجتماعية القومية،

المركز القومي للبحوث الاجتماعية،القاهرة، ١٩٨٣.

٧٧- مهجه عبد المعز عطية :العلاقة بين التنشئة الاجتماعية والتوافق النفسي لدي الأطفال،رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الآداب،جامعة عين شمس،القاهرة، ١٩٩١.

٧٨- وليم ولامبرت وولاس : علم النفس الاجتماعي، ترجمة سلوي الملا، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٣.

٧٩- هدي محمد قناوي : الطفل " تنشئته وحاجاته "،مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٩٣.

٨٠- ياس خضير البياتي:الفكر الاجتماعي من عصر الحكمة إلي عصر العلم، منشورات الجامعة المفتوحة،طرابلس،ليبيا، ٢٠٠٠.

ثانيا: المراجع الأجنبية

81-Bernard philips,: Sociology from concepts to practice, N.Y, Mc, Graw. Hill Book co., 1979.

82-Biesans,Biesanz : Modern society,N.Y,1954.

83- Bottomore & Matimilein,eds, Karl Marx: Selected writtings in sociology and Social philosophy, Rubel, Bellican, Book 1963.

84-Chapin.F.S.,: Experimental Designsin Sociological Research, N.Y, 1944.

85- C.W. Mills: The Marxists, N.Y, Dellpab, Company, co, Enc. 1962.

86- Edward F.Zigler and Michael E.Lamb,Socialization and Personality Development,N.Y, Oxford University Press, 1982.

87- Ely. Chinoy, : Sociological Perpective, R. House, N.Y, 1986.

88- Fair Child,H.(ed) : Dictionary of Sociology, N.Y, 1944.

89- Green. A,: Sociology, N.Y, 1960.

90- Johnson. H. : Sociology,London,1961.

91-JamesW.Vanderzanden: The Social Exrerience, New York, McGRAW, hill, publishing Company,1990.

92- K. Langton: Political Socialization, London, Oxford university press,1969.

93 Leonard Broom and Others : Sociology, California, Wadsworth Company,1990.

94-Maciver & Page : Society,London,1953.

95- Mair, L.,: An Introduction to social Anthropology, oxford university press,1965.

96-M. Biesanz & J. Biesans : Introduction to Sociology, Prentice Hall, INC., Englewood Cliffs, New Jersey, 1978.

97- Marx. K. Selected: Writing in sociology and social philosophy, apelican Book, middle sex, England,1967.

98-Miltton, L. Barron. edt, Contern Porary : Sociology Dodd, Meud, New York, 1965.

99- M. Weber : Theory of social and economic organization, oxford university press, New York, 1974.

100-Ogburn & Nimkoff, A.: Hand Book of **sociology** London, 1960.

101-P.Young: Scientific social surveys and Research N.Y, 1947.

102-Ruth Bendict, : Patterns of culture, Houghton Miflin co. &Rutledge and kegan, Boston & London, 1934.

103-Sanford Labovitz &Robert Hagedorn,: Introduction to social research, N.Y, Mcgraw. Hill Book company,1976.

104-Sorokin. P : Society, Culture, and Personality, N.Y, 1947.

105-Stephenson, H.,: Hand Book of Public relation, N.Y, Mac,Graw,1960.